الرحمن بين الإطلاق والتقييد

الشيخ محمود سليمان رمضان

الكتاب : الرحمن بين الإطلاق والتقييد

الكاتب : محمود سليمان رمضان

الطبعة الأولى

موافقة رقم : (١٠٦٣٣٥)/٤/٨/٢٠١٠

موافقة ج٢ رقم : (١٠٧١٣٥)/٢٣/١/٢٠١١

الناشر : دار أعراف

سورية — طرطوس

٠٩٥٥٥١٢٩٥٩- ٣٥٦٥٨

جاء في الكتاب المقدس العهد القديم والجديد

(خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الله).

سفر التكوين الإصحاح الأول

– وجاء في العهد الجديد – إنجيل القديس يوحنا –

(في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله).

الإصحاح ١

(والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا وقد أبصرنا مجده، مجد وحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً).

الإصحاح ١٤

(إذا لم تؤمنوا أنّي أنا هو تموتون في خطاياكم).

(فقالوا له: من أنت ؟ فقال لهم يسوع: أنا ذاك الذي كلمتكم عنه منذ الابتداء).

الإصحاح ٢٤– ٢٥

– وجاء في رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي:

(لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مما في السموات وعلى الأرض وتحت الأرض).

(ويعترف كل لسان أنّ الربَّ يسوع المسيح هو في مجد الله الآب).

الإصحاح ٢ / ١٠–١١

جاء في القرآن الكريم

- قال تعالى: (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً(٣٠**)(البقرة).

- وقال تعالى: (**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)**)(ص).

- وقال تعالى: (**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥)**)(الإسراء).

- وقال تعالى: (**قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥**)(يس).

- وقال تعالى: (**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥)**)(الشعراء).

- وقال تعالى: (**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠)**)(الزخرف).

- وقال تعالى: (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠**)(الإسراء).

- وجاء بالخبر عن أبي هريرة مرفوعاً لرسول الله (ﷺوآلهِ): أنَّ أناساً قالوا له: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله (ﷺوآلهِ): (هل تضامُون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضامُون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا: لا، قال: فإنَّكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: مَنْ كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس - الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر - القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت - الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورتهِ التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه).!!*[١]

- وجاء في صحيح البخاري خبر عن أبي هريرة مرفوعاً للنبي (ﷺوآلهِ) قال: (خلق الله آدم على صورته).*[٢]

- وقال العالم الكبير الشيخ محي الدين بن عربي:*[٣]

دواؤك منك وما تشعرُ ... وداؤك فيك وما تبصر

وتزعم أنّك جرمٌ صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

[١] - الأحاديث القدسية /باب الشفاعة .

[٢] - صحيح البخاري ... كتاب الاستئذان .

[٣] - هو: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي شهرته ابن عربي ولد ٥٦٠ هجرية- ١١٦٥م. في مرسيه بالأندلس ثم انتل إلى إشبيليا ثم زار الحجاز وبلاد الروم والعراق وتوفي بالشام سنة ٦٣٨ هـ -١٢٤٠ م. "وورد أنَّ هذا القول للإمام علي (عليه السلام).

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفـه يظهر المضمر

- وقال الشاعر والفيلسوف الأمير حسن بن مكزون السنجاري (قُدّس سرّه): *[٤]

إلى الرحمن نسبة كل عبدٍ ظهور صفاته الحسنى عليه

ويعرف ماله في الغيب منه برؤية ما لمولاه لديه

وقال:

تجلّى الحقُّ بالخلق وخلّى الخلق والخلقَا

ومن لم يفنَ بالحقِّ عن الخلق فلن يبقى

وقال:

كلٌّ يراك كعينـه إذ كنت مرآة الوجود

وسواك ما يبدو له فيغيب في حال الشهود

إذ لا يُجاوز حدّه وسواك يدخل في الحدود

وقال:

لو كان بارئنا تعالى مالـه فينا إرادة

لم تختلف هيئات ما أبدى ولا قبلت زياده

ولما بدت ثمّ استحا لت ثمّ عاد لها إعادة

معرفة الله والمكزون السنجاري .د. أسعد علي

[٤] - هو: حسن بن يوسف وكنيته أبو محمد وأبو الليث تحدّر من أصل غساني عربي قيل أنّه ولد ٥٦٠ أو ٥٦٤ هجرية نشأ في سنجار سورية كان أمير قومه و شاعراً وفيلسوفاً صوفياً له ديوان من الشعر الصوفي ورسالة توفي سنة ٦٣٨ هجرية.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وبعد.

كم شعرتُ بالقلق وأنا أختار هذا الموضوع للبحث، وحتى أنني حاولت أن أتخلى عنه نهائياً، فالبحث بالإلهيات يتطلب الكثير من الصفاء والخبرة والفكر والمطالعة والسلوك، لكن ما أن أنجز كتابي (**الشيطان حقيقة أم وهم بين المادة والروح**) حتى شعرت بالضرورة أن أكتب عن الرحمن بقدر ما أستطيع، وكنت قد أطلت البحث في المراجع الدينية والفلسفية، والفكرية التاريخية، وكتب الفقه والتفسير علّني أجد ضالتي، وما أن أنهي الكتاب مطالعة حتى أعود للتشاؤم من جديد، لقلة مصادر البحث في هذا الموضوع، ولطريقة دراستي فيه، لكنّ قراءاتي حول الشيطان قبل الإسلام وخاصة في الديانات القديمة قبل أديان التوحيد السماوية، جدد عندي الأمل في معالجة هذا الموضوع بنفس الطريقة، وهو طرح مفهوم الرحمن للبحث منذ الديانات القديمة مروراً بالديانات التوحيدية مختتماً بالدين الإسلامي وبعض تياراته الصوفية والفكرية .

- ليس هذا الكتاب تعريفاً للدين، ولا للأديان وتاريخها، ولا نقاشاً حول مصداقية كل دين، أو رجالاته، بل هو طرحٌ لفكرٍ رأيته من زاويتي، وأعتقد أنّه

مشتركٌ بين الجميع، قديمهم وحديثهم، الموحد منهم والمعدد، المقيد والمطلق، المجرّد والمشبّه.

- فمنذ أن وجد الإنسان في هذا الكون بدأ يتطلع إلى معرفة (إدراك) كيف **كان وجوده ؟ مَنْ أوجده ؟ لماذا أوجده ؟**

من أوجد هذه الأشياء وهذه الكائنات من حوله ؟

- فهل خلق الله الإنسان الأول وأسكنه هذه الأرض وتخلّى عنه حين لم يعرّفه هذه الأشياء والموجودات الكونية ولا مضارّه ومنافعه ؟

- هل استعاض عن ذلك بما وهبه من قوة العقل عن تعريفه ما يلزمه ؟

- هل التجارب هي التي أوصلت الإنسان إلى ما وصل إليه من الرقي والفكر والحضارة ؟ أم العقل ؟ أم الله ؟

- فبدأ برحلة البحث عن الحقيقة: (القوة الماورائية الخفية ، المانا ، الواكان ، الحيوية ، الروح ، أتمان ، الخير المطلق ، ....الله) .

فأخذ يعبد كل مظاهر الكون الجبارة التي يخاف منها ولا يجد لها في عقله تفسير، فبدأ بعبادة الحيوانات المعطاءة لعطائها، والوحوش المخيفة لدفع أذاها، عبد الأشجار والبحار والأنهار والمطر والرياح والصواعق (البرق) والرعد وغيرها وغيرها.

وأخذت خيوط الحقيقة تتضح أمامه رويداً رويداً، وبدأت عنده رحلة التجسيد*[٥] لتلك القوة أو القوى الغيبية بهذه المسميات، وأضاف إليها أرواح أسلافه المميزين، وباعتباره كائن عاقل أخذ يحاول التأثير على تلك القوى ببعض الطقوس والممارسات، والتي كانت مدخلاً أو بداية للسحر، فبإحداثه أصوات الرعد والرياح يستجلب المطر وغيرها، وبرصده للقمر في السماء الصافية وحركته الليلية كان مصدراً لإلهامه في كثير من المجالات، ورؤيته للشمس وضياؤها المبهر، وأنَّها مصدر الحياة والدفء والضوء، والسماء الساكنة أيضاً كانت مثاره للتأمل والتفكير العميق، ونجوم السماء المنظومة بجماليتها الرائعة، فأخذ أيضاً يجسّد القوى الماورائية الخفية في هذه المظاهر الكونية العالية، وأخذ يطلق عليها أسماء معينة واعتبرها آلهة، فآلهة للخير وآلهة للشر، وآلهة للمطر والرياح والبحار والبرق والجمال والخصب والجفاف والموت والحياة...إلخ، وبدأ ينسج بخياله الحوادث الخارقة والمغرقة أحياناً بالرمزية، عن هذه الآلهة وبطولاتها وأدوارها وحروبها وغير ذلك، وهذا ما أطلق عليه اسم (الأسطورة)، وهنا بدأ يضع المبادئ الأولى للتديّن المخلوط بالسحر، وأخذت النصوص الشعرية وغيرها تخلّد ذلك.

وبرحلة الوعي المتنامي عِرفَ أنَّ هذه الآلهة لا تعمل منفصلة عن بعضها البعض، وتتصارع أحياناً فيما بينها إثباتا للوجود وللمكانة، وأدرك أنَّه يجب أن يكون هناك قوة أقوى لها تدبير كل ذلك، وما هذه الآلهة إلاَّ جنود وملائكة

[٥] - التجسيد :هو القول بالهيئة والجسم للإله .

عندها، فبدأ بعملية التجريد*[٦] والقول بالإله المطلق، النور المجرد، المعنى الكلي، واجب الوجود، الغيب المنيع، ولكنه لا يستطيع التواصل معه لعدم ثبات المقيَّد إلى المطلق، فأخذ يبحث عن قاسم مشترك بين التقييد والإطلاق، وتمنح الإنسان ملكة التواصل، فتكلم بالتجسيد (تجسيد الإله بالإنسان)، وبدأت الديانات المنظمة بالظهور والتي نشطت قبل الديانات السماوية التوحيدية (كالهندوسية والبوذية والكنفوشسية والكنعانية وديانات ما بين النهرين والمصرية القديمة والزرادشتية والإغريقية والمانوية) وكانت قد بدأت بوادر اليهودية والمسيحية بالظهور، وبعدهما الإسلام، وصار الإله المتجسد معبراً أو بوابة دخول، أو مَثَل أو صفة أو رمز أو بصمة للإله المطلق، (فآبسو وتعامه وممو وأدونيس "بعل" وأريشكيجال وآشور وأنانا وأنليل وإيل وتموز وشمش وسن وعشتار ومردوخ وموت ونرجال وبراهما وبوذا...وغيرهم) .

وجاءت الديانات السماوية ولم تُنكر ذلك بالمطلق، ولم تؤيده بالمطلق، فاليهود وتجسيدهم ليهوه، والمطلق العلي، والمسيحية وإلههم المتجسد يسوع، والمطلق الآب، ولما جاء الإسلام تكلم بأعلى درجات التجريد الفكري والعلمي للإله، لكنه بالرغم من كل هذا التجريد للإله المطلق حافظ على وصفه بالوجه واليدين والجنب وله رضا وغضب وينسى ويسمع ويرى...إلخ .

[٦] - التجريد: هو عزل صفة أو علاقة عزلاً ذهنياً، وقصر الاعتبار عليها، أو ما يترتب على ذلك، أو هو خلو قلب العبد وسره عما سوى الله، بمعنى أن يتجرد بظاهره عن الأعراض وبباطنه عن الأعواض.

– فهل من دلالة أو تورية في هذا الكلام ؟

فالمذاهب مختلفة والمدارس الفقهية متنازعة إلى حدّ التكفير كلّ منهم للآخر، فالحنابلة وأهل النص متمسكون بحرفية النص، والمعتزلة ومن لفّ لفيفهم مغرقون في التأويل (اليد القوة – الوجه العرش – الجنب السلطان –...إلخ).

وانفردت الصوفية بحلّ هذا الإشكال مع ما زادوه إبهاماً، فقالوا بالاتحاد، وقالوا بالوحدة، وقالوا بالحلول، وقالوا بالفيض، وقالوا بالشهود، وكلها تنتهي إلى فناء الإنسان بالله أو في الله أو مع الله أو عند الله، ولم يُنكر القرآن هذا الخليفة الإنسان (خليفة الله) شئنا أم أبينا.

فهل نقيده ؟

أم نطلقه ؟

أم لا هذا ولا ذاك ؟

تعال معي يا أخي لنرى ماذا تقول الديانات الوثنية والتوحيدية في هذا الموضوع.

المؤلف أخوكم محمود سليمان رمضان

طرطوس قرية الثورة

تمهيد

- إنَّ أحد قدّيسي الهندوسية الكبار في القرن التاسع عشر (راما كريشنا) طلب الله بشكل متتالي من خلال عدد من الأديان العالمية القويمة الكبرى، لقد طلب الله من خلال شخص المسيح، ثم من خلال المجرد بلا صورة، المنعكس في التعاليم الإلهية للقرآن، ثم من خلال تجسّدات إلهية هندوسية متنوعة، في كلّ حال كان يصل للنتيجة نفسها، التجارب المختلفة كانت تكشف له إلهاً واحداً في كلّ مرة، مرة مُتجسداً في المسيح، ومرة متكلماً من خلال نبيه محمّد، ومرة ظاهراً بشكل (فيشنو) الحافظ أو (شيفا) المنهي.

ويحدثنا راما كريشنا عن هذه التجربة فيقول :

(لقد شرّع الله أدياناً مختلفة بما يتناسب مع الأنماط المختلفة من البشر، ومع الأزمنة المتغيرة والبلدان المتنوعة، كلّ العقائد ليست أكثر من طرق متعددة، والطريق ليس بحال من الأحوال هو الله نفسه، والحقيقة أنّه يمكن للإنسان أن يصلّي لله إذا اتبع بكل إخلاص وصدق ومن صميم القلب أي واحد من تلك الطرق، بإمكانك أن تأكل الكعكة ذات الكريمة إمَّا بالقطع من سطحها أو بالقطع من جانبها، وفي الحالتين سوف تتذوق نفس الحلاوة، وكما تطلق الشعوب المختلفة على الماء - وهو مادة واحدة لدى الجميع - أسماء مختلفة، فبعضهم يسميه (water)، وآخرون يسمونه(eau)، وآخرون غيرهم (aqua)، وآخرون (باني)، كذلك تدعى تلك - الغبطة الأزلية العاقلة -

بأسماء مختلفة، فمنهم من يدعونه(god)، وآخرون ينادونه ب(الله)، وفريق ثالث يسميه (يهوه)، وآخرون يسمونه (براهمان) .

وكما يستطيع الإنسان الصعود إلى منزله إمَّا على الدرج، أو بواسطة سلّم خشبي أو بواسطة حبل، وكذلك تختلف طرق السير والسلوك نحو الله، وكل دين من أديان العالم يبين أحد طرق الوصول إلى الله .

وكما أنَّ الزوجة التي دخلت من جديد إلى أسرة ما، تُبدي من محبتها لحماها وحماتها، ولكل عضو آخر من أعضاء أسرتها الجديدة، لكنّها بنفس الوقت تحب زوجها أكثر من الكل، كذلك الإنسان مع إخلاصه التام في حبه وتفانيه وعبوديته للإله الذي اختاره، لا يزدري معبودات الآخرين بل يحترمها ويعظمها جميعاً.

اركع حيثما رأيت الناس تركع وتجثو، لأنّه في المكان الذي يُقدّم فيه الناس عبادتهم وولائهم فإنّ الرب الكريم لا بُدَّ أن يتجلى ويُظهر نفسه لهم، لأنّه الرحمة بكمالها.

العابد العاشق الذي رأى الله بمظهر واحد فقط، لم يعرفه إلاَّ بهذا المظهر الواحد، ولكن الذي رآه بمظاهره المتعددة المختلفة، هو وحده الذي يحق له أن يقول: (كلّ هذه الأشكال، أشكال إله واحد هو الله، لأنّ الله متعدد الأشكال) وإنَّه بلا شكل وبشكل، وكثيرة هي أشكاله التي لا يعرفها أحد، المنقذ المخلص هو رسول الله، إنّه مثل نائب ملك عظيم، وكما أنّه عندما

تحدث فتن واضطرابات في إحدى أقاليم المملكة البعيدة، يقوم الملك بإرسال نائبه إلى هناك لقمع تلك الفتن، كذلك حيثما يوجد انحطاط وانحسار للدين في أي جزء من أجزاء العالم، يرسل الله مخلّصه ومنقذه، إنّه نفس المخلّص الواحد، الذي بعد أن غاص في بحر الحياة برز من جديد في هذا المكان، حيث عُرف باسم (كريشنا)*[٧]، ثم غاص ثانية ليبرز في مكان آخر يعرف باسم (المسيح).

على كل إنسان أن يتبع دينه الخاص به، المسيحي ينبغي عليه أن يتبع المسيحية، والمحمّدي المحمّدية، وهكذا...وبالنسبة للهندوسي فأفضل طريق له الطريق القديم طريق الحكماء الآريين.

لقد قُسمت شعوب الأرض بواسطة الحدود التي وضعتها بين بلدانها، لكن لا أحد يستطيع أن يُقسّم السماء، التي تظلل جميع الناس من فوقهم، ويضع فيها حدوداً، إنّ السماء لا تقبل التجزئة والانقسام وهي تحيط بالكل وتشمل بوسعتها الكل، كذلك يقول العامي بجهالة: (ديني هو الطريق الأوحد، ديني هو الأفضل) لكن عندما يتنور قلبه بالمعرفة الحقيقية، يدرك أنّ وراء كل حروب ونزاعات الفرق والملل هذه، لا توجد إلاّ (الغبطة الأزلية الواحدة البسيطة الغير قابلة للانقسام، العالمة بكل شيء).

وكما تعطي الأم وهي تعالج أطفالها المرضى رزاً بالكاري لأحدهم، والساغو

[٧] - التجسد الرئيسي لله في الهندوسية.

بالمرنطة لآخر، والخبز بالزبدة لثالث، كذلك أعطى الله الأنواع المختلفة من البشر شرائع ومناهج مختلفة، تتناسب مع طبائعهم وأمزجتهم المختلفة .

لا تجادل، كما يحق لك أن تكون مطمئناً لصحة رأيك راسخاً في إيمانك، اعْطِّ الآخرين أيضاً نفس الحرية للدفاع عن إيمانهم الراسخ وآرائهم، واعلم أنّك لن تنجح أبداً – بمجرد الجدال والمناظرة– أن تقنع الآخرين بخطأ رأيهم، فقط عندما تنزل رحمة الله، يفهم كل واحد ويدرك أخطاءه.

– كان هناك رجل يعبد (شيفا) ويكره جميع الآلهة الأخرى، فظهر له (شيفا) يوماً وقال له: لن أرضى عنك أبداً ما دمت تبغض الآلهة الأخرى، لكن الرجل كان عنيداً، وبعد عدة أيام ظهر له (شيفا) ثانية وقال له: لن أرضى عنك أبداً ما دمت تكره الآلهة الأخرى، بقي الرجل صامتاً مرة ثالثة وبعد عدة أيام ظهر له (شيفا) لكن هذه المرة كان نصف بدنه (شيفا) ونصفه الآخر (فيشنو) فكان الرجل العابد نصف مسرور ونصف مستاء، وقدّم قرابينه للنصف الذي يمثل (شيفا) فقط، ولم يقدم للنصف الثاني شيئاً، عند ذلك قال له(شيفا): (إنّ تعصبك الأعمى لا يمكن التغلب عليه، لقد حاولت بتمثلي لك بهذا المظهر المزدوج، أن أقنعك بأنّ جميع الآلهة والإلهات ليست إلاّ مظاهر لبراهمان الواحد المطلق) .

١– أديان العالم

٢– موسوعة تاريخ الأديان

– وجاء عن الشيخ محي الدين بن عربي أنّه قال:

لا تقيد نفسك بأية عقيدة وحيدة بحيث تكذِّب المعتقدات الباقية، وإلاّ ستخسر خيراً كثيراً، بل ستخفق في التعرف على الحقيقة الفعلية للمسألة، فالله الكلي الوجود والقدرة ليس محدوداً في عقيدة وحيدة، لأنَّ الله يقول: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**(١١٥)﴾(البقرة). فكلّ امرئ يُمجّد ما يعتقده، فإلهه هو مخلوقه هو، وبتمجيده إنّما يُمجّد نفسه، وبالتالي فإنّه يوجّه اللوم إلى المعتقدات الأخرى، ولو كان عادلاً لما فعل ذلك، لكنَّ كراهيته مبنية على الجهل.

وقال أيضاً:

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

وقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبـة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنَّى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني

وتلخصه كارين آرمسترونغ بقولها عنه:

قلبي صار على شكل صومعة الراهب، معبد الأصنام، مرعى للغزلان، مريدوا الكعبة، ألواح التوراة والقرآن، الحب هو الدين الذي أعتنقه فحيثما تسير جِماله ما يزال الدين الحق ديني.

الله والإنسان كارين آرمسترونغ

- وجاء عن الشاعر والفيلسوف الأمير حسن بن مكزون السنجاري(قُدّس سرّه):

لمغيب قلبي في هواكم مشهدُ	كلُ البرية مطلق ومقيدُ
قدمت فكل قديم شيء حادثٌ	عنها وكل جديد ربع معهدُ
ولأهلها في كل حي مأهلٌ	وبه لها في كل ربعٍ مسجدُ
بالهند قبتّها وفي أتراكــها	بئرٌ وقصرٌ في العلاء مشيدُ
وبصين أهل الصين منزل غيبها	للشاهدين على الشهادة مشهدُ
لم يصبو عنها الصابئون ولم يَهُدْ	إلاّ إليها في الهدى المتهوّدُ
وبها النصارى قدّسوا وبذكرها	الأنصار في جنح الظلام تهجدوا
فمنارها في كل قصـر واضحٌ	لمعاينٍ وبه وليٌ مرشدُ
فيه توحدت القلوب على الهوى	وتعددت أهوائهم فتعددوا

معرفة الله والمكزون السنجاري .د. أسعد علي

- اعتمدتُ في هذه الدراسة على تقديم بعض الأفكار الموجزة عن بعض المعتقدات المتفرقة في أنحاء العالم القديم، منذ الباليوليت الأعلى، وحتى الدين الإسلامي مروراً بما بينهما من أديان ومعتقدات، بحسب ما يهمُّنا من إيراد النصوص، ولاحظنا أنّ أغلب المعتقدات تدور حول أفكار وحوادث متشابهه أو بالأحرى متطابقة بعض الشيء.

فما سرّ هذا التشابه بينها ؟

فهل يدلُّ هذا على تطوّر الفكر الديني خلال عشرات آلاف السنين ؟

فنسخ ما كان له علاقة بالخيال والسحر والوثنية وبقي الدين ؟

فأغلب المعتقدات تصف أو تقول أنّ الكون كان في عماء، فأراد الله خلق الحياة فيه، وأنّ السماء كانت ملتصقة بالأرض ففصلهما، وخلق مظاهر الكون جميعها علويّها وسفليّها (الشمس – القمر – النجوم- الرياح – الأنهار – البحار–...إلخ) .

وأغلب هذه المعتقدات أيضاً تشير إلى قصة خلق الإنسان الأول فمنهم ذكر خلقه من الماء، ومنهم من رمل المحيط، ومنهم من التراب، ومنهم من دم الآلهة، ومنهم من دموعها أو عرقها، وأغلبها يتكلم عن كيفية خلق أنثى لهذا الكائن البشري الجديد .

ويتكلمون بأغلبهم عن شجرة مقدسة مع اختلاف اسمها ووظيفتها، وعن الآلهة العلويّين الذين يتحكمون بكل شيء فوق الأرض حتى السماء العليا، وعن الآلهة السفليين الذين يتحكمون بعالم ما تحت الأرض من أرواح الموتى وما تلاقيه من العذاب والعفاريت، ويتكلمون عن آلهة للخير والعطاء وحماية الإنسان، وعن آلهة أخرى شريرة متعطشة للقرابين والتسلّط والدمار.

وكان لعمل القبيلة أو الجماعة علاقة بآلهتها، فآلهة المحاصيل والنمو والخصب كانت منتشرة عند الزراعيين، وآلهة الصيد والطرائد منتشرة عند قبائل الصيد، وآلهة البحر والنهر والماء منتشرة عند البحارة وجيران البحر، إضافة إلى دين المستعمر الذي كان يفرضه على أهل البلاد المستعمَرة .

وأغلبهم يتكلم عن إله أعلى له حكم الفصل بين الآلهة الأخرى علويّها وسفليّها ضمن نظام كوني ثابت، وعن رمزية عالية غاية في الروّعة تصل إلى حدِّ التجّريد أحياناً، وعن تشخيصات وتجسيدات وتمثلات للآلهة بدءاً من أشياء وجدها الإنسان الأول حوله إلى الكائنات الحية التي تعيش معه على الأرض وصولاً إلى مظاهر الطبيعة المدمرة، ومظاهرها العليا من شمس ، وقمر ونجوم...وغيرها، وصولاً إلى القول بتجسيد الإله بالأسلاف والأبطال والقدّيسين والحكّام، وتكلموا عن ذلك بأساطير*[٨] وحكايا، أحياناً ذات رمزية عالية وأحياناً نسجٌ من الخيال، وكثيراً ما كانت الأحلام مدخلاً لعبادة الآلهة، وخاصةً بعد إسقاط الأرواح (أرواح الأسلاف الزعماء والمميزين) على كلّ مظاهر الكون، وأنَّ أرواح الموتى تكسب قوة مميزة بعد مغادرتها أجساد الأسلاف الأسطوريين أصحاب القوى الخارقة الذين أعطوا الأرض شكلها،

[٨]- الأساطير: هي قصة أو مسرود مقدس .أمّا الحكاية فهي قصة أو مسرود لكنها ليست مقدسة. وأبطال الأساطير وشخصياتها آلهة، وشخصيات أزلية، والبشر والحيوانات هم الشخصيات المألوفة في الحكايات.تعالج الأساطير الخلق الأول والتحولات الأولى، بينما تروي الحكايات الأحداث الخيالية وغيرها.

وهم المسئولون عن ظهور الكائنات الحية عليها، لذلك كان تقديم القرابين والذبائح والابتهالات والتّضرع لأرواح الموتى أحد سمات العبادات القديمة.

فالدين بالمفهوم العام هو الرابطة بين الناس والإله، وهو يشمل أساطير وطقوس وصلوات وأضاحي، تسمح بالتماس اِحسانات الإله أو الآلهة أو الجن، والدين هو نظام كُلّي ترافقه عبادة عامة، وصلوات مختصة، وهو يضمر أخلاقاً وآداباً، ويُمَارس لمصلحة المجموع، أو أنّه عبادة القوى الكائنة فوق الطبيعة، أو (ما يحدّد سلوك الإنسان تجاه الإله)، علماً أنَّنا نلاحظ من خلال دراسة العلماء والباحثين أنّ همَّ الإنسان ومنذ القِدم (الموت، والخلود) .

لقوله تعالى في قصة آدم وإبليس: ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠)** ﴾ (طه).

وقال تعالى: ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآَتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠)**﴾(الأعراف).

*****

١- نظرة علىً الأديان البدائية

جاء عند الباحثين الدينيين أنّ القداسة هي السمة الأولى للدلالة الدينية لأي مكان أو شخص أو حدث عند الجماعات البدائية، وهم ينظرون إلى كل ما هو مُقدّس نظرة تجمع بين الاحترام والحذر في آنٍ معاً .

ويمتلك المقدّس دلالات تمنع البدائي من التعامل معه بطريقة لا مبالية أو عفوية، فللمُقدّس قوة خارقة، قُوة تُحيي وتُميت في آنٍ معاً، قُوة للخير والشرّ المباشرين، كما يحمل وعداً بالبركة أيضاً.

إنّ العديد من الطقوس في الأديان البدائية ينشأ عن دوافع للحصول على القوة لإتمام بعض الأفعال، وقد تكون سحراً*[٩]، أمّا عند الأديان الأرقى فإنّ التسبيح وصلوات الشكر، والرغبة في التواصل مع الكائنات الإلهية أكثر أهمية، وتشكل معظم الطقوس الدينية.

أمّا عند البدائيين فمواقفهم تتميز بالقلق لحصول الطمأنينة، فيلجئون إلى طقس التطهير والتكفير لتأمين الراحة.

وغالباً ما يحدث أن يتبع البدائيون عاداتاً وطقوساً قديمة، لا يدركون معناها الدقيق، لأنّهم تعلموها من الآباء، وهنا يبدؤون بنسج أساطير موغلة في القدم

[٩] - يمكن تعريف السحر هنا على أنه محاولات تهدف إلى إخضاع القوى في العالم أو تطويعها لإرادة الإنسان، وذلك من خلال أقوال أو أفعال معينة أو كليهما معاً .

إلى ما قبل الآباء والأجداد الحاضرين في الذاكرة، وصولاً إلى الأسلاف الأسطوريين أبطال بداية العالم، أو يجري التفكير بإلهٍ أعلى خالق للقبيلة ولطريقة حياتها، فيتكلمون عن الإله الأعلى أو البطل الأسطوري الذي قام بالغوص في أعماق المياه الأولى، واغترف قبضةً من الرمل صنع منها الأرض، أو أنّه فصل بالقوة بين الأب السماء والأرض الأم الملتصقتين من أجل إيجاد فسحة من المكان لحركة الآلهة والبشر، وبقية أشكال الحياة .

– لقد حاول الإنسان القديم عن طريق السحر إخضاع قوى الطبيعة، وبمرور الزمن تبين للإنسان بأنّ قوى الطبيعة تقع خارج سيطرته السحرية، وتخيل تبعاً لذلك وقوعها تحت سيطرة قوى إلهية مُتعالية، هنا انتقل من ممارسة السحر إلى التعبّد لتلك القوى الإلهية، واسترضائها آمِلاً باستمالتها إلى جانبه لتحقيق أغراضه .

– بشكل عام كانت تقبل الأقوام البدائية المعاصرة الاعتقاد بحيوية المادة، أي أنّ كل الأشياء المدركة، ما سكن منها وما كان حياً متحركاً لها أرواح، وأنّ لكلّ إنسان روح تغادر جسده مؤقتاً أثناء الأحلام ونهائياً عند الموت، وإنّ لفكرة الأرواح هذه معنى مختلف عن معنى المانا*[10]، فالمانا غير مشخّصة رغم أنّ الروح تُعلنها، أو تكون وسيلتها إلى الفعل، بينما يتم تصوّر الأرواح بشكل تشخيصي

[10] ـ المانا: هي قوة سحرية فوق طبيعانية قائمة بذاتها وتسري في مظاهر الكون والطبيعة وذلك بمعزل عن أية صلة لها بشخصيات معينة أو أرواح .

كامل على هيئةٍ إنسانية، فللأرواح شكل وعقل وشعور وإرادة وأهداف، وهي كالبشر من حيث سلوكها الحميد عندما يكون مزاجها رائقاً، وسلوكها المشاكس العدواني في أحوال الانزعاج والغضب، وهي تُحبُ الإطراء والإخلاص والولاء وغالباً لا يمكن الوثوق بها إذا لم تُغمر بالهدايا .

– وأوردوا أيضاً أنّ الإنسان قد عَبَدَ كل ما استطاع التفكير به على الأرض، أو في السماء، وأحياناً تتم عبادة الشيء لذاتهِ باعتباره حياً وفاعلاً ومشبعاً بالمادة، وأحياناً لا يُعبد الشيء لذاته، وإنّما للروح التي تَحلُّ فيه وتلازمه، وأحياناً لكون الشيء رمزاً مرئياً وملموساً لحقيقةٍ خفية تُعبد من خلاله .

– ومن الشائع أيضاً بين العديد من الأقوام البدائية وجود إدراك لإله بعيد موجود في السماء، أو في مكان ما، وهذا الإله هو الذي صنع كل شيء.

– واعتبروا أنّ هؤلاء الأشخاص الأبطال والأرواح المفعمة بالمانا هي (تابو)،*[١١] وأشاروا إليها برمزية إلى شكل تحمل العشيرة اسمه، قد يكون حيوان أو نبات أو جرم سماوي. . .إلخ وسموه (طوطم).*[١٢]

[١١]- التابو: هي الأشياء والأشخاص والأفعال التي لا يمكن لمسها أو حملها أو إتيانها لأنّها مشبعة بالمانا.

[١٢] - الطوطم: اسم وشعار مشتق من الاسم DODAIM ومعناه القرية أو مكان إقامة الجماعة الخاصة .له رمزية وقدسية خاصة لدى الجماعة التي تحمل اسمه، وتضع صورته على الأشياء الخارجية والقبور وحتى على الأجسام البشرية.

– إنّ التقليد أو التراث الذي يرى أنّ أسلاف العهد الخرافي قد أكلوا طوطمهم، يكون منسجماً تماماً مع المعتقدات والشعائر المتسمة بالقوة، فالشيخ وأولئك الذين يتمتعون بمنزلة دينية رفيعة، يكونون متحررين من التقييدات التي يخضع لها الأشخاص العاديون، حيث يمكنهم أكل الشيء المقدّس لأنّهم مُقدّسون هم أنفسهم .

ثُمّ إنّ الأبطال الأسلاف هم بمثابة الآلهة تقريباً، ولذا فإنّ من الطبيعي أن يأكلوا الطعام المقدّس، في حين لا نجد سبباً لأن تُمنح هذه الميزة للمدنس البسيط .

– وقال الباحثون أنّ الصور التي تمثّل الطوطم على اختلاف أنواعها تُحاط باحترام أكبر من ذلك الذي يُلهمه الكائن ذاته، الذي تُعيد هذه الصورة إنتاجه، فتوصلوا إلى نتيجة مفادها، أنّ صور الكائنات الطوطمية أشدُّ قداسة من هذه الكائنات ذاتها .

– فما من شيء معروف إلاّ وهو مصنّف في عشيرة وتحت طوطم، وإنّه ما من شيء بالمثل إلاّ ويتلقى بقدرٍ ما شيئاً من الطابع الديني، وعندما ظهرت الآلهة، كما يقال بحق في الأديان التي أتت لاحقاً، فإنّ كلاًّ منها قد وُضِع فوق صنف معين من الظواهر الطبيعية، هذا فوق البحر، وهذا فوق الهواء، والآخر فوق الحصاد...إلخ، واعتقدوا أنّ كل مقاطعة من مقاطعات الطبيعة هذه تستمد ما فيها من حياة هذا الإله الذي تعتمد عليه.

وهذا التقسيم للطبيعة بين الآلهة المختلفة يشكل التصّور الذي قدّمته لنا هذه الأديان عن الكون .

- إنّ الطوطمية هي ديانة لا تقوم على التمثلات المصورة للطوطم، من الحيوانات أو البشر أو الصور، وإنّما على قوة خفية وغير مشخّصة، توجد في أيّ من هذه الكائنات، لكنها يجب ألاّ تُخلط مع أي منها، فما من أحدٍ منها يحوز هذه القوة حيازة كاملة، بل يسهم الجميع فيها، ولذا فهي مستقلة تماماً عن الأشياء المحددة التي تتجسد فيها، بحيث أنّها تسبق هذه الأشياء وتستمر بعدها، فالأفراد يقضون والأجيال تمر وتحلُّ محلها أُخرى، لكنّ هذه القوة تظلُّ ناشطة وحيّة وثابتة على الدوام، وهي تنفخ الحياة في أجيال اليوم كما نفختها في أجيال البارحة، وكما ستنفخها في أجيال الغد وبمعنى عام، فإنّ بمقدورنا القول إنّ هذه القوة هي الإله الذي تتعبده كل عبادة طوطمية، إلاّ أنّه إلهٌ غير مشخص، بلا اسم أو تاريخ محايث للعالم ومنتشر في كثرة الأشياء التي لا يحصرها العد.

- بَيدَ أنّ الأُستراليين لا يمثلون هذه القوة غير المشخّصة بشكل مجرد، لقد تصوروها بشكل مرئي، وهذا ما يتكون منه الطوطم في حقيقة الأمر، فهو ليس سوى الشكل المادي الذي يمثل الخيال من خلالِه هذا الجوهر اللامادي، هذه الطاقة المنتشرة في جميع ضروب الأشياء المتغايرة، والتي تشكل وحدها الموضوع الفعلي للعبادة .

وأنّه حين يموت حيوان الطوطم، فإنّ شعب الجماعة التي توقره وتجلّه تبكيه، وتقوم بواجبات تقيّه تجاهه، لأنَّ إلهاً من الآلهة يسكنه، لكنّ الإله لا يموت بموته، فهو أبدي مثل النوع، بل إنّه لا يُخلَط حتى بالجيل الحالي من هذا النوع، فقد كان من قبل روح الجيل السابق، وسيكون روح الجيل اللاحق .

– جميع الكائنات التي يجلّها الداكوتا (أحد القبائل الأمريكية) الأرض، والرياح والشمس والقمر والنجوم...إلخ، ليست سوى تجليّات لهذه الحياة الغامضة والقدرة الغامضة (المانا أو الواكان)*[١٣] التي تدخل فيها جميعاً، وهي تُمثّل في بعض الأحيان بشكل الريح بوصفها النَّفَس أو النسمة التي تتخذ موقعها في النقاط الرئيسية الأربع (الرياح الأربعة) وتحرك كل شيء، وهي في بعض الأحيان صوتٌ يُسمع في هدير الرعد، وكذلك فإنَّ الشمس والقمر والنجوم هي واكان، غير أنَّ ما من تعداد يمكن أن يستنفذ هذه الفكرة المعقدة إلى ما لانهاية، فهي ليست قدرة واضحة ومحددة، أو قدرة على فعل هذا الشيء أو ذاك، إنّها قدرة بالمعنى المطلق، دون نعت أو تحديد من أي نوع، والقدرات الإلهية المتنوعة، ليست سوى تجليات وتشخيصات محددة لهذه القدرة، فكل منها هو هذه القدرة، مرئية في واحد من أوجهها الكثيرة.

[١٣]ـ الواكان: الروح العظيمة التي تتجلى في أي شيء تريد، أو العلة الفاعلة في كل الظواهر وكل النشاطات التي تتجلى حول البشر، وبعضهم ينسب هذه الفعالية إلى المانا الخاصة به (أي بقبيلته أو بقومه)، أو الأورندا فهي السبب الذي يُعزى إليه كل ما يتعدى قدرة البشر العادية، وكل ما هو خارج سيرورات الطبيعة الشائعة.

– يقول أحد أفراد الداكوتا: إنَّ الواكان تأتي وتمضي عبر العالم، والأشياء المقدّسة هي الأمكنة التي تحطُّ عليها، ونحن هنا بعيدون عن الطبيعة بقدر ابتعادنا عن الإحيائية، فإذا كانت الشمس والقمر والنجوم قد عُبدت، فإنّها لا تدين بهذا الشرف إلى الطبيعة الداخلية لخصائصها المميزة، بل إلى واقعة التفكير بأنّها تسهم في هذه القوة القادرة وحدها على أن تعطي الأشياء طابعاً مقدساً، والتي توجد أيضاً في كثرة الكائنات الأخرى.

– فالقدرة المبهمة التي تتخلل الأشياء وتنتشر فيها، هي المادة الأصلية التي بنيت منها تلك الكائنات من كل نوع، والتي عملت الأديان في كل زمن من الأزمنة على تكريسها وعبادتها، فالأرواح، والشياطين، والجان، والآلهة من كل نوع ليست سوى الأشكال الملموسة التي تتخذها الطاقة أو (القوة الكامنة) لدى تفريد ذاتها، أو لدى تثبتها على شيء أو موضوع معين أو مكان معين، أو لدى تمركزها حول كائن أسطوري ومثالي، مع أنّ الخيال الشعبي يعتبره واقعياً ويتصوره كذلك .

– إنَّ الأشياء المقدّسة عينها ليست سوى أشكال مُفردة من هذا المبدأ الأساسي، ولذا ليس مدهشاً أنّه حتى في الديانات التي نجد فيها آلهة صريحة، ثمة شعائر*[١٤] تمتلك فضيلة فعالة بحدّ ذاتها بصورة مستقلة عن أي تدخل إلهي،

[١٤]- الشعيرة: هي البُدنة المهداة، سميت بذلك لأنّه يؤثر فيها بالعلامات، جمعها شعائر، وشعائر الحج مناسكه وعلاماته .

فلأنّ هذه القوة يمكن أنّ ترتبط بكلمات تلفظ أو حركات يُقام بها، كما ترتبط بمواد ذات جسد، فإنّ الصوت أو الحركات يمكن أن تخدم كحامل لها، ويمكن من خلال وساطتها أن تُحدث آثارها ومفاعيلها، دون عون من أي إله أو روح، بل ويحدث أن تركّز هذه القوة نفسها في الشعيرة بوجه خاص، وهذا ما سيغدو بمثابة الخالق للآلهة انطلاقاً من هذه الواقعة بالذات، وهذا هو سبب في أننا قلما نجد شخصية إلهية لا تحتفظ بشيء من عدم التشخّص .

*****

٢- نظرة على الأديان البدائية والشامانية

- في نواحي آسيا ترتكز الحياة الدينية السحرية للمجتمع على الشامان، وتتعايش الشامانية*[١٥] مع السحر والدين، وبالرغم من أنّ الشامان هو الساحر، فليس كل ساحر يمكن أن يكون شامان، ولا كل رجل طب هو شامان، ولا كل من يعمل في الوجد*[١٦] هو شامان أيضاً .

فالشامان يتخصص بحالة الغيبوبة،*[١٧] التي يُعتقد أنه في خلالها تغادر الروح جسدها وتصعد إلى السماء، أو تنزل إلى العالم السفلي، والشامان قادر على الاتصال بالموتى والعفاريت وأرواح الطبيعة، من دون أن يصبح بذلك أداة لها مع بعض الاستثناءات كما يقولون.

- وقد يصير الشامان شامان بالوراثة، أو بالتعليم الذاتي .

ففي حال الشامانية الوراثية، فإنّ اختيار شامان المستقبل يسبقه تغيّر في السلوك، فأرواح أسلاف الأسرة من الشامانات تختار شاباً من بين الأخلاف، فيصبح غائب الذهن ومغتماً، ويبتهج في الوحدة، وله رؤى نبويّة، ويكابد

---

[١٥]- الشامان: هو أستاذ الوجد العظيم أو هو أحد المتلاعبين بالمقدس، وإنَّ الشامانية هي تقنية الوجد أو هي استخدام السحر للسيطرة على الأحداث...، إنَّ الشامانية نفسها ليست ديانة بل هي شبكة من الطقوس والمعتقدات المختلفة التي تحيط بنشاطات الشامان المرتبط بأنظمة دينية شديدة الاختلاف.

[١٦] - الوجد: ما يصادف القلب من الأحوال المغيبة له عن شهوده. وقال الجنيد: هو انقطاع الأوصاف عن سمة الذات بالسرور.

[١٧] - الغيبوبة: حالة من حالات الوجد الصوفي يفقد الصوفي فيها الاحساس بمحيطه الحسي العام لأنه بحالة اتصال مع الله.

نوبات تجعله فاقد الشعور، ويعتقد بعضهم أنّ الأرواح تحمل في هذه الفترة روح الشاب بعيداً، وحين يستقبلها أسلافه الشامانات في قصر الآلهة، يعلمونها أسرار المهنة، وأشكال الآلهة وأسماءها، وعبادة الأرواح وأسماءها، ولا تعود روح الشاب وتستأنف سيطرتها على جسدها إلاّ بعد هذا الدخول الأول في العضوية.

– ومن أهم مراسيم الاحتفال بدخول العضوية للشامان تسلق شجرة بتولا*[١٨] وتدعى (حارسة الباب) لأنّها تفتح للشامان باب السماء .

ويدل الوجود الشاماني على طيران الروح إلى السماء أو تطوافها حول الأرض، أو نزولها إلى عالم ما تحت الأرض بين الموتى، والشامان يتولى هذه الرحلات الوجدية لأربعة أسباب:

١– ليلّقى الإله السماوي وجهاً لوجه، ويُحضر له تقدمة من الجماعة .

٢– ليبحث عن روح إنسان مريض من المفترض أنّها هامت بعيداً عن جسده أو اختطفتها الشياطين .

٣– يُرشد روح إنسان ميت إلى مسكنها الجديد .

٤– ليضيف إلى معرفته بالتردد إلى الكائنات العليا غير البشرية .

[١٨] - شجرة البتولا: هي الشجرة المقدسة عند الشامانيين.

- والشامانات نوعان، البيض لهم علاقة بالآلهة، والسود لهم علاقة بالأرواح وخصوصاً الأرواح الشريرة، وتختلف ملابسهم بحسب ممارستهم، فهي بيضاء للبيض، وزرقاء للسود.

والشامان الأبيض في حالة الوجد يسير نحو عرش رب العالم العلوي، وحسب قوته يصل إلى السماء التاسعة أو الثانية عشر ،ويتوقف ويخاطب ربّ العالم العلوي (باي أولغن) بتخشع مبتهلاً إليه أن يمنحه حمايته وبركاته، ويعلم الشامان من الإله هل قُبلت التضحية، ويستقبل النبوءات، وهذا الحدث هو لحظة الوصول بالوجد إلى الذروة، وينهار الشامان ويغدو منهوك القوى.

وبمقابله يقوم الشامان الأسود بالنزول العمودي سفلاً إلى مستويات أو المناطق المتتابعة تحت الأرض، والتي تدعى (بوداك) أي العوائق ويصحبه أسلافه الموتى وأرواحه المساعدة، وعند العائق السابع يرى قصر (إرليك خان) ربّ الموتى، وينطق الشامان صلاة طويلة لـ(أرليك) ثمّ يعود إلى خيمته المستديرة ويقص على الجمهور رحلته .

*****

٣- نظرة على أهم الملامح الدينية

في أمريكا الشمالية

- هي قريبة من الهندية الأمريكية التي تعتمد على الرؤى والأحلام، الذي يمكن أن يَعدل الشعائر التقليدية القديمة، والتمسك الشديد والمعقّد بالاحتفالات التي تستغرق قدراً كبيراً من الوقت.

وفي كثير من القبائل الأمريكية توجّه الصلوات إلى جميع الكائنات الإلهية أو الروحية، كما هو الأمر في الاحتفال الغليوني والمقدم بين هذه الآلهة في جل القبائل، إنَّما هو إلهٌ السماء والذي يمثل كل الكائنات فائقة الطبيعة الأخرى، أو يقف موقف المتفوق عليهم والحاكم للكون، ويعرف هنود (الباوني) في نبراسكا مثلاً سلسلة مراتب آلهة النجوم والأرواح، وكلها تابعة للإله العلي في السماء(تيراوا) .

- وعندهم أنّ الكائن الأعظم وثيق الاتصال بمحور العالم أو عمود العالم، ويقولون أنّه على العمود الذي يرفع السماء، وهو مركز العالم، وعمود العالم، أو شجرة العالم.

- وعندهم أيضاً كائنات العالم الخارقه للطبيعة لا تُعد، فمنها كائنات السماء، ومن جملتها آلهة النجوم والشمس (وهي مجلى الكائن الأعظم) والقمر وغيرها .

- وعند البعض منهم أنّ الموتى هم في السماء أو في مكان ما خلف الأفق، وأحياناً يعتقدون بالأشباح، وعندهم إيمان بفكرة التجسيد.

- ويتكلمون عن خالقين، أو عن أثنينية عناصرها الخير والشر، وهما في الأصل الأخ الجيد والأخ السيئ .

*****

٤- نظرة على ملامح أديان أفريقيا البدائية

- يعتقدون (بحيوية) وهي عنصر غير مادي (روح أو حياة) تسكن في كل الكائنات وكل الأشياء مرئية كانت أم غير مرئية .

- إنّ الديانات الحيوية الإفريقية غالباً الإله فيها هو الجد، أو خالق الجد الرمزي لهذه القبيلة، فبين الإله وإنسان اليوم توجد سلسة من الأجداد تشكل الجسر الواصل بين الطرفين.

- يرى أحد علماء الإثنولوجيا (سبنسر) أنَّ مبدأ الدين يكمن في عبادة الأجداد، لأنَّ البدائي لا يستطيع أن يتقبل الانتقال من الحياة إلى الموت دون أن يبقى منه شيء ما، ثمّ انتقل الأجداد البعيدون في وقت متأخر إلى مرتبة الآلهة.

- إنّ الشعوب الوثنية لا ترى العالم المادي والعالم الروحاني كما نراه نحن، فهم يصفونه ويفسرونه بالأساطير، مؤكدين على عدد محدد من المسلمات، كمسلمة وجود قوة حيوية بالنيابة عن روح حقيقية، وبأن يمارسوا دائماً خلع الصفات البشرية على آلهتهم.

- وحسبما يقولون عنهم فإنّ (النياما) أي (القوة) هي التي تصنع وحدة العالم، وتوجد (النياما) في السماء كما توجد في الأجداد وغيرهم.

– من ذلك نستنتج فكرة تشخيص كلّ شيء، فكرة توحيد كل الأشياء وإمكانية أن نبدل شيئاً بشيء آخر، أو أن نحول شيئاً إلى آخر.

– وعند بعض النماذج الإفريقية أدخلت الحضارة الجديدة عبادة الإله السماوي أو الشمس، وهو إلهٌ أزلي غير مخلوق لا تدركه العقول، فهم يسمونه السماء، أو السيد الكلّي القدرة، فهو يخصّب الأرض، وهو يقيم في الشمس، وقد نزل إلى الأرض ليخلق البشر، وعند بعضهم أنّ هذه الآلهة لها أصل بشري وتتقاسم القوى والظاهرات الكونية مع الآلهة العلويّين.

– ففي غينيا ونوغو الشمالية مثلاً، فسيد العناصر والناس يسمى (أونو) وهو إلهٌ بعيد إليه تُقدم الأضاحي في حالة النكبات، وعلى درجة أدنى هناك (نومبا) أبو البشر جميعاً وهو يمثل (أونو) لديهم، وهذا الإله هو المرشد، والبطل الجد الذي ارتفع إلى مرتبة الألوهية.

– ويلاحظ أنَّ رئيس جمعية المريدين يسمى أيضاً (نومبا) لأنّه تشخيص الإله على الأرض.

– وفي المناطق الغابية من غانا فقد كانت العبادات القديمة تتمركز حول الاعتقاد بوجود إلهة كبيرة (أُم)، حامية للكون ذات نموذج قمري، وهي التي أنجبت السماء والنجوم، وهي التي توزع الحياة على الأرض، وتنقلها عن طريق أشعة القمر، وعندما تسحبها تسبب الموت وهي تحمل اسم " أتوابوما " أو "أونيام ".

- قد تتعدد الآلهة بين الجماعات، ولكن تحت قيادة إله أعلى لهذه الجماعات، وهذا ليس تعدد آلهة - عند الباحثين - وإنّما وحدانية ذات مظهر متعدد الوجوه.

- وعندهم (الإيروكو) فهي شجرة مقدسة، تقول بعض أساطيرهم أنّ الزوجين البشريين الأصليين إنّما خرجا من شجرة إيروكو مؤلهة .

******

٥- نظرة على الديانة الباليوليثية

- يقول العلماء من المحتمل أننا نتعامل من حيث المبدأ على الأقل مع تمظهر مشابه لذاك التمظهر الذي لا يزال يميز العالم العقلي لثقافات الصيد العديدة الأكثر تطوراً، إنّ ما هو مهم بشكل أساسي لهذه (النزعة الحيوانية) هو العلاقات الوثيقة بين الحيوانات والبشر، والأهمية العالية للعالم الحيواني حتى خارج وما وراء العوالم الطبيعية، إنّ وجهة النظر الحيوانية تُجسّد وتُطوّر بطرق تختلف اختلافاً كبيراً في تفاصيلها غالباً، لذلك نجد غالباً مفهوم الحيوان بوصفه روحاً حارسة وأنا أعلى، وفكرة أنَّ الشكلين البشري والحيواني يمكن تبادلهما بسهولة، وفكرة وجود كائن أعلى يُعتقد أنّه يمتلك شكلاً حيوانياً، أو أنّه قادر على تغيير أو دمج الأشكال، والذي يعتبر بمثابة ربّ الحيوانات والصيادين، وأراضي الصيد، بالإضافة إلى كونه ربّاً لأرواح الطرائد وأرواح الغابة، هذه الكائنات العليا ذات الشكل الحيواني هي غالباً أسلاف لجماعات وأبطال ثقافيون وتظهر أيضاً كوسطاء وأقانيم وتشخيصات لإله أعلى.

- إنّ طبيعة الدين والسحر، والعلاقة المتبادلة بينهما قد لعبت دوراً هاماً في العصر الباليوليثي.

- فهناك رأي يقول: أنّ السحر هو شكل أولي من أشكال الدين أو سلفاً له، وأنَّ الدين الحقيقي لم يظهر إلاّ في وقت لاحق على السحر.

- وهنالك رأي آخر يقول بأنّ الاعتقاد بإله مشخّص خالق للعالم ونظامه هو الشكل الأبكر والأكثر أصالة للدين، وليس السحر إلاّ شكلاً ثانوياً من أشكال الدين، ناجم عن حالة تدهور وانحطاط للشكل الأصلي، ومن هنا يرى أصحاب هذا الرأي أنّ الدين الحقيقي قد ابتدأ فعلاً في العصر الباليوليثي الأعلى وفي وقت سابق على السحر.

- وكان السؤال في حال قبولنا لفكرة أنّ الكائنات البشرية الأولية كان لها دين ؟

- فهل هناك أشكال للدين لم يكن لهم أن يعتنقوها ؟

- يرى بعض العلماء أنّه لا شيء يمنع ألاّ ننسب إلى الإنسان الأول أياً من الرمز أو المعقولات الدينية الأساسية في الوقت الذي نحاول فيه تقييمه بوصفه إنساناً متديناً.

- أمّا من قال ببساطة الإنسان الأول يقول: أليس الملموس والمشخّص أقرب إلى فطرية الإنسان الأول وذهنيته البسيطة من المجردات أياً كان نوعها ؟

وإذا كان الأمر كذلك، ألا تميل مجتمعات الصيادين واللاقطين في محاولتها لتحقيق فهم أساسي للأشياء، والعمليات الجارية في الكون التي لا يرون لها

تفسيراً فعلياً، إلى التفكير بالكائنات فوق الطبيعية المشخصة (الآلهة) بدلاً من القدرات والقوى الأكثر تجريداً.

– أمّا في الشرق الأدنى فهناك وُجدَ دليل على عبادة الأسلاف في التقاليد الجنائزية المعقدة للنطوفيين وخصوصاً في دفنهم للجماجم المفصولة والمجمّعة أحياناً في مجموعات.

– لقد تطورت هذه العبادة والتي تظهر أساساً في فصل الجماجم والمعالجة لها، والتي بلغت أوجها بين (٧٥٠٠ –٦٥٠٠ ق.م) .

– كان عندهم غرف لمزارات منزلية، وأيضاً كان هناك بناء آخر ممكن أن تكون مزارات عمومية، توحي أشياء العبادة من هذه المزارات أنّ القوى المقدّسة فيها لم تكن بعدْ قد اكتسبت شكلاً بشرياً، وأنّ حضورها كان يُعبّر عنه بأشكال لا بأيقونة .

– وهناك بعض اللُقى يمكن ربطها بالآلهة ذات الأشكال البشرية، وقد عُثر أيضاً في أريحا في فلسطين على مجموعة تمثل رجلاً وامرأة وطفلاً ربما كانت تجسداً ثلاثياً إلهياً.

– ففي بلغاريا توحي الزخارف المشابهة التي وجدت على آنية مطلية، بأنّ الفكر الديني كان موجهاً بالدرجة الأولى إلى السماء، وكان مهتماً بنشوء الكون، تتكون هذه الزخارف من رموز للشمس والقمر، وجهات العالم الأربع، والأجرام

السماوية، والأرض، والهواء، والنار وما شابه ذلك، وفيما بعد صارت تشتمل على التماثيل البشرية والحيوانية والخيالية وغيرها، في حين ترمز معظم الصور المقدّسة الأوربية القديمة إلى الطبيعة الدائمة التغيير للحياة على الأرض وهو التناوب الإيقاعي الدائم بين الخلق والهلاك، والولادة والموت، فأطوار القمر الثلاثة (الهلال، البدر، والمحاق) مثلاً يجري تكرارها في ألوهات مثلثة.

- كما كشفت الأدلة الأثرية من أوربة القديمة عن ألوهات نمطية محددة بشكل واضح تظهر بشكل متكرر في الفن النحتي عبر أزمنة وأمكنة مختلفة، وهي تشتمل على ألوهات ذات شكل بشري.

- لقد تم التعبير في ثقافة أوربة القديمة عن المبدأ الأنثوي الإلهي بأشكال بشرية أو حيوانية أو بشكل رمزي مجرد .

مصادر البحث

١- موسوعة تاريخ الأديان لفراس السواح

٢- موسوعة الأدياندار ماكميلان مجموعة من الباحثين

٣- قصة الحضارة وول ديورانت

*****

٦- نظرة على ديانة مصر القديمة

- تعود أولى تمثلاتها إلى الألف الرابع قبل الميلاد، أي قبل ظهور الكتابة الهيروغليفية بوقت طويل، كان يعيش سكان وادي النيل في تجمعات قبلية، ولكل قبيلة إلهها الذي يتجسد في حيوان بري أو في طائر أو في فيتيش.*[١٩]

- صوّروا رئيس القبيلة يمسك بإحدى يديه هراوة وبالأخرى عموداً يستقر عليه صقر (وهو رمز الإله حورس فيما بعد) أو أبو منجل أو ابن آوى أو قرني ثور أو سهمين متصالبين على درع أو رمز الصاعقة (هذه هي آلهة القبائل التي تقودها في المعارك وتقاتل عنها حين الضرورة).

- ثُمّ ما لبثت الآلهة ذات الشكل الحيواني أن انحسرت مفسحةً المجال أمام آلهة ذات شكل بشري.

- لقد صُوّر الإله الذكر يمسك بيده صولجاناً مشعباً، والأنثى تحمل حزمة من سويقات البردي .

- كان الإله يحب أن يكشف عن نفسه لعباده، فيحلُّ في تمثال المعبد، أو في حيوان خاص يمكن التعرف عليه من خلال علامات معينة .

[١٩] - الفيتيش: هو أي موضوع مادي تُسبغ عليه القداسة للاعتقاد بقوة خارقة تسكنه وتشع منه .

– في البداية عاش الإله لوحده، ومن ثُمّ تزوج وأنجب وشكل ثالوثاً مقدساً في اعتقاد المصريين، وهذا الإله لا يسمح إلاّ للفرعون بالمثول أمامه ويدعوه بابنه.

إضافة إلى الآلهة المحليين فقد عَبَدَ المصريون آلهة الطبيعة الكبرى، مثل السماء والأرض والشمس والقمر والنيل العظيم .

– هُمْ جعلوا من السماء المرئية الإله (نوت) وهي (هاتور) أيضاً، وقد صُوّرتا على هيئة بقرة سماوية تقف على أقدامها الأربعة المزروعة في الأرض، أو على هيئة امرأة يشكل جسدها المنحني فوق الأرض ويلامسها بأطراف أصابع القدمين والكفين قبة السماء، وبطنها المرصع بالنجوم سماء الليل المتألقة بكواكبها.

كما تخيَّل المصريون أيضاً: أنّ السماء هي رأس صقر مقدس، وأنّ الشمس والقمر عيناه اللتان يفتحهما ويغلقهما على التناوب، وصوروا الأرض على هيئة رجل منبطح، ومن ظهره تنبعث كل النباتات، ودعوا اسمه (جب) إله الأرض .

– وأيضاً كان عندهم للشمس أسماء متعددة، ففي هيئة القرص دُعيت (أتُن)(آتون)، وعلى أحوالها المتعاقبة يومياً دعي القرص بالاسم(**خيبيرا**) عند الشروق، وبالاسم (رعْ)*[٢٠] عند منتصف النهار، وبالاسم (أتوم) عند الغروب، ودعي القرص أيضاً بالاسم (حورس)...إلخ.

[٢٠] - رع: تعني الخالق.

- ولقد دُعي القمر أيضاً بأسماء عديدة فهو: (آه وثوث وخنوس) وكان أحياناً ابناً لنوت إلهة السماء .

- اعتبر المصريون(آتوم) بمثابة السلف الأعظم للجنس البشري، ومثّلوه على هيئة بشرية دائماً واضعاً على رأسه تاج الفراعنة المزدوج.

- وصفوا (رع) بصورة الشاب النشيط وعلى كرِّ السنين ضعف وأصابته الشيخوخة .

- ووصفوا (أبيب) بالعدو اللدود لإله الشمس حيث كان يبتلع الشمس خلال الكسوف الكامل .

- كان (رع) يولد كل صباح على شكل طفل ثمّ يكبر حتى منتصف النهار، ثمّ يأخذ بالاضمحلال ليموت في تلك الليلة كرجل عجوز .

- وكان يقال أنّه في كل مرة يولد أحد الفراعنة ، كان(رع) يعود إلى الأرض ليتزوج من الملكة .

والاسم (**خيبيري أو خيبيرا**) هو الذي يمثل الشمس الشارقة أيضاً .

- ويقولون: أنّ (جيب) الأرض و(نوت) السماء اللذين كانا ملتصقين بشدة ففصلهما بقوة .

- وكما هو شأن كل الآلهة كان أوزيريس يبتهج بالتجسيد المادي.

- كان(سيت) عندهم يمثل روح الشرّ المعارض أبداً لروح الخير الذي كان يمثله (أوزيريس) وهذا هو الصراع بين الخير والشرّ، والخصب والجفاف، والنور والظلمة .

- كان(حورس) إلهاً للشمس، وجرى قرنه بأبولوا (عند الإغريق)، يُمثَّل على هيئة صقر أو على هيئة رجل برأس صقر، ورأوا في الشمس والقمر عيناه، والذي يتباهى كل فرعون بأنَّه التجسيد الحي له.

- أمّا (ثوث) فقد عُبد كإله للقمر، يُصور عادةً على هيئة رجل برأس الطائر أبي منجل يحيط به بدر ضمن هلال .

- عبد الفرعون أخناتون الإله (آتون) وكان رمزه قرص الشمس الملتهب وقوله في أحد ترتيلاته: (صنعت السماء العالية لتشرق فيها وتنظر كل ما قد صنعت أنت أحدٌ، تشع في هيئة "آتون "الحي). وكان الفرعون أخناتون وزوجته نفرتيتي يرعون هذه الاحتفالات .

- يصوَّر (آمون) عادة على هيئة رجل ذي بشرة برونزية وهو يرتدي تاجاً تنبثق منه ريشتان طويلتان متوازيتان، يُرى جالساً بجلال على العرش.

- أيضاً أُدرج الفرعون بين آلهة مصر، لأنّ ألوهية الملك تشكل جزءاً من العقائد الدينية القديمة، وهو بالنسبة إلى رعاياه بمثابة إله الشمس يحكم على الأرض .

– يقول الدكتور مصطفى النشار في كتابه فكرة الألوهية عند أفلاطون مُشيراً إلى تصور المصريين القدماء للإله: كان الإلهُ لديهم يمثّل شيئاً خطيراً في الكون، كالسماء أو أحد الأقاليم المصرية، أو الملكية، فهذا الإله من حيث وظيفته شديد الاتساع وغير محسوس، ولكن قد يخصص له مكان في عالمنا يجد فيه الراحة والطمأنينة، أي أنّه قد يُقام له معبد أو هيكل، وفي هذا المعبد قد يجعل له مكان يظهر فيه صورة أو صنم، وليس الصنم بالإله إنْ هو إلاّ وسيلة من الحجر أو الخشب أو المعدن تتيح له المثول للعيان، وقد قال المصريون ذلك نصاً في إحدى قصص الخليقة، فقد تاب الإله الخالق عن الآلهة الأخرى، وصنع أجسادهم وفق رضاهم، فدخل الآلهة أجسادهم من كل نوع من الحجر أو الجبس، واتخذوا لأنفسهم بها شكلاً، فهذه التماثيل إنّما هُيّئت لتكون أمكنة لهم يتخذون فيها شكلاً تراه العين، وعلى هذا النحو قد يرتاح الإله " آمون " حين يأوي إلى تمثال في شكل إنسان أو كبش انتقي له خصيصاً، أو إوزة انتقيت له، وهو يبقى على ذاته ولا يماثل الشكل الذي يظهر فيه للعين، غير أنّه يتقمّص كل مرة شكلاً يختلف باختلاف الغاية من ظهوره، كأنّه إنسان له منازل شتى وأثواب متباينة .

*****

٧- نظرة على الديانة الكنعانية والفينيقية

- من أسماء آلهتها: (إيل) الكلمة السامية التي تعني إله وتعني والد أو أب، ويلقب بأبي البشر وباني الأبنية، ولربما اعتبر خالقاً للعالم، ويعكس الإيلات الثلاثة الأشكال الرئيسية للألوهية الأوغاريتية وهي:

١- القوة الحكيمة والمتحكمة التي أوجدت الآلهة والبشر.

٢- القوة التي تسكن في أي مكان مقدس.

٣- الحضور الملموس لأرواح الموتى.

أمّا اسم الإله (بعل): فهو مشتق من الاسم السامي (الرب) أو (السيد) أو (الزوج).والإلهة (أثيرات) أو (عشيرة) هي زوجة (إيل) سيدة البحر.

- وعندهم أيضاً (يارح) إله القمر، والإله النجمي المشار به إلى نجمة المساء (الزهرة) .

- وإنّ الذي يهيمن من الأعلى على مجريات العالم، ولا يخضع لها، هو الإله (إيل) الحكيم والرحيم، وكانت تقصده الآلهة في الأوقات الحرجة أو ترسل له مبعوثين للحصول على مرضاته ونصائحه .

- أزاح (بعل) (إيل) وحلّ محله كما أزاح (يهوه) (بعل) وحلّ محله.

– إنّ الرابطة الوثيقة بين نسل الملوك البشر والآلهة هو ملمح من ملامح الإيديولوجية الملوكية الكنعانية، وهناك دلائل توحي بأنّ ملوك أوغاريت قد أُلّهوا بعد مماتهم .

– **أمّا عند الفينيقيين**: فكان (إيل) إله الشمس وزوجته (عشيرة) وهي يم (البحر) والإله الرئيسي هو (إيل) .

– **أمّا عند الآراميين**: فكان (سن) إله القمر، وأحياناً يدعى (عجليبول) أيضاً إله القمر، و(ملاك بل) إله الشمس .

*****

٨- نظرة على ديانة بلاد الرافدين

- كان عندهم (آن) إله السماء و(نانا) إله القمر و(أوتو) إله الشمس.

- وكان من الواضح أنَّ عندهم الشكل البشري كان يبدو أكثر جلالاً وملائمة من الشكل غير البشري.

وتكلموا عن خلق الإنسان من الدم الإلهي الممتزج بالطين صنعته الإلهة الأم.

أمّا في الديانة السومرية :

- فكان المكونان الرئيسيان للكون بالمعنى الأضيق للكلمة هما السماء (آن) والأرض (كي). وتكلموا عن نشوء الكون وحركته والآلهة المسئولة عن ذلك.

- وعندهم أنّ الكون وكل ظواهره المتعددة ترعاه وتشرف عليه وتوجهه وتتحكم فيه كائنات حية في هيئة بشرية، ولكن لأنّ الكون أكبر بكثير من المجموع الكلّي لمساكن البشر، ونظامه أشد تعقيداً بكثير من نظامها، فلا بُدّ أن تكون هذه الكائنات الحية أقوى وأشد تعقيد من البشر العاديين، وفوق كلّ شيء لا بُدّ أن تكون خالدة .

- إنّ الأرباب السومريون رَسَمت صورهم الأساطير السومرية ذوي هيئات بشرية بشكل كامل، وحتى الأرباب الأقوى والأعرف بينهم جرى تصورهم بشريين في الشكل والفكر والعمل وهم كالإنسان في جميع أحوالهم.

- أمَّا الآلهة الأربعة المميزة عند السومريين فهم:

١- إله السماء (آن).

٢- إله الهواء (إنليل).

٣- إله الماء (إنكي).

٤- والإلهة الأم (الأرض) .

- اقتنع السومريون بفكرة أنَّ الآلهة قد خلقوا الإنسان لفائدتهم فقط، وأنّ نصيب الإنسان الموت وأنَّ الآلهة وحدهم الخالدون .

أمّا في بابل وآشور:

- كانت ظاهرة زحزحة آلهة سكان البلاد الأصليين، وحلول آلهة الغزاة مكانها، وتحول آلهة البلاد إلى شياطين وأرواح شريرة موجودة منذ القدم.

- أول ما يظهر من الآلهة الإله العلي (آنو) ومعنى اسمه السماء وكان الثاني (إنليل) أو(إليل) ومعنى اسمه الريح أو إله العاصفة والثالث كان (إنكي) وكانت شجرتهم المقدسة (كشكانو) .

- تتمثل الآلهة البابلية والآشورية دائماً في هيئات بشرية وتعني بابل: بوابة الآلهة أو بيت إيل أو المدينة المقدسة .

*****

٩- نظرة على بعض آلهة العرب قبل الإسلام

- كان الإله (بل) من أصل كنعاني في تدمر و(يرحبول وعجلبول، الشمس والقمر) (واللات) على هيئة امرأة محاربة، و(مناة) هي نجمة المساء ، وقال بعضهم هي دالة على المنية أو الموت أو العالم الآخر، و(إيلات) عند الأنباط يقولون هي الشمس وبعضهم قال: هي الزهرة .

- وإنّه كان في الكعبة /٣٦٠/ صنماً .

- والثالوث العربي (اللات والعزة ومناة) والعزة هي نجمة الصباح ومناة هي نجمة المساء .

- و(هبل): عن بعل الكنعاني، وكان في جوف الكعبة ثمّ نُقل إلى أعلاها وكان من العقيق الأحمر على صورة إنسان .

- أمّا عند عرب الجنوب فالقمر والشمس والزهرة هم الأب والأم والولد، ويدعى القمر (ورخ ، سين ، شهر) ورمزه الحيواني هو الثور، وذلك للشبه بين قرنيه والهلال، وهو الأب السماوي وسلف القبيلة والشعب والبشر، على ما تدل عليه ألقابه المتعددة فهو يدعى (أب) ويدعى أيضاً (عم) بمعنى الجد الأكبر والأصل، وتتصل بهذه الصفة صفةٌ أخرى مهمة هي (الرحمن) أي الرحيم بالبشر وحاميهم، ويدعى أيضاً (كهل) أي الشيخ، و(حكم) أي

الحكيم، و(حرم) أي القدّوس بمعنى العادل، و(ود) أي المحب و (إيل) أي الله.

١- موسوعة تاريخ الأديان لفراس السواح

٢- موسوعة الأديان دار ماكميلان مجموعة من الباحثين

٣- قصة الحضارة وول ديورانت

٤- الملل والنحل للشهرستاني

٥- فكرة الألوهية عند أفلاطون .د.مصطفى النشار

*****

١٠- نظرة على الديانة اليونانية

- فقد كان إله الإغريق (زيوس) السماوي وزوجته الإله (هيرا) وهو الذي اخترع الروابط العائلية .

- نشأت عندهم عبادة الأسرار في القرن السابع والسادس قبل الميلاد، وفيها قامت علاقة للناس مع عالم الألوهة أكثر قرباً وشخصانية من بقية العبادات الأولمبية .

وهذه الطريقة الإليوسية*[٢١] كانت تمنح العابد إحساساً بالتوحد مع القوة الإلهية، وتعطيه وعداً بالخلاص إلى عالم أفضل بعد الموت .

- لقد كانت معظم الموضوعات المقدّسة في اليونان عبارة عن قطع قديمة غير منحوتة على هيئة إنسانية، وتحمل أسماء الآلهة الأولمبية، واستمر استخدام الشكل الإنساني المثالي في تصوير أشكال الآلهة المنحوتة .

- لقد قام الإغريق بإضفاء الشخصية على كل ظاهرة طبيعية وثقافية في عالمهم، فالبحر والجبال والأنهار والعادات والقوانين، ونصيب الفرد من مجتمعه وخيراته، كلها نظروا إليها من منظور شخصاني وطبيعاني في الوقت نفسه، ففي الإلياذه،

[٢١] - الإليوسية: نسبة إلى مدينة إليوسيس، وهي طقوس عبادة من شأنها تمنح العابد إحساساً بالتوحد مع الله وتعطيه وعداً بالخلاص .

عندما قاتل (آخيل) النهر، فإنّ النهر تكلم معه مثلما يتحدث الشخص، ولكنه استخدم ضدّه سلاحاً يتلائم وكونه مجرد مجرى مائي، وعند (هزيود) فإنّ الآلهة التي نستطيع تمييزها بشكلها الإنساني، وباعتبارها تشخيصاً لظواهر طبيعانية وثقافية كلها إمّا والدة أو مولودة من بعضها، فالإلهة (هيرا) تنتمي للنمط الأول، فهي إلهة الزواج ولكنها غير متطابقة مع الزواج نفسه كمؤسسة اجتماعية.

أمّا (الأرض) فمن الواضح أنّها تنتمي إلى النمط الثاني، وكذلك الأمر فيما يتعلق(بإيروس) و(أفروديت) إلها الرغبة الجنسية، فعلى الرغم من تشخيصها وشكلها الإنساني فإنّ عبادهما يشعرون بأنّهم يمتلئون بهما عندما يستعر الجسد بالرغبة الجنسية .

– وكانت مواقفهم الإلهية متضادة أحياناً ، فقد وقف (زيوس) إلى جانب الطرواديين بينما وقفت زوجته (هيرا) إلى جانب الإغريق في حرب طروادة .

– ولقد جرت عندهم عبادة الأبطال بعد وفاتهم وقد كانوا من أعظم المحاربين، باعتبارهم أقوى الأموات، وهم يملكون القدرة على تقديم العون إلى المدينة التي احتضنت أرضها رفاتهم، وهم يتلقون عادةً القرابين التي تُقدم لآلهة العالم الأسفل .

- أغلب الأساطير تتحدث عن العماء الكوني أو الخلاء قبل فصل السماء عن الأرض، وتكوين الكون، وحركة النجوم والكواكب، وبعد تكوين الأرض تكلموا عن خلق الإنسان الأول، فمنهم أورد أنّه من طين المحيط خُلق، ومنهم من عرق الآلهة، ومنهم من أنصاف الآلهة، ومنهم من قال من دموع الآلهة .

- وأغلب الأساطير تتحدث عن القرابين والأضاحي والهدايا (للآلهة) لاسترضاء القوى الخفية الغامضة (الآلهة)، إضافة إلى طقوس العبادات من صلاة وغيرها من العبادات لطلب رضا الآلهة العلوية والسفلية .

- صوروا (غيا) إلهة الأرض (الراسخة الأثداء) كلية القدرة على هيئة امرأة عملاقة زوجها (أورانوس) وابنهما (زيوس).

- كانت أجسام الآلهة في المظهر متشابهة مع الأجساد البشرية، لكنّها تتفوق عليها في القامة والقوة والجمال، وهم يتمتعون بالقدرة على التحويل والتغيير إذا شاءوا، وهم كالبشر عرضة للانفعالات الإنسانية (المحبة — الكره – الغضب – ...إلخ) .

- وشجرتهم المقدسة البلوط والدردار.

وإلههم الأعلى (زيوس) فهو إله السماء (إله كلي القدرة ومنبع الألوهية كلها).

- كان (زيوس) في الأصل إلهاً شمسياً، وكان يصور على هيئة رجل في كامل نضجه، ذي جسم قوي وقسمات وجهه جادة وجبين عريض يبرز من فوق عينين عميقتين ووجهه محاط بشعر متموج غزير ولحية متموجة .

- أمّا (هيرا) فقد صورت على هيئة امرأة شابة كاملة النضج ذات جمال عنيف وحاد .

- أمّا (افروديت) فكانت إلهة الجمال وهي كانت تمثل خلاصة الجمال الأنثوي .

- أمَّا (إيريس): رسولة الآلهة، وقد عينت خاصة لخدمة (زيوس)، فعندما يصدر (زيوس) أوامره للآلهة فإنّ (إيريس) تقوم بنقلها، وإذا أراد أن يعرف البشر إرادته تهرع (إيريس) هابطة إلى الأرض، وهناك إمّا تستعير شكلاً إنسانياً، أو تظهر في شكلها العلوي وفي شكلها الإلهي كانت ترتدي ثوباً طويلاً كاملاً، وتربط شعرها بعصابة .

- يقول د. مصطفى النشار في كتابه فكرة الألوهية عند أفلاطون :

فالآلهة الأولمبية كانت موجودات إنسانية عظيمة منمقة ، وكائنات بشرية بلا غموض أو سرية، ولم يكن انعدام الفرق بين الإنسان والآلهة على مستوى المراسيم الدينية فقط، بل إنَّ الإغريق قد وضعوا الإنسان في منزلة أقرب إلى الآلهة مما وضعه المصريون والبابليون في مواطن كثيرة، فالأدب الإغريقي يعدد

نساء كثيرات عشقهن الآلهة وولدن منهن الأولاد، وقد أوضح البعض أنّ الخاطئ النموذجي في بلاد اليونان كان ذلك الذي يحاول انتهاك حرمة أحد الآلهة، ثمّ إنّ الآلهة الأولمبية رغم تجلّيها في ظواهر الطبيعة لم تكن هي التي خلقت الكون، وليس في مقدورها أن تتصرف بالإنسان كأحد مخلوقاتها بنفس حق الملكية الذي رأينا آلهة الأقطار الأخرى تتمتع به، بل إنّ الإغريقي يدّعي بسلف مشترك بينه وبين الآلهة .

- ولذلك نرى (هوميروس) يرسم في الإلياذة والأوذيسة صور لآلهة اليونان، فهو يصوّر الأخائيين والطرواديين يؤمنون بتعدد الآلهة، ويعتقدون أنّ آلهتهم وإلاهاتهم لهم شكل البشر.

- أمّا سقراط اعتقد في الإله ذي العقل السامي، المسئول عن نظام العالم، وفي نفس الوقت مبدع الإنسان، وللإنسان علاقة خاصة مع الإله، فعقول البشر الخاصة تتحكم في أجسامهم كما أنّ الإله يتحكم في حركات العالم، وبالرغم أنّها أقل من عقل الإله إلاّ أنّها تعمل على نفس المبادئ .

- فقد بلغ لاهوت سقراط قضية بسيطة إذن: هي أنّ الكون الإلهي عبارة عن مجتمع من الموجودات البشرية السامية، والموجودات الإلهية، ويحتمل أن يكون على رأسهم إله سامٍ كامل الخير عادل .

– أمّا أفلاطون فقد اعتمد على نظرية المثِل*[٢٢] فالمثال عند أفلاطون إذن:

صورة مجردة وحقيقة معقولة أزلية ثابتة قائمة بذاتها، لا تتغير ولا تفسد.

– وقد قال الفارابي: إنّ أفلاطون في كثير من أقاويله يومئ إلى أنّ للموجودات صوراً مجردة في عالم الإله، وربما يسميها بالمثِل الإلهية، وأنّها لا تندثر ولا تفسد ولكنّها باقية، وأنّ الذي يندثر ويفسد إنّما هو هذه الموجودات التي هي كائنة .

د. مصطفى النشار فكرة الألوهية عند أفلاطون

– تقول كارين آرمسترونغ في كتابها الله والإنسان:

الإلياذة مليئة بالتجليات تظهر الآلهة للإغريق والطرواديين في الأحلام عند الاعتقاد بأنّ الحد الفاصل بين عالمي البشر والمقدّس قد جرى تضييقه، وهكذا يرشد شاب فاتن بريام إلى سفن الإغريق في نهاية الإلياذة، وفي النهاية يميط هذا الشاب اللثام عن نفسه ليتضح أنَّه الإله (هرمز).

– لقد آمن أفلاطون بوجود حقيقة مقدّسة لا تتغير وراء عالم الحواس، وأنّ الروح كانت إلهاً هابطاً خارج عنصرها مسجونة في الجسد، لكنها قادرة على استعادة مكانتها المقدّسة، عن طريق تطهير الإمكانات العقلية في العقل، وكلامهم عن الفيض مختلف عن الأساطير القديمة، كما في نظرية أرسطو أنّ

---

[٢٢] - المثال(IDEA) : هو صورة الشيء الذي يمثل صفاته، والقالب أو النموذج الذي يُقرّر على مثله أو الجزئي الذي يُذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهم المتعلم، ولفظة(IDEA) إيديا في اللغة اليونانية العادية كانت تعني هيئة أو شكل أو طريقة وغالباً ما استعملت بهذا الشكل لدى أفلاطون .

الفيض يصبح أضعف كلما بَعُدَ عن مصدره، فعلى قمة هذه السلسلة كان المحرك الذي لا يُحرَّك، وهو ما أسماه أرسطو (الله) كان الله وجوداً نقياً وأبدياً ثابتاً وروحياً، كان الله فكراً نقياً وفي الوقت ذاته كان الفكر والمفكر اندمجا في لحظة أبدية من التأمل في ذاته، وهذا هو الهدف الأسمى للمعرفة، فبما أنّ المادة فيها عيب وفانية لذلك فإنّ الله خالٍ من عنصر مادي، وكذلك هي الحالة بالنسبة للوجود الأعلى مرتبة ،فالمحرك الذي لا يحرك هو الذي يسبب كل حركة ونشاط في الكون، لأنّه لا بُدّ أن يكون لكل حركة سبب نرجعه إلى مصدر واحد، إنّه ينشط العالم بعملية تجاذب لأنّ الكائنات جميعاً مشدودة نحو الوجود نفسه .

- يحتل الإنسان موقعاً متميزاً فروحه الإنسانية فيها نعمة إلهية هي العقل الذي يجعل الإنسان شبيهاً بالله ومشتركاً معه في الطبيعة الإلهية، فهذه المقدرة الإلهية هي التي تصنع الإنسان في مرتبة فوق الحيوان والنبات، فالإنسان – روحاً وجسداً– كون مصغر عن الكون بأكمله محتوٍ داخل ذاته أحطَّ مواده، إضافة إلى صفة العقل الإلهية، ولهذا السبب يجب على الإنسان أن يصبح خالداً وإلهياً عن طريق تطهير عقله، فالحكمة هي أعلى الفضائل الإنسانية، والتعبير عنها يكمن في تأمل الحقيقة الفلسفية التي تجعلنا إلهيين عن طريق محاكاة نشاط الله نفسه، ولا يمكن بلوغ التأمل عبر المنطق فقط بل هو حدس منظم ناجم عن نشوة تسامٍ ذاتي، قلة هم القادرون على بلوغ هذه الحكمة، بينما يستطيع معظم

الناس بلوغ (PHRONESIS) أي ممارسة التبصر والذكاء في الحياة اليومية.

– فالدين كله يجب أن يبدأ بخلع صفات بشرية على الله، فليس بوسع إله بعيد جداً عن البشر (مثل فكرة أرسطو – المحرك الذي لا يحرك) أن يُلهم بتوجه روحاني، فهذا الإسقاط لا يصبح غاية بحد ذاته إلاّ أنّه قد يكون مفيداً ونافعاً، يجب القول أنّ هذا التصور التخيلي لله في كلمات بشرية قد أوحى باهتمام اجتماعي غير موجود في الهندوسية .

– لقد تطلع الوثنيون المثقفون إلى الفلسفة لا إلى الدين من أجل الاستنارة، بعد أن رفضت المسيحية الآلهة الأخرى واعتبرتها أوهام، وبالتالي اعتبروا فلاسفة القديم مثل أفلاطون وفيثاغورث وإبيكيت قدّيسين وأنجماً لهم، بل اعتبروهم (أبناء الله) حتى أنّهم اعتبروا أفلاطون (ابن أبولو).

الله والإنسان كارين آرمسترونغ

– أمَّا في العبادات النجمية والكواكب:

فقد كانت أغلب الديانات تقول بعالم الآلهة العلوي، وبعالم الآلهة السفلي، وبعالم الجحيم، إضافة إلى آلهة الخصوبة، وبعضهم بشكل رجال ونساء وأطفال.

– إنّ الأبطال الأسلاف كانوا يتوسطون بين البشر والآلهة، وعندما يُصبح البشر بعد الموت ظلالاً واهية يحتفظ الأبطال بخصائصهم الأصلية ويستطيعون أن

يتشفعوا للبشر، إذاً هؤلاء الأبطال كانوا في الأصل بشراً مثاليين أصبحوا أشباه آلهة، وفي هرم المراتب يحتلون موقعاً متوسطاً بين البشر والأولمبيين، وتكلم اليونان عن زواج الآلهة بالبشر والبشر بالآلهة .

– أمَّا عند الرومان:

فيقوم الدين الروماني على العناية المتبادلة بين الإله والإنسان .

– قال الباحثون: يمكن أن يكون الرومان قد عرفوا في الأزمنة المبكرة مرحلة من الدين سابقة على الاعتقاد بالآلهة المشخصة، يدور حول القوى الغامضة وأنّ تصورهم للقوى فوق الطبيعانية قد تضمن منذ القدم عدداً من الآلهة رسمت مخيلتهم لها شخصية وشكل بشري.

– أدخلت الرواقية*[٢٣] عنصراً روحياً على التفكير الديني وذلك بقولها: إنّ الروح الإنسانية هي جزء من النفس الكلية للعالم وتشاركها القداسة نفسها.

– لقد تمّ عبادة الأباطرة الرومان كما حصل (ليوليوس قيصر) فلقد تمّ تأليهه بعد موته .

– بعض الآلهة صُورت وفيها معالم الإنسان – الرأس أو اليدين أو الجسم – ولقد تمّ تبادل بعض الآلهة بين الشعوب، وكان مشترك بينهم أيضاً الآلهة الثلاثة

[٢٣] ـ الرواقية: هي ظاهرة تأثرت بالنزعات الدينية الشرقية.

(إله السماء، وإله الأرض، وإله الهواء، أو الفضاء) وفي الغالب كانت الآلهة تتنكر في هيئة البشر.

- إذاً أغلبهم متفق على آلهة للعالم الأعلى، وآلهة للعالم الأسفل، وآلهة للموت، وآلهة للخصوبة، وغيرها وبعض الآلهة كما أسلفنا بشكل رجال أو نساء أو أطفال .

مصادر البحث

١- موسوعة تاريخ الأديان لفراس السواح

٢- موسوعة الأديان دار ماكميلان مجموعة من الباحثين

٣- قصة الحضارة وول ديورانت

٤- الله والإنسان كارين آرمسترونغ

٥- فكرة الألوهية عند أفلاطون .د.مصطفى النشار

*****

١١ – نظرة على الديانة الهندوسية

إنّ الهندوسية تقول:

إنّ سَبرْ شخصية الإنسان وإحياءُها يكشف فيها احتياطاً من الوجود لا يعرف الموت، ولا ينفذ أبداً، وجود لا حدود لعلمه، وجود سعادته ونعيمه بلا حد.

– هذا المركز المطلق اللامتناهي لكل حياة هذه النفس المخفية أو (أتمان) ليست شيئاً آخر سوى براهمان نفسه " الله ".

– (**فبراهمان**) هو القاع الكلي غير المشخص للوجود الذي صدر عنه كل ما عداه من الناس والآلهة ومظاهر المادة.

– أمّا في حال الكائنات الحية من بشر وآلهة، ومن كل ما يدّب ويزحف على الأرض أو يطير في الهواء، فإنّ لها نفساً تدعى (أتمان) وهي تلك النفوس الفردية الموزعة بين الخلائق، وفي الوقت ذاته هي النفس الكلية المنبثقة عن (براهمان).

– فالنفوس رغم تباينها الظاهري هي في حقيقة الأمر نفس واحدة، وإلى هذه النفس الواحدة ترجع النفوس المتحررة المنعتقة لتذوب فيها.

– وقالوا:

إنّ الجسم، والشخصية، و(أتمان) " براهمان"، هي العناصر الثلاثة التي إذا لم نذكرها مجتمعة لا نكون قد وصفنا الحقيقة الكاملة للإنسان.

– وقالوا: إنّ اليوغات الروحية (التأمل) تهدف إلى تحقيق اتحاد روح الإنسان مع الله المحجوب والمستتر في أعمق أعماق الإنسان .

– إنّ تصور السالك في يوغا المعرفة (جنانا يوغا) عن الله بشكل أساسي، تصوراً لإله غير شخصاني، ذلك لأنّ صفة (الحقيقة المطلقة) التي تؤثر بالفيلسوف أكثر من صفاتها الأخرى، هي لا محدود لها ولا تناهي لها، وهذا عكس ما يستلزمه التصور الشخصاني لله، الذي يستلزم تحديداً لله من بعض الجوانب، حيث تتضمن الشخصانية إثبات بعض الخصائص لله ونفي أخرى .

– أمّا بالنسبة للأشخاص الذين يعني الحب لهم أكثر مما يعنيه العقل أو (الفكر) " يوغا حب الله " " بهكتي يوغا " يجب أن يكون تصورهم عن الله تصوراً مختلفاً لعدة اعتبارات منها:

١– بما أنّ الحب " في الحالة السليمة " عاطفة متجهة نحو خارج الذات، فإنّ "البهاكتي" (العاشق المنقطع لله) يرفض كل اقتراح يجعله هو نفسه الله الذي يحبه، أو حتى يجعل الله حقيقة النفس الكاملة في أعمق أعماقه ، بل يصرُّ عوضاً عن ذلك على الغيرية بينه وبين محبوبه الله، كما عبّر أحد النساك الهنود عن ذلك حين قال: أريد أن أتذوق السكر، لا أن أكون السكر نفسه.

٢- انطلاقاً من هذا الإدراك لغيرية الله، سيختلف هدف "البهاكتي" (متبع يوغا الحب والتبتل إلى الله) عن هدف "الجناني" (متبع يوغا المعرفة) فهدف "البهاكتي" لن يكون إدراك وحدته مع الله، بل عبادة الله والتفاني في خدمته بكل ذرات كيانه، ففي مثل هذا الإطار فإنّ شخصانية الله ضرورة حتمية لا غنى عنها، وهي أبعد ما تكون عن إيجاد حد لله المطلق، إنّ الذي يحبه الإنسان (في الحالة الطبيعية) لا بُدَّ أن يكون شخصاً، مَهْما كان ممجداً مطلقاً في صفاته وحكمته ورأفته ورحمته.

- نعم يمكن للفلاسفة أن يحبّوا الوجود المطلق الذي هو فوق كل صفة، ولكن هؤلاء الأشخاص استثناء من الناس .

- وقالوا: إنّ علاقة الله بالعالم تختلف طبقاً للنحو الذي يُدرك ويُتصَوّر الله فيه، إذا تُصُوِّر الله على أنّه كائنٌ شخصي فإنّ علاقته بالعالم ستكون مثل العلاقة بين الفنان وعمله الفني، إنّه سيكون الخالق(براهما) والحافظ (فيشنو) والمدمر(شيفا) الذي سيحُلُّ كل الأشكال المتناهية المحدودة ويعيدها ثانية إلى الطبيعة البدائية الأولى التي انبثقت منها .

- أمّا إذا أُدرك الله على نحوٍ لا شخصي فإنّه سيكون فوق الصراع وبمنأى عن المتناهي من جميع الوجوه (كما أنّ الشمس لا ترتجف صورتها على صفحة الفنجان المليء بالماء إذا اهتز)، كذلك لا يتأثر الله بالألم رغم أنّ ذلك الجزء

منه المسمى بالروح الفردية يحس بالألم، العالم سيبقى على الدوام معتمداً على الله (أشعَّ هو، فشعشعت الشمس والقمر والنجوم في إثره، بضيائه أضاء كل شيء...هو أذن الأذن وعقل العقل وكلام الكلام وحياة الحياة وعين العين).

- ومثلوا الله وصورته بأشكال لا حصر لها، وهذا كما يقولون أمر مناسب وفي محله، فكل شكل ليس إلاّ رمزاً يشير إلى شيء ما ورائي ولما لم يكن أي واحد من تلك الأشكال قادراً على الإشارة إلى الطبيعة الحقيقة لله بتمامها وكمالها، فإنّه من الممكن اعتبار المجموع الكلي لكل تلك الأشكال تصف الله بمظاهره وظهورا ته التي لا حصر لها، وعلى الرغم من أنّه يمكن لعدد من التماثيل والصور أن تُشير لله بشكلٍ متساوٍ، إلاّ أنّه يُنصح المريد بأن يُعلِّق قلبه طوال الحياة بواحد خاص من تلك المظاهر أو الظهورات لله، إذْ بهذا فقط يمكن لمعنى ذلك المظهر أن ينفذ إلى أعماقه وأن يستفيد المريد من قدراته الكاملة، هذا المظهر هو المثل الأعلى الذي يختاره الإنسان، لا يعني هذا أنّه يجب على البهاكتي أن يهمل ويتجنب جميع المظاهر والوجوه الأخرى لله، كل ما في الأمر أنّه يتحتم عليه ألاّ يهجر ويتخلى عن تلك الصورة التي اختارها مثلاً أعلى في كل حياته، يجب أن تبقى لتلك الصورة مكانةً خاصة وأولى في قلبه، وأفضل مثل أعلى لأغلب الأشخاص هو أحد تجسّدات الله، فالله يمكن أن يُحَبَّ بنحو أسهل وأيسر عندما يُظهر نفسه بالصورة الإنسانية، ذلك لأنّ قلوبنا مؤلفة على حب النظير في الإنسانية.

- يعترف كثير من الهندوس بالمسيح على أنّه " الله الإنسان " إلاّ أنّهم يعتقدون أنّ هنالك تجسدات أخرى لله مثل (راما - ماها فيرا- كريشنا - بوذا).

- تقول الأوبانيشاد عندما يضعف الخير ويزداد الشرّ:

أجعل نفسي جسداً، في كل حينٍ أعود، لأنقذ الصالح التقي، ولأهدم الخطيئة والخطاة، ولأثبّت الصالح المستقيم وأنصره.

- يطلق الهندوس على الله عندما يُفهم ويُتصور اسم (ساغونا براهمان)، أو الله المتصف بالصفات تمييزاً له عن إله الفلاسفة الأكثر تجريداً المسمى (نيرغونا براهمان) الله بلا صفات (فنيرغونا براهمان) هو البحر المحيط بلا أي تموج أو ترقرق، في حين أنّ (ساغونا براهمان) هو نفس ذلك المحيط لكن المتشقق بالأمواج المزبدة (وفي لغة اللاهوت التمييز هو بين المفهوم الشخصي واللاشخصي لله) .

- ويقولون عن (المايا):

وهي (معنى الوهم أو الظاهر الخادع) أنّ فكرتها تقوم أساساً من أجل الربط بين الواحد غير المتجزئ والكثرة التي تصدر عنّه، لأنّ الواحد لا يمكن أن يكون سبب الكثرة، ولذا فإنّ هذه الكثرة من موضوعات الطبيعة لا بُدّ أن تكون وهماً يمتُّ إلى عالم الظواهر الخدّاع، وما دامت الروح تعيش في دورة السببية فإنّها واقعة في إسار (المايا)، تعاين الكثرة والتنوع، كثرة الموضوعات الطبيعية، وتنوع

النفوس البشرية، ولكنها عندما تفلح في الانعتاق، فإنّ الوهم الكبير ينجلي، ويبدو لها الكون متوحداً في المطلق العظيم، فتنمحي الحدود بين الظواهر وتذوب الفروق بين الأرواح التي تعيش وهم التفرّد والاستقلال.

– أمّا الإله المشخص الذي عرفته النفوس خلال دهور دوراتها في السمسارا*[٢٤] فيبدو لها بعد الانعتاق على حقيقته، (براهمن الأزلي الحق)، بعد أن كان (براهمن + مايا) مثلما كانت النفس البشرية (نفساً + مايا) ويتحقق التطابق في الهوية بين (النفس أتمان) و(المطلق براهمن).

– وقالوا: عندما ترجع الأكوان إلى مصدرها في ليل براهما الطويل:

(لأنّه كما صدر هذا العالم عن براهمان، فسيعود إلى حالة الكمون الأولى إلى ليل براهما)، فإنّ الأرواح التي فنيت أجسادها لا تفنى ولا تنعتق، بل تبقى في حالة سكون غافلة عن نفسها ناسية أعمالها الماضيات، وعندما يبتدئ نهار جديد تنتبه الأرواح وتحمل كل واحدة حمل أعمالها السابقة مجدداً إلى دورة كاملة أخرى ليل ونهار مليارات السنين حتى يحين وقت الخلاص إذا حان له وقت، وهذه الأرواح التي تتناسخ في الأجساد البشرية والإلهية والحيوانية وحتى النباتية، وتنتقل من حجاب إلى حجاب من الأدنى إلى الأعلى وبالعكس حتى تحقق الانعتاق، وهذا الانعتاق لا يتحقق إلاّ انطلاقاً من الشرط الإنساني وحين تكون

[٢٤] - السمسارا: هو التقمص أو التناسخ في دورات متتالية بإنسان أو حيوان أو نبات .

الروح متقمصة في إنسان، فالإنسان وحده من دون بقية المخلوقات هو القادر على تخليص الروح وتحقيق الانعتاق، أمّا الآلهة فإنّ عليها أن تنتظر فرصة تجسدها في إنسان لتستطيع من خلال حياة إنسانية أن تنفلت من دورة السببية الكبرى.

- قالت الأوبانيشاد:

جواباً لمسألة كيف يمكن لموجود لا صورة له ولا فعل أن يخلق عالماً من الصور المرئية والمتغيرة ؟

- إنّ البراهمان المستور عبر قوته الخلاقة المتأصلة في ذاته قام بإنتاج (هيرانيا غاربها) أو (البيضة الذهبية) التي ظهرت عند فجر الخلق على بحر البراهمان وأصبحت الإله الخالق الفعال براهما، وخلق براهما العالم من خلال القوة السحرية (مايا) المتأصلة في البراهمان، وباعتباره إلهاً شخصياً يحتل مركزاً مرموقاً فقد أخذ لقب (إشفار) أو (الرب)، وهو لقب مُنح(لشيفا) المدمر، (ولفيشنو) الحافظ في سياقات أخرى، وهي تُمثل الحقائق الكونية.

- وقالوا:

بأنّ براهمان أتمان (أو الحقيقة النهائية اللاشخصية) يحقق ظهوراً دينياً مُهمّاً ثلاثي الأبعاد من خلال الآلهة المشخصة التي تمثل الوظائف الإلهية للخلق والتدمير والحفظ (براهما – شيفا – فيشنو) .

– لقد وصل العقل الهندوسي للغاية التي سعى من بداية انطلاقته للوصول إليها بالبرهان التجريبي الشخصي على وجود (البراهمن – الله) وعلى انطباق هويته على (البراهمان ذاته) لقد وصل بالاختبار التجريبي المِحَضْ للبصيرة النهائية بأنّه (حقاً ذاك هو أنت) .

– أسفارهم المقدسة هي أسفار الفيدا والتي تعود إلى حوالي الألف ق.م ويليها أسفار الأوبانيشاد والتي تعود إلى القرن الخامس ق.م والتي تعتبر ملحقات لكتب الفيدا .

ومن ضمنها ترنيمات دينية عبارة عن صلوات موجهة إلى إله واحد أو إلى اثنين أو أكثر من الآلهة، ومكان إقامة هذه الآلهة في الأرض والسماء وبينهما الهواء.

– ويقولون أتباع (ماهافيرا)*[٢٥] عن ولادته:

أنّها شيئاً خارقاً للطبيعة، وجرى إعلانه بأنّه من سلسلة طويلة من الكائنات المخلصة المسماة (تيرثانكار)، لقد انحدر من السماء ليدخل رحم امرأة ...إلى أن قالوا: فشبَّ طاهراً بلا إثم وكان كُلي المعرفة.

– جاء عند د. مصطفى النشار:

لقد تأثر الفيلسوف الهندي (شانكارا) " ٨٢٠ م " بقصائد الأوبانيشاد التي سبقته في اللاهوت الهندي، وهي تقول في بعض مواضعها بانقضاء عهد

[٢٥] ـ ولد الماهافيرا/٥٩٩/ ق.م تشابه قصته قصة السيد هارتا غوتاما (البوذا) المولود حوالي عام ٥٦٣ ق.م، حد التطابق الكامل حتى أنّ بعض الدارسين اعتقدوا أنّ الشخصيتين في الأصل هما واحدة.

أنصاف الآلهة الذين سردتهم ترانيم الفيدا ،وبشرت بقدوم الإله الحق وقررت أنّ آلهة الفيدا مجرد وسطاء بين الناس والإله الواحد الأحد كما ذكرت، وبموضع آخر أنّ الآلهة المتعددة هي مجرد مظهر لهذا الربّ الأعلى الباقي (براهمان) الموحد.

مصادر البحث

١- موسوعة تاريخ الأديان لفراس السواح

٢- دين الإنسان لفراس السواح

٣- مغامرة العقل الأول لفراس السواح

٤- أديان العالم .د.هوستن سنيث .ترجمة سعد رستم

٥- فكرة الألوهية عند أفلاطون .د.مصطفى النشار

٦ - مقارنة الأديان .د.أ.س.بوكيت. تقديم أميريكن

*****

١٢- نظرة على الديانة البوذية

- ولد الأمير (سيدهارتا غوتاما) حوالي عام /٥٦٣/ ق.م في الهند الشمالية ولقب فيما بعد (بوذا) وتعني المستنير أو المستيقظ أو الصاحي، وتبدي سيرة حياته تشابهاً واضحاً بسيرة حياة (الماهافيرا) المولود /٥٩٩/ ق.م إلى حد التطابق الكامل حتى أنّ بعض الدارسين اعتقدوا أنّ الشخصيتين في الأصل هما واحدة .

- بعد زواجه ترك زوجته وابنه وتحول إلى حياة الزهد والتحق بالنساك الباحثين عن الحقيقة، وبعد بذله المزيد من الجهد في التركيز أقسم أن لا يبرح مكانه حتى تأتيه الاستنارة الكاملة، وعندما استفاق من استغراقه على الحقيقة الكاملة - متحرراً من إسار المايا ودورة الحياة والموت - فصار (البوذا المستنير) .

ورغم أنّه كان جاهزاً للانعتاق والدخول في النيرفانا*[٢٦] الأبدية، إلاّ أنّه فضّل البقاء في هذا العالم من أجل إرشاد البشر إلى الطريق الذي انكشف أمامهم، فانطلق يسير ويجمع الأتباع .

[٢٦] ـ النيرفانا: هي نهاية الصيرورة المؤلمة، أو هي الأمن النهائي، وهي الملكوت عند المسيحية، والجنة عند المسلمين.

- وتذكر الروايات البوذية، أنّ بوذا وهو في أحد جلسات التأمل جاءه الشرير (الشيطان) لإغوائه لأنّه الوحيد المنزعج من ولادة وتنور غوتاما (البوذا)، فهاجمه بصورة (مارة) إلهة الرغبة والموت واختبره بغيرها من الاختبارات لكنّه بقي صامداً، فما كان من الشرير إلاّ أن ولى هارباً، وبعد ذلك بوقت قصير جاءه التنوّر، بعد أن نجا من مكائد واختبارات الشرير.

- أوردت الماهايانا البوذية قصة أربع رجال كانوا يسافرون عبر صحراء مترامية الأطراف، حتى وصلوا إلى مجمع محاط بجدران عالية، فقرر أحد الأربعة أن يكتشف ماذا يوجد بالداخل، فتسلق الجدار وعندما وصل إلى القمة، صاح صيحة البهجة وقفز إلى الداخل، وفعل الثاني والثالث نفس الشيء، ولكنّ عندما وصل الرابع إلى قمة الجدار ورأى أسفل منه حدائق غناء ساحرة تجري فيها الينابيع والجداول الفوارة والبساتين اللطيفة والأثمار والفواكه المترفة، ورغم حنينه إلى القفز إليها، قاوم هذا الإغراء، إذْ تذكر المسافرين الذين يجوبون الصحاري الحارقة ،فقفز عائداً إلى الوراء، ورجع إلى الصحراء، ليكرّس كل حياته لتوجيههم نحو هذه الجنة، فالأشخاص الثلاثة الأوائل هم آراهات أمّا الشخص الأخير فهو البودهي ساتفا (أي الشخص الذي أخذ على عاتقه أن لا يهجر هذا العالم أو يتخلى عنه إلاّ بعد أن يستنير الشعب نفسه) .

- إنّ الماهايانيون يولون الإجلال لبوذا، ويقولون لم يمكنه أن يكتفي بهذه البشرية التي وإن كانت بشرية استثنائية بلا شك، إلاّ أنّها تبقيه بشراً مع ذلك، بل كان بوذا بالنسبة إليهم مُخلّص العالم الذي استمر بسحب المخلوقات نحوه بأشعة يديه الجواهرية، فالأسير والمقيّد، والعوالم وراء العوالم، كلها تُسحب نحو التحرير بفضل الأشعة المهداة من الرب.

- أمّا بوذية الزن وحالة الساتوري المتأمل كما تقول بعض الروايات (زت آه) لقد دخلتُ، لقد فقدتُ حدود جسمي الفيزيائي، نعم أملك جلدي طبعاً ولكنني أشعر أنني أقف في مركز الكون، أرى الناس يأتون نحوي، ولكنهم كانوا جميعاً نفس الرجل، كانوا جميعاً أنا نفسي، لم أعرف هذا العالم أبداً من قبل، لقد اعتقدت سابقاً أنني خُلقتُ ولكن الآن يجب أن أغير رأيي، أنا لم أُخلق أبداً أنا كنت الكون نفسه، لم يكن يوجد فردٌ أبداً.

- أمّا بوذية التيبت فإنّها تهب السلطات الدنيوية والروحية (للدالاي لاما)، لأنّه يُجسد على الأرض المبدأ السماوي الذي تُشكل الشفقة والرحمة أهم عناصره وسماته، فهو "البودهي ساتفا" وفي الصين "كوان يين" (إلهة الرحمة).

- يقولون :

أنّ البودهي ساتفا قد ارتفع إلى النقطة التي يفقد فيها التمييز بين الزمن والأزلية، الزمن والأزلية أصبحا الآن مظهران لنفس الواحد، الكل يجرب ويشعر به كجانبين لنفس الزاوية (إنّ جوهر الأزلية تكمن في لوتس الولادة والموت) .

– أمسك البوذيون العاديون بالرجل الكامن من خلف تعاليمه، ورأوا الألوهية فيه وشعروا بالنية الخلاصّية في قدومه بين الناس، وانقادوا لها ،مُتيمين به ، وكان بالنسبة إليهم إنساناً فاتناً له كل امارات الإنسان الأعلى (السوبرمان) وقدراته، وكان جسده مسكناً بدنياً يتحرك في داخله كائن سماوي جاء إلى الأرض في جسد مجيد يتخلل الجسد المادي الأرضي ويمنحه الكثير من علامات الإنسان الأعلى .

– كتبت المواعظ الدينية البوذية في كتابهم (التريبيتاكا) وهي كتاباتهم المقدسة، ودوِّن المأثور الشفوي بوصفه الشريعة (الباليّة – pali) .

– تذكر النصوص الباليّة رغم اختلافها ببعض النصوص:

أنّ حكيم بني ساكيه لم يكن البوذا الوحيد الذي يظهر في العالم، فقد كان له أسلاف في العصور الأخرى، يصل عددهم إلى ستة كما تقول النصوص الباكرة، أو إلى أربعة وعشرين كما تقول النصوص المتأخرة، وتؤكد كذلك أنّ البوذا كان كائناً إلهياً، يعيش في سماء توشيتا ومن هناك جاء إلى الأرض، وانغلّ في رحم أمه، وولد إنساناً وصارت طبيعته الإلهية بادية في تنوِّره، وحياة المثال النقي والتعليم، وطريقته في الحياة هي الطريقة الحقيقة بالنسبة إلى كل الناس، وليس هناك من سبيل آخر للخروج من الشقاء إلى السلام، وهو نفسه في سلام تام، والبوذا القادم – وهو الآن بودهيساتفا – وفي الباليّة – بودهيساتا – أي

الذي هو بوذا في طريق التكون – وهو مايتريا – إنّه ينتظر الوقت المناسب ليأتي إلى الأرض، حيث سيصل إلى التنوِّر ويعمل للناس في عصره ما عمله غوتامه من أجل هذا العصر.

- كان البوذا غوتامه يُقدَّس ويُعبد بوصفهم له كائناً إلهياً، جاء إلى الأرض بدافع الحنو على البشرية المتألمة، والأسطوريات المدونة في حبتكه بحدود القرن الثاني ق.م تشرح كيف أصبح الكائن العظيم الذي صار البوذا من خلال الوجودات الكثيرة وفقاً لكل الكمالات ووصل أخيراً إلى مكانٍ في سماء توشيتا وجاء منه إلى الأرض.

– وهناك فرقة هندية من أتباع فيشنو في القرن الرابع للميلاد تبنوا فكرة أنّ البوذا هو التجسيد التاسع لـ(فيشنو).

– تقول المهايانا البوذية:

أنّ منشئو الخلاص ثلاثة مراتب:

١– بوذات المنوشيون: وهم المخلّصون الذين ظهروا مثل غوتامه على الأرض في الماضي بوصفهم بشراً، ووصلوا إلى التنوّر وأشاروا إلى الناس بإتباع السبيل القويم في الحياة، ثمّ انقضى واجبهم وحققوا النرفانا، وهم في الدرجة الأولى معلمون، ولا يمكن أن تصل إليهم الابتهالات بعد ذلك.

٢- البودهيساتفاد: جماعة كبيرة من الكائنات فائقة الطبيعة، وهي التي تسمع الابتهالات وتأتي لمساعدة الناس بهمةٍ ونشاط، وقد كانت الرؤية الشعبية الشائعة لهم ولا سيما في الصين واليابان هي أنّهم كائنات نذرت نفسها قبل وجودات كثيرة لتصير بوذات، وعاشت منذ ذلك الحين على نحو تكسب فيه مَعيناً يكاد لا ينضب من الحسنات، وهذه الحسنات كبيرة جداً بحيث تستطيع بيسر أن تصل إلى منزلة البوذاوات وتنتقل إلى النرفانا، ولكنّها كائنات حانية، فهي لما تتمتع به من المحبة والشفقة على البشرية المتألمة تؤجل دخولها في النرفانا وتحوِّل حسناتها إذا دعت الحاجة إلى الذين ينادونها في الدعاء، أو تمنحهم أفكارها الورعة، وهي تقعد في السماوات متبوئة العرش وتنظر إلى الأسفل صوب المحتاجين، وفي بعض الأحيان وهي في حال الشفقة الخلاصية تنزل إلى الأرض في هيئة ملائكة الإسعاف لتأدية فِعال الرحمة.

- وعند الماهايانه أيضاً (أفالوكيتسفارة أو السيد أفالوكيتا) فإنّ لديه اهتماماً خاصاً بالناس في الزمن الحالي، إنّه التجسيد الشخصي للحنو القدّسي الذي يكلأ كل الذين يسكنون العالم برعايته، ويقال أنّه قد جاء إلى الأرض أكثر من ثلاثمائة مرة في هيئة إنسان، وفي إحدى المرات وصف بالحصان الأعجوبة لينقذ الذين ينادونه وهم في خطر عظيم، وهو يصرف المصائب المعنوية (الغيظ . الحماقة – الشهوة –...إلخ)، وأيضاً كل الآلام والكوارث المادية (كالدمار – السلب – الموت العنيف – ...إلخ)، وهو يهب الأطفال للنساء اللواتي يتوسلن

إليه، وصورته التي تمثله في العادة وهو في لباس أمير عظيم يعتمر برأسه عمرة عالية ويحمل بيده اليسرى زهرة لوتس حمراء.

٣- ومن البودهيساتفات أيضاً (كشيتيفاربا) وهو يحتل رتبة عالية في التقدير الشعبي، والسبب الأساسي لذلك هو أنّه بإشارة من الأقارب والأصدقاء الحزانى، ينزل إلى التلال ويُنجي المتألمين ويرفعهم إلى السماء، وفي تجسيداته السابقة صار امرأة مرتين مما يفسر لطفه الدائب ورحمته الرقيقة واهتمامه بمساعدة النساء وهنّ في مخاض ولادة الطفل.

- وعند المهايانا - البوذات الدهيانيين الأساسيين - هم الثلاثة: (فايروكانا - بهاسياجيا غور- أميتابها) الأول هو البوذا الشمسي، والثاني بوذا الشفاء، والثالث أميتابها كان فيما مضى راهباً ، نذر نفسه قبل دهور لا تحصى أن يصير بودهيساتفا، وارتفع إلى رتبته الحالية، وهو الآن يُشرف على الفردوس الغربي، الذي أوجده ويسمى (سكهافتي) أو أرض النعيم ويُعرف عموماً بالأرض الطاهرة، ولأنّه السيد العطوف لهذه السماء السعيدة في ربعها الغربي ويُقبل إليه كل الذين يتضرعون إليه وهم مؤمنون به.

- بالمجمل أدى خط الفكر البوذي المهاياني إلى تعليم لعلّه أكثر التعاليم البوذية إلهاماً على الإطلاق، كما أنّ البودهيساتفات الذين هم الآن إلهيون قد كانوا فيما مضى بشراً قد نذروا أنفسهم في ماضٍ بعيد أن يصيروا بوذات، ثمّ أجّلو

عن مَحضِ الإيثاريه دخولهم النرفانا بتحويل حسناتهم إلى الآخرين لمساعدة المحتاجين.

– أنشأت المدارس المهايانية مذهب الجسد الثلاثي (التريكايه trkata) ووفقاً لهذا المذهب توجد (أجساد ثلاثة لحقيقة البوذا) :

الأول – هو جسد البوذا الكوني أو المطلق (الدهرمة كاية) .

الثاني – هو جسد التمتع عند البوذا أو جسد النعيم الروحي(سمبهوغاكاية).

الثالث – هو جسد الأشكال الدنيوية والأرضية لتبديات البوذا (النيرمنكاية).

ويشير الأول إلى الحقيقة الخالدة للبوذا التي هي الأساس والمصدر للعالم المعروف والمقدّم إلى وعي البوذي المتنور.

والثاني هو التبدي السماوي أو القوة الروحية القادرة على الدخول الخلاصي في التاريخ واتخاذ الاسم والشكل.

والثالث هو التبدي لجسد النعيم الروحي في المظاهر الأرضية.

فالأول هو البوذا التاريخي غوتامه وهو غير متميز وغير شخصي، والثاني متميز وشخصي ، والثالث هو التبدّي الأرضي للثاني.

– وعلّم كوكاي (رئيس معلمي الدهرمه في القرن التاسع عشر في اليابان) " الكلمة الحقيقية " التي هي أنّ كل ظواهر الكون، وفي جملتها البشر هي تجليات

لـ(الجسد والصوت والذهن)، والتي هي وفقاً للتنترات (الأسرار الثلاثة) التي لا يعرفها إلاّ المتنوّر تماماً بحقيقة الكائن الواحد الكلي الشمول وهو البوذا الدهياني العظيم (ماها- فايروكانا) وهو الشمس العظيمة، والبوذات والبودهيساتفات الآخرون هم انبثاقات منه، أطوار من طاقته (التي لا تفنى) وهي في حالة العمل في الكون، وكان البوذا غوتامه تجلّيه الأرضي التاريخي.

مصادر البحث

١- موسوعة تاريخ الأديان لفراس السواح

٢- دين الإنسان لفراس السواح

٣- مغامرة العقل الأول لفراس السواح

٤- أديان العالم.د.هوستن سنيث .ترجمة سعد رستم

٥- مقارنة الأديان .د.أ.س.بوكيت. تقديم أميريكن

******

١٣- نظرة على الديانة الكونفوشية

ولد (كونفوشيوس) حوالي عام ٥٥١ ق.م في مقاطعة شانتونغ بالصين وفارق الحياة عام ٤٧٩ ق.م عن عمر ناهز ٧٢ عام .

- كان يرى في المسائل الميتافيزيقية واللاهوتية مضيعة للوقت، لأنّ الإنسان يجب أن يولي جل اهتمامه لكيفية سلوكه في هذا العالم، فقد سأله أحد تلاميذه كيف نستطيع أن نخدم أرواح الأسلاف، فأجاب:

(أنَّك لم تتعلم بعد أن تخدم الأحياء، فكيف تستطيع أن تخدم الأموات) ؟. وسأله آخر عن الموت وطبيعته وحال الأموات فأجاب:

(إنَّك لم تصل إلى فهم الحياة بعد ،فكيف لك أن تفهم الموت) ؟

استمرت في الصين طقوس التعبد وتقديم القرابين للأرواح وبخاصة أرواح الأسلاف، بنفس الزخم والنشاط، بينما كانت أرواح سلالة (شانغ) تُطاع لنفوذها.

كانت أرواح سلالة تشو تُعبد من أجل تمجيد الفضيلة التي تجسدها.

- قال (كونفوشيوس)عن نفسه: في الخمسين من عمري وعيت الرسالة المقدّسة التي أنيطت بي، وكانت قناعة تلاميذه أنّه لم يوجد على وجه الأرض

مثل معلمهم، حتى قال أحدهم: (إنّ السماء ستستخدم هذا المعلم كجرس لإيقاظ الناس).

- كتب (كونفوشيوس) حوليات الربيع والخريف (تشون تشيو) وكتب أيضاً التفاسير العشرة (الأجنحة العشرة) وكتاب التحولات أي (تشينغ) وكتاب المزامير (شية تشينغ) وكتاب التاريخ (شو تشينغ) وكتاب الطقوس (لي تشي) وكتاب الموسيقا (يوية تشنغ) وشرح كتاب التغييرات أشهر الكتب الحكمة الصينية.

- من أقواله: آكّلُ الطعام الخشن، وأشرب الماء، وأمدُّ يدي أو ذراعي على وسادتي، لا زلت أمتلك البهجة والسعادة في وسط كل هذه الأشياء، لا تعني لي الثروة والجاه اللتان يمكن الحصول عليهما عبر الابتعاد عن الاستقامة، وعبر الظلم، أكثر من غيوم معتمة.

- بدأ تمجيده عند موته، وكان التحرك فورياً بين تلاميذه، قال تسوكونغ: (إنَّه الشمس، وإنّه القمر الذي يستحيل الصعود إليه، إنّ استحالة أن نجد مكافئاً لمعلمنا تشابه استحالة الوصول إلى السماء بالصعود على سلم).

- وخلال بضعة أجيال تمّ النظر إليه في كل أنحاء الصين على أنّه الناصح الأعلى والمثال المقتدى لعشرات آلاف الأجيال، وقد أُطلق عليه بعد وفاته عدة ألقاب (الجليل، والحكيم، والمكتمل الصفات، وحكيم الأزمنة الغابرة...إلخ)،

وكانوا يقدمون القرابين لروحه، ويقيمون الاحتفالات والطقوس الدينية ويتضرعون عند تمثاله، ومنهم من يقول أنّه مساوياً لسيد السماء.

- آمن بعض تلاميذه أنّ الرجال قادرون على أن يصبحوا (تشون تزو) أي إنساناً كاملاً، وقد قدروا عالياً فضائل المروءة والاستقامة الأخلاقية الكونفوشية.

- لقد تبنى (موتسو) أحد أتباع (كونفوشيوس) فكرة الحب الشمولي، لأنّ بتبادله تتوقف كل الكوارث والنزعات والشكاوى والكراهية، ويقولون عنه أنّ راديكالية موقفه هي التي أقنعته أنّه مدعوم من قبل (شانغ تي) الحاكم والملك الأعلى (الإله الشخصي) الذي يحب الناس كثيراً، وسّخر الشمس والقمر والنجوم، وأنزل الثلج والصقيع، والمطر والندى، وأرسى التلال والأنهار والسهول والوديان، ونصّب الأمراء والرؤساء، ليكافئوا المستقيمين ويعاقبوا الأشرار.

- إنّ السماء تحب العالم بأكمله وبنحو شامل، كل شيء تمّ إعداده لأجل خير البشر.

- حتى الألفية الأولى قبل الميلاد كانت النظرة الكونية للصينيين تُركب من ثلاثة عناصر مترابطة:

أولها السماء والأرض أُعتبرتا وحدة متصلة، ولا نقصد بهما المكان فقط بل الساكنين فيه، والناس الذين كانوا يسكنون السماء هم (الأسلاف) - (تي) - الذي يحكمهم سلفٌ أسمى وأعلى هو (شانغ تي)- الأعلى - السماء هي

بالطبع العالم الأهم أكثر بكثير جداً من عالم الأرض، فساكنوا السماء أكثر وقاراً وجلالاً وسلطتهم أكبر وأعمق، ونتيجة لذلك فإنّهم يتحكمون بعزة ووقار أهل الأرض، ويهيمنون على تصوراتهم، ولما كانت السماء والأرض يعتمد كل منهما على الآخر، كان لا بُدَّ لهما من التواصل مع بعضهما، بسبب حاجة كل منهما إلى الآخر وكانت الطريقة الأوضح التي تكلمت بها الأرض مع السماء هي تقديم القرابين، وكان يُطلق على حاكم الأمة الصينية (ابن السماء).

– لقد آمن (كونفوشيوس) أنَّ أول شيء يجب على الإنسان ال(تشون تسو)

– الإنسان الرشيد الناضج – أن يحترمه هو (إرادة السماء) .

وقال: (إنّ السماء عينتني لتعليم هذه العقيدة)، وعندما كانوا ينكرون تعاليمه يقول لهم: (هناك السماء تعرفني).

– إنّ المثل الأعلى في الكونفوشية هو وحدة الإنسان والسماء، مُضيفين أنّه في عقيدة الوسط، ثُمَّ وصف لذلك المثل الأعلى كإنسان يشكل مع السماء والأرض ثالوثاً مقدساً.

– تبنت الكونفوشية الجديدة (عقيدة التوسط) التي تقول:

(إنّ ما قضت به السماء بالنسبة للإنسان هو طبيعته، وتتركز ممارستهم في صقل هذه الطبيعة التي هي خيّرة من حيث الأصل، والغاية من هذا الصقل هو الوصول إلى الحكمة التي بمقدور كل الناس التوصل إليها، والحكيم هو مثال

الطبيعة الأخلاقية المكتملة، وهو النموذج الحي للسبيل الذي يجب أن يتبعه المرء ليحيا حياة تتفق مع تعاليم السماء)، وبهذا يعتبر الحكيم (هو التجسيد لمبدأ السماء)، وهم يرون أنّ السماء العليا هي مبدعة كينونتنا.

- ظهرت مجموعة النصوص في القرن الأول قبل الميلاد يقولون عنها أنّها منحولة، أُطلق عليها اسم (وي)، وقد احتوت على معجزات وتعاويذ وتمائم وتنبؤات، وقد نُسب كثيرٌ منها إلى (كونفوشيوس)، وقد صُوّر مثل كائن إلهي في هذه النصوص، فمثلاً هناك القصة التي تحكي ميلاده فتقول: (عندما ولد (كونفوشيوس) وُجد في فمه قطعة من اليشب - حجر كريم أخضر اللون - وقد نُقش عليها أنّه الملك غير المتوج (سووانغ) وهذا يعني أنّه هو الملك المفروض بأمرٍ من السماء...إلخ.

*****

١٤- نظرة على ديانة الشينتو عند اليابانيين

الشينتو: هو الدين التقليدي (شن تاو): **أي طريق المبدأ الأقدس الكلي المحيط بظواهر الكون**، وهو المبدأ الذي أشاروا إليه تحت اسم (كامي)، (فالكامي) محور إيمان الشنتو وعباداتهم ويعني الإله أو جمع الآلهة .

- يتعامل اليابانيون مع (الكامي) كقوة شمولية متخللة لمظاهر الكون بالرغم من وحدتها، وهي تتوزع في عدد من الكائنات القدسية الماورائية التي تنتظم في هيكلية مراتبية على قمتها الإلهة الشمسية (أما تيراسو)، وإضافة إلى هذه العبادة فإنّهم يعبدون أيضاً كل مظاهر الطبيعة لأنّ فيها شيء من الروح المقدسة تسكنها، لذلك يعبدون الشمس والقمر والنجوم والبرق والصواعق والأنهار والينابيع والصخور والأشجار...إلخ، يضاف إلى ذلك بعض الرجال والنساء المميزين الذين أدّوا خدمات رفيعة للمجتمع يمكن أن يُؤَلهوا وتُقدم لهم العبادات في المقامات الدينية.

- كذلك قد تتكثف هذه القوة في بعض الأرواح فتمتلئ قدسية وترتقي إلى رتبة الآلهة.

- إنّ المقام الديني الياباني ليس مجرد مكان للعبادة أو لحفظ رماد الأموات من الأسلاف وغيره، بل مكان لتبجيل(الكامي)، ولذا فإنّه بقعة مقدّسة، وتبعاً للاعتقاد بأنّ (الكامي) قد اتخذت هيئة إنسانية فإنّه من الطبيعي أن يعتبر المقام بمثابة مسكن لإقامتها .

- وشجرتهم المقدسة هي السكاكي .

- وتقول قصة الخلق عندهم أنّ الإلهة (أما تيراسو) وهي (الكامي) التي أوجدت السلالة الملكية وقد أورثت نسلها امرأة تمثلها، لذلك كانت المرأة عبر القرون تعتبر رمزاً للسلطة ورمزاً لحضور (الكامي) في العالم .

- و(الكامي) الوحيدة التي تُعبد في المقام الديني هي بشكل رئيسي التي اتخذت هيئة إنسانية .

- والبشر عندهم أطفال (الكامي) منه تلقوا الحياة ،وبه يستمرون في كل يوم، من هنا تأتي قدسية حياة الإنسان .

- (فالكامي) الذي يرى فيه الياباني المبدأ الكلي الأقدّس المحيط بظواهر الكون جميعها، ليس ألوهة مفارقة متمايزة عن خلقها، بل هو الخميرة الفاعلة في صميم هذا الخلق، ونظراً لكونه متخللاً في كل شيء، فإنّ قوته تتكثف في بعض مظاهر الطبيعة أكثر من غيرها، ولذا يعلى من شأن هذه وتُعبد، كما قد تتكثف هذه القوة الفاعلة في بعض الأرواح فتمتلئ قدّسية وترتقي إلى رتبة الآلهة، والتي ليست في حقيقة الأمر سوى قوة المجال القدّسي وقد تجزأت وصارت صلة وصل بين (الكامي) والإنسان .

*****

١٥- نظرة على المعتقد عند التاويه

- نشأت على يد (لاو تسو) الذي ولد حوالي ٦٠٤ ق.م وتعني ترجمة اسمه السيد الكبير القديم .

- إنّ الديانة الصينية التقليدية حافلة بالآلهة من كل نوع، ولكنّ هذه الكائنات المتفوقة المدعوة بالآلهة ليست في الواقع إلاّ أسلافاً أسطوريين تمّ رفعهم تدريجياً إلى مراتب أعلى في سلم السلطة الكونية، وتُظهر السِّير الأسطورية لحياة هؤلاء كيف ابتدأ أمرهم كرجال صالحين على الأرض، وكيف تمّ تأليههم وعبادتهم فيما بعد.

- والمصدر الحقيقي لقدرة الآلهة الصينية يتمثل بقوة السماء (تي- يين) ومن أسمائها (شانغ تي) أي الحاكم الأعلى، وعندهم أنّ كل ما في الكون هو مزيج من طاقة موجبة (يانغ)، وأخرى سالبة (ين) وهذا ما دُوّن بكتاب حكمة التغييرات الذي كرس (كونفوشيوس) وقت كبيراً لدراسته والتعليق عليه.

- عاصر حكيم التاويه (لاو- تسو) (كونفوشيوس) وكان أكبر منه سناً.

- إنّ (التاو) هو الخلفية الساكنة للوجود، ومصدر عملية الخلق الدائمة التي تنطلق منه وتعود إليه.

- ويقولون أنّ: (لاو تسو) قد تجلّى لـ(تشانغ تاولينغ) من عالم الأرواح، وأعطاه توجيهاته وتعليماته لذلك أعطي لقب (المعلم السماوي) بعد موته.

- ولقد جرى في بداية المئة السادسة الميلادية تقدّيس (لاو تسو) تحت اسم

الإمبراطور الغامض الأصل، وجعلت له بطانة سماوية على طريقة البوذا .

- عندهم للوصول إلى المعرفة الذاتية (العرفان) هي نكران الذات (التجرد من الأنا) والنقاء (الطهارة النفسية) والهدوء والسكون العاطفي، وتصل هذه الشروط إلى ذروتها عبر التأمل العميق (أجلس في صمت أو أقم في الصمت، وستجد أنّ تألق وإشعاع الروح سوف يأتيك ويجعل منك بيته).

- وعندهم أكثر العناصر مشابهةً (للتاو) في عالم الطبيعة، الماء (إنّ الخير الأسمى مثل الماء ، يغذي كل الأشياء دون عناء ، إنّه يكتفي ويقنع بالأماكن الدنيا التي يزدريها ويترفع عنها الناس لذلك فإنّه مثل التاو).

- وكانوا ينزعون إلى البساطة والفطرة، يقول (تسو):

(إنّ السماء والأرض كفناي الخارجي والداخلي، والشمس والقمر والنجوم أغطيتي، وعالم الخليقة كله موكب جنازتي فماذا أريد أكثر من ذلك).

- وكتابهم الرئيسي (طاوتي شينغ) أو(الطريق) وقوته بعد كتاب (التغييرات).

- تقوم حكمة التغييرات على عدد بسيط من المفاهيم الأساسية (كل شيء يجري ويجري دون توقف كماء النهر)، ولكن هذا التغيير الدائم يقوم على أرضية ثابتة غير متغيرة، هذه الأرضية الثابتة هي (التاو) الوحدة الجوهرية الكامنة وراء الكثرة المتبدية، والواحد الذي يعطي للمتعدد الأساس والمعنى إنّه البداية العظمى لكل الموجودات.

*****

١٥- نظرة على الديانة الزرادشتية

أُختلف في مولد زرادشت، فمن قائل في القرن السادس قبل الميلاد، ومنهم من قال في القرن العاشر قبل الميلاد، ولد شرق إيران، ولكن نشاطه بدأ شرقاً في بلاد خوارزم القديمة، في سن الثلاثين جاءه الوحي حيث ظهر شخص بتسعة أضعاف حجم الإنسان أمام زرادشت، لقد كان الملاك الرئيس - فوهومانا - (الفكر الخير) الذي استجوب زرادشت، ثمّ أمره أن ينزع عنه جسده المادي وأصعده كروح مُنَزَّهَه إلى حضرة الرب الحكيم والكائن العلي المحاط بملائكته (أهورامزدا)، وحالما ظهر في المجمع السماوي لم يعد يرى ظله على الأرض وذلك بسبب البهاء العظيم للملائكة المقربين الذين طوقوه، وبعد ذلك دعا أهورامزدا زرادشت إلى النبوة، وقام بتعليمه مبادئ الدين الصحيح.

- أول ما يتوجب على المؤمن لدخول الدين الجديد، الشهادة التي تقول: أشهدُ أنيّ عابد للإله (أهورامزدا)، مؤمن بزرادشت كافر بالشيطان، معتنق للعقيدة الزرادشتية، أُمجد الإميشاسبينتا الستة، وأعزو (لاهورامزدا) كل ما هو خيّر.

- في نظر الزرادشتية الإنسان روحاً وجسداً، فروح الإنسان ليست أسمى من جسده، والجسد ليس منبعاً للشرور، ولا رداءً مؤقتاً نسعى إلى التخلص منه من أجل الالتحاق بالعوالم الروحانية، بل هو الشرط الأمثل الذي يحقق للروح حياة ذات معنى، لذا فإنّ الأرواح عندما تنفك عن أجسادها بالموت، فإنّها تبقى في حالة انتظار تحنُّ إلى الاتحاد بأجسادها من جديد في يوم البعث الأخير، لذلك

تستبعد الزرادشتية كل ممارسات الزهد والتقشف الهادفة إلى تعذيب الجسد طمعاً في تخليص الروح من آثامه، لأنّ على الإنسان أن يكافح الشرّ بروحه وجسده معاً ليتمكن من أداء مهمته.

– وعندهم أنّ الزوجين الأولين خرجا من نبتة عندما افترقت عنهما الأوراق، وكانا ملتصقين في وضعية العناق، وهما(ماشيا وماشيو)، فنفخ الله فيهما روحاً فانتصبا أمامه بشراً سوياً، وقال لهما أنتما سلف العالم خُلُقتما كاملين، فحافِظا على الفكر الحسن والكلمة الحسنة والعمل الحسن ولا تخضعا للشيطان، ثمّ جاءت الملائكة وعلموهما بعض الأعمال اللازمة للإنسان .

– تكلمت الزرادشتية عن مخلّص يأتي في آخر الزمان من نسل (زرادشت) يولد يشكل إعجازي وهو إنسان يولد من أبويين بشريين، لأنّ خلاص العالم برأيهم مسؤولية الإنسان، ويعلن عن نفسه في الوقت المناسب.

– وعظ (زرادشت) باسم الإله العلي (اهورامزدا)، الربّ الحكيم أو سيد النور أو سيد الحكمة.

– حدثت بعض التغيرات للزرادشتية ، فلقد أصبح(زرادشت) في عيون أتباعه شخصية شبه إلهية تجلى وجودها بظواهر خارقة، مجيئه معلوم وتمّ التنبؤ به قبل (٣٠٠٠) عام من قبل الثور البدئي الأسطوري، والملك – يسيما– اللذان حذّرا في العصر الذهبي الشياطين بأنّ هزيمتهم قد دنت، وبإنذار الشياطين المسبق فقد جاهدوا لمنع حدوث ما كانوا يخافونه أشد الخوف، لقد راقبوا بهلع الطريقة التي

سوف يولد بها (زرادشت)، فلقد توحد مجد (أهورامزدا) مع الأم المستقبلية لزرادشت لحظة ميلادها، وهيأها لتحمل بالنبي، وفي الوقت نفسه تمّ غرس أرومة محمية بفعل إلهي من نبات الهاوما مع روح النبي القادم السابقة لوجوده (الفرافاشي*)،[٢٧] وسوف يشرب والد (زرادشت) العصير ممزوجاً بحليب مركّز في الوقت المناسب .

– أهم كتب الزرادشتية هو كتاب الأفيستا المقدّس إضافة إلى نصوص (الياشا وفينداد) وأناشيد الغاثا والياشت.

– أورد د. مصطفى النشار: إنّ زرادشت لم يأبه بآلهة قدامى الإيرانيين، ولم ينطق باسم واحد من هؤلاء متوسلاً به، أو متضرعاً إليه، فمن شأن هذا كله يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنّ زرادشت الحكيم لم يعتقد بوجود خالق قادر غير (أهورامزدا) الذي كان يتوسل به ويتضرع إليه، ومما يؤيد هذا الرأي معنى (أهورامزدا) نفسه، فإنّه مركب من ثلاث كلمات هي (أهو– را– مزدا) ومعناها على الترتيب (أنا–الوجود– خالق) أو (أنا مفيض الوجود أو خالق الكون).

فكرة الأُلوهية عند أفلاطون

*****

[٢٧]- الفرافاشي: هي نفس الإنسان السابقة لوجوده، أو روحه والمرتبطة بالذات العلية (أهورامزدا) من البدء، وتتشارك هذه الأرواح أو النفوس مع(أهورامزدا) في طبيعته ونوره الصافي.
أو كما تقول الموسوعة البريطانية: هي الأرواح الأزلية أو سابقة الوجود- هذه الكائنات التي من الصعب توصيفها نتيجة طبيعتها المختلطة، تبدو في الأساس أنّها أرواح الأسلاف التي تحرس الأحياء، وبدورها تتوقع منهم التقديس.

١٦- نظرة على الديانة المانوية

ولد ماني عام /٢١٦/م من أسرة إيرانية تدعى بالمغتسلة لطقوس التعميد بالماء، عندما بلغ الثانية عشر من عمره هبط عليه الوحي من السماء عن طريق كائن نوراني يدعى بـ(التوم)، ثمّ عاوده وهو في الرابعة والعشرين، وأمره أن يظهر للناس ويبلغهم ما أمره الله تعالى به.

- عندهم أنّ روح الإنسان هي قبس من النور الأعلى ومن جوهر الله، ولكنّه قبس حُبيس في سجن المادة.

- لقد طوّر (ماني) إلهاماته التي تلقاها من الوحي السماوي في عدد من الكتب التي لم يبقّ منها إلاّ النتف، لمُ ينكر الديانات السابقة ولكنّه اعتبرها مؤقتة وأعطى لنفسه لقب (خاتم الأنبياء)، لقد اتخذ (ماني) الثنوية الإيرانية منطلقاً له، لكنّ المانوية ترفض اعتبار الخير والشر قوتين متكافئتين، كما ترفض اعتبار ممثل الشر إلهاً يقف على قدم المساواة مع الله، وهذه نقطة خلافه مع الزرادشتية.

يقول(ماني) بوجود مبدأين رئيسين الأول هو الله، والثاني هو المادة، فمن الله يأتي كل خير، ومن المادة يأتي كل شر.

- أمّا عن مكان الإنسان في هذا العالم، فإنّ شرطه المادي يجلب له الألم في الحياة، وهو لا يستطيع تخليص نفسه والالتحاق بالعالم النوراني، إلاّ بالمعرفة التي تكشف له حقيقته وحقيقة العالم وتخلصه من آثار الظلمة.

- ولمساعدة المؤمنين على اجتياز درب خلاصهم، فقد قدم لهم (ماني) تصوراً للعالم وللإنسان ولجميع الظواهر الكونية والطبيعية والبيولوجية، فيما يمكن تسميته بنظام معرفي شامل.

- كان يتباهى أنّه وضع أناجيله بنفسه على عكس سابقيه من الأنبياء.

- يقول عن كتبه وتعاليمه (كما أنّ نهراً يرفد آخر لتكوين تيار دافق قوي، كذلك صبتْ الكتب القديمة في كتبي فشكلت حكمة كبرى لا مثيل لها في الأجيال السابقة).

- أُعدم (ماني) إثر محاكمة صورية في بلاط الملك بهرام خليفة شابور وهرمز الأول حوالي /٢٧٧/م .

- خرج للتبشير يوم مَلَكَ شابور بن أردشير ووضع التاج على رأسه، وهو يوم الأحد أول من نيسان والشمس في برج الحمل، وقد زعم أنّه (الفارقليط) الذي بشّر به عيسى بن مريم، فقال في أحد نصوصه: (في هذه السنة نفسها عندما كان الملك أردشير على وشك التتويج نزل "الفارقليط "الحي وكلمني، وأباح لي معرفة السرّ المحجوب، بخصوص عصور وأجيال بني البشر، السرّ العميق والعالي،

سرّ النور والظلام، سرّ الصراع والحرب الماحقة، وعلّمني ما هو كائن وما كان وما سيكون.

– له أكثر من عشرة مؤلفات أهمها كتاب (الشابورقان) الذي ألّفه بالفارسية وأهداه إلى الملك الفارسي شابور، والإنجيل الحي – وكنز الحياة – وسفر الأسرار – والرسائل– وسفر الجبابرة – والمزامير – والابتهالات – وكتاب الصور.

– تروي الأخبار أنّ (ماني) دخل على مهرشاه وهو في بستانه الذي كان حديث الناس لجماله وكثرة أشجاره وماءه وحسن تنظيمه، فقال له مهرشاه: هل يوجد في الفردوس الذي تتغنى به بستاناً كبستاني هذا ؟

فلما سمع(ماني) هذا أراه بقوته الخارقة الملأ الأعلى وجعله يشم نسيم الحياة الأبدية، وأراهُ بقعاً من الفردوس السماوي وأشياء أُخرى يمكن رؤيتها هناك، فسقط الرجل على الأرض مغشياً عليه لمدة ثلاث ساعات، ثمّ وضع الرسول يده على رأسه فأفاق وسجد عند قدمي (ماني) معلناً إيمانه .

– كما أنّه كان صاحب معجزات تتراوح بين شفاء الأمراض المستعصية ورفع الأرواح إلى السماء ساعة يشاء، وقد عرج هو نفسه إلى السماء وفق إحدى الروايات ليتلقى الوحي الإلهي هناك .

– عندهم إنّ الروح العارفة التي حققت الاستنارة وأدركت أصلها النوراني، سوف تنفك من إسار دورة الميلاد والموت، وتصعد عبر عمود الصبح إلى القمر ومنه

إلى الشمس فإلى النور الأعلى، تاركةً جسدها إلى الأبد في عالم المادة الظلامية، وعندما تصل حدود النور تخرج لاستقبالها عذراء سماوية رائعة، هي تجسيد لعرفان الفرد ولعمله الصالح، ووراءها ثمانون ملاكاً مزينين بالورد يأخذون بيد الروح العارفة ويقودونها إلى جنة النور لتذوق السعادة الأبدية هناك، أمّا الروح الجاهلة تبقى في أسر المادة والعذاب...إلخ.

- المعرفة عندهم هي طريق الخلاص، إنّها معرفةٌ للذات الحقيقية، وفي الوقت نفسه هي معرفةٌ لله، فالنفس هي من جوهر الله، وشرارة من النور وقعت في إسار المادة في امتزاج مبهم، وهكذا يكون الله هو المخلِّص والمخلَّص في آنٍ معاً، وهو المبدأ المنزّه والنيّر، وهو النفس والعقل، إنّه الجزء الأسمى في أنا الإنسان المعتز به في الجسد وهو موضوع فعل المعرفة.

*****

١٧- نظرة على ما جاء في الديانة اليهودية حول فكرة التقييد

- جاء في سفر التكوين: أنَّ الله سبحانه بعد أن خلق السموات والأرض وما فيهنّ قال:

(نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا...فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكر وأُنثى خلقهم، وباركهم الله).

التكوين الإصحاح الأول

- وجاء في الإصحاح الثاني:

(وجبل الربُّ الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمةَ حياة، فصار آدم نفساً حية).

التكوين الإصحاح الثاني

- وجاء في الإصحاح الثالث:

(وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الربُّ الإله آدم وقال له: أين أنت).

التكوين (٣)

- وجاء فيه أيضاً:

(وقال الربُّ الإله هُوَ ذا الإنسان قد صار كواحد منَّا عارفاً الخير والشر).

التكوين (٣)

- وجاء في الإصحاح الثامن:

وكلَّم الله نوحاً قائلاً: (اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك).

التكوين (٨)

- وجاء في الإصحاح الحادي عشر:

(فنزل الربُّ لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما).

التكوين (١١)

- وجاء في الإصحاح الثاني عشر:

(وظهر الربُّ لأبرام وقال له: لنسلك أُعطي هذه الأرض فبنى مذبحاً للرب الذي ظهر له).

- وظهر له أيضاً مرات عدة ودعاه إبراهيم.

التكوين (١٢)

- وجاء في الإصحاح الرابع عشر:

(وكان كاهناً لله العلي، وباركه، وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك).

التكوين (١٤)

- وجاء في الإصحاح الثامن عشر:

عندما ظهر الربُّ لإبراهيم أيضاً: (وظهر له الربُّ عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حرِّ النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال: يا سيد إن كنت وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم وانكفأوا تحت الشجرة، فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثمّ تجتازون).

التكوين (١٨)

- وجاء في الإصحاح التاسع عشر:

(فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً وكان لوط جالساً في باب سدوم، فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض).

التكوين (١٩)

- وظهر الربُّ أيضاً لإسحاق وليعقوب.

- وجاء في الإصحاح الثاني والثلاثون: (وأمّا يعقوب فمضى في طريقه، ولاقاه ملائكة الله، وقال يعقوب إذ رآهم هذا جيش الله...).

التكوين (٣٢)

- وجاء فيه أيضاً:

(فدعا يعقوب اسم المكان فينيئل، قائلاً لأنّي نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي).

التكوين (٣٢)

- وجاء في الإصحاح الواحد وأربعون عن يوسف:

(فقال فرعون لعبيده: هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله).

التكوين (٤١)

- أمّا ما جاء في سفر الخروج الإصحاح الثالث عندما ناجى الله موسى قائلاً:

(أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب، فغطى موسى وجهه لأنّه خاف أن ينظر إلى الله).

خروج الإصحاح (٣)

- وجاء في الإصحاح السادس منه:

(ثمّ كلم الله موسى وقال له: أنا الربُّ، وأنا ظهرت لإبراهيم واسحق ويعقوب بأنّي الإله القادر على كل شيء، وأمّا باسمي يهوه فلم أُعرف عندهم).

خروج (٦)

- وجاء في الإصحاح السابع منه: (فقال الربُّ لموسى انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبيك).

خروج (٧)

- وجاء في الإصحاح الثالث عشر وعندما رحل بنو إسرائيل من أرض مصر:

(وكان الربُّ يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً).

خروج (١٣)

- وجاء في الإصحاح التاسع عشر:

(ونزل الربُّ على جبل سيناء إلى رأس الجبل ودعا الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى، فقال الربُّ لموسى: انحدر حذّر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون).

خروج (١٩)

- وجاء في الإصحاح الثالث والثلاثون:

(وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الربُّ مع موسى، فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة، ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد في باب خيمته، ويكلم الربُّ

موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه، وإذا رجع موسى إلى المحلة كان خادمه يشوع بن نون الغلام لا يبرح من داخل الخيمة).

خروج (٣٣)

- وجاء في سفر العدد الإصحاح الحادي عشر:

(فخرج موسى وكلّم الشعب بكلام الربّ وجمع سبعين رجلاً من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالي الخيمة فنزل الربُّ في سحابة وتكلم معه، وأخذ من الروح الذي عليه، وجُعِل على السبعين رجلاً من الشيوخ، فلمّا حلّت عليهم الروح تنبئوا ولكنّهم لم يزيدوا).

العدد (١١)

- وجاء في الإصحاح الرابع عشر:

(فقال موسى للرب فيسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا أنّك يا ربُّ في وسط هذا الشعب الذين أنت يا ربُّ قد ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم، وأنتَ سائرٌ أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلاً).

العدد (١٤)

- وجاء في الإصحاح الثاني والعشرين:

(ثمّ كشف الربُّ عن عيني بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً في الطريق وسيفه مسلول في يده فخرَّ ساجداً على وجهه).

العدد (٢٢)

- وجاء في سفر صموئيل الأول:

(فلمّا رأت المرأة صموئيل صرخت بصوتٍ عظيم وكلمت المرأة شاول قائلة: لماذا خدعتني وأنت شاول، فقال لها الملك: لا تخافي فماذا رأيتِ، فقالت المرأة لشاول: رأيتُ آلهة يصعدون من الأرض، فقال لها: ماهي صورته ؟ فقالت: رجل شيخ صاعد وهو مُغطى بجبة، فعلم شاول أنَّه صموئيل فخرَّ على وجهه إلى الأرض وسجد).

صموئيل (٢٨)

- وجاء في مزامير داوود:

(الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة يقضي...أنا قلت إنّكم آلهة وبنو العلي كلكم، لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون).

المزمور (٨٢)

- وجاء فيه أيضاً:

(قال الربُّ لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك).

المزمور (١١٠)

– وجاء في سفر أشعياء:

(في سنة وفاة عُزّيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل، السرافيم*[٢٨] واقفون فوقه لكلّ واحد ستة أجنحة، باثنين يغطي وجهه، وباثنين يغطي رجليه، وباثنين يطير، وهذا نادى ذاك وقال: قدّوس قدّوس قدّوس ربُّ الجنود مجده ملء كل الأرض، فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً، فقلت: ويلٌ لي إنّي هلكت لأنّي إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكنٌ بين شعبٍ نجس الشفتين لأنَّ عيني قد رأتا الملك ربّ الجنود، فطار إليَّ واحدٌ من السرافيم وبيده جمرةٌ قد أخذها بملقط من على المذبح ومسَّ بها فمي، وقال: إنَّ هذه قد مسَّت شفتيك فانتُزِع إثمكَ وكُفّرَ عن خطيتك).

أشعياء (٦)

– وجاء في نصوص قمران سفر رؤيا أخنوخ الأول:

(هناك رأيت الذي رأسه مبدأ الأيام " الرب " كان شعره مشتعلاً بياضاً مثل الصوف ومعه كائنٌ آخر له مظهر الإنسان، ووجهه ممتلئ نعمة كملاك قديس، فسألت الملاك المرافق أن يكشف لي سر ابن الإنسان، مَنْ هو ومن أين أتى ؟ ولماذا يرافق مبدأ الأيام ؟).

الرحمن والشيطان فراس السواح

---

[٢٨] ـ السرافيم: الملائكة المقربين.

– وجاء أيضاً في نصوص قمران سفر أسرار أخنوخ:

(عندما يصل أخنوخ إلى السماء السابعة، يرى العرش من بعيد وحوله طبقات الملائكة العليا من الكروبيم*[٢٩] والسرافيم وهم منشغلون بالإنشاد والتسبيح، هنا يقول له الملاكان بأنّ مهمتهما قد انتهت ويتركانه وحيداً، يسقط أخنوخ على وجهه لهول المشهد، ولكن الملاك جبرائيل يتقدم نحوه ويناديه قائلاً: تقدم يا أخنوخ ولا تخف، قم معي إلى سدةِ العرش العظيم ثمّ يتقدم إليه فيرفعه عن الأرض كورقة شجر عصف بها الريح ويضعه أمام وجه الرب).

الرحمن والشيطان فراس السواح

– تقول الراهبة كارين أمسترونغ في كتابها الله والإنسان:

عندما كان الأنبياء يفكرون بالله، فإنّهم يفكرون آلياً بالإنسان، لأنّ حضور الله في العالم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشعبه – فالله – في الحقيقة متكلٌ على الإنسان عندما يريد أن يفعل في العالم، وهذه فكرةٌ هامةٌ جداً في المفهوم اليهودي لله، فهناك دلائل تشير إلى أنّ الكائنات البشرية تستطيع أن تشعر بقدرات الله في عواطفهم وتجاربهم.

– فقد صاغ أحد أحبار اليهود إحساس الناس بالله على جبل سيناء كما يلي:

[٢٩] ـ الكروبيم: صيغة جمع للمفرد (كروب) وهي من أصل بابلي وتدل على كائنات مجنحة ذات رأس إنساني وجسم حيواني، كانت تصور على مداخل الأبنية والقصور الملكية باعتبارها كائنات ما ورائية حارسة (أي نوع من الملائكة).

(لا يأتي الله إلى الإنسان ثقيل الوطء بل يأتي بشكل متناسب مع قدرة الإنسان على استقبالهِ لَهُ).

- وتتابع القول:

هناك اختلافاً كبيراً بين مفهوم أرسطو لله الذي لا يكاد يعرف العالم الذي خلقه، والله في التوراة المنشغل في شؤون البشر بكل حرارة، فالله اليوناني بالإمكان اكتشافه بواسطة العقل البشري، بينما جعل الله التوراتي نفسه معروفاً عن طريق الظهور، فهناك هوة تفصل يهوه عن العالم، بينما اعتقد الإغريق أنّ نعمة العقل جعلت البشر مماثلين لله وبالتالي باستطاعتهم الوصول إليه بواسطة إمكاناتهم.

- والشيكنة عند الإسرائيليين، مثل النور الإلهي أو الروح القدس لم يتصوروه وجوداً إلهياً منفصلاً بل حضور الله على الأرض.

لذلك يعلمنا التوراة أنّ أي شخص يريق دماً بشرياً كأنّهُ قد نسف الصورة الإلهية.

ملاحظة ١:

- كان الإسرائيليون يرون في الهيكل رمزاً لعرش يهوه في السماء.

- إنّ العجل الذهبي الذي عبدوه اليهود بعد صعود موسى على جبل سيناء كان التمثال التقليدي للإله (إيل).

- وتقول أيضاً:

لقد أعلن الأنبياء الحرب على الميثولوجيا، فإله الأنبياء أثبت فعاليته في التاريخ والأحداث السياسية الجارية أكثر مما كان فعالاً في الأسطورة البدائية المقدّسة، وعندما تحول الموحدون إلى الصوفية عادت الميثولوجية كي تؤكد نفسها من جديد على أنّها الوسيلة الرئيسية للتجربة الدينية، فهناك علاقة فقهية بين الكلمات الثلاثة التالية: (الأسطورة - myth) و(صوفية - mysticism) و(سر - mystery) وهي جميعها مشتقة من الفعل اليوناني (musteion) أي يغلق العينين والفم.

ملاحظة ٢:

- نرى تزاحم المعتقدات قبل الميلاد فالهندوسية والبوذية والتاوية والكنفوشوسية والزرادشتية، إضافة إلى فلسفة الإغريق - الطبيعيون -الروحانيون - العقلانيون.

الله والإنسان

*****

١٨- نظرة على ما جاء في الديانة المسيحية حول فكرة التقييد

- جاء في إنجيل متى:

(٢٣)- ها إنّ العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا.

الفصل/١/٢٣

- وجاء في الفصل الثالث:

(١٦)- فلمّا اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامةٍ وآتياً عليه (١٧) وصوتٌ من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

٣/١٦-١٧

- وجاء في الفصل الخامس:

(٣٤)- وأمّا أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنّها كرسيّ الله (٣٥) ولا بالأرض لأنّها موطئ قدميه.

٥/٣٤-٣٥

- وجاء في الفصل الثامن:

(٢)- وإذا أبرص قد جاء فسجد لهُ وقال: يا ربُّ إن شئت فأنت قادر أن تطهرني (٣) فمدَّ يسوع يده ولمسه قائلاً قد شئتُ فاطهر وللوقتِ طُهرَ من برصه.

٨/٢-٣

- وجاء في الفصل السابع عشر:

(٢)- وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور.

٢/١٧

- وجاء في إنجيل مرقس:

(٦١)- أمّا هو فكان ساكتاً ولم يجب بشيء، فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك ؟ (٦٢) فقال يسوع: أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء.

٦٢-٦١/١٤

- وجاء في إنجيل يوحنا:

(١)- في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.

١/١

- (١٤)- والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً.

١٤/١

- وفي نفس الفصل قال عنه يوحنا:

(٣٤)- وأنا قد رأيت وشهدت أنّ هذا هو ابن الله.

٣٤/١

- وجاء فيه أيضاً:

(٢٦)-لأنّه كما أنّ الآب لهُ حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته (٢٧) وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنّه ابن الإنسان.

٥/٢٦-٢٧

- وفي الفصل السادس منه: (٣٨)- لأنّي قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني.

٦/٣٨

- وفي الفصل الثامن منه:

(١٢)- ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً: أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة.

٨/١٢

- وجاء فيه أيضاً:

(٢٧) - ولم يفهموا أنّه كان يقول لهم عن الآب (٢٨) فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذٍ تفهمون أنّي أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي.

٨/-٢٧-٢٨

- وجاء في الفصل التاسع منه: (٥)- ما دمت في العالم فأنا نور العالم.

٩/٥

- وجاء في الفصل العاشر منه: (٢٧)- خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني (٢٨) وأنا أعطيها حياةً أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي (٢٩) أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي (٣٠) أنا والآب واحد.

١٠/٢٧-٢٨-٢٩-٣٠

- وجاء في الفصل الحادي عشر منه:

(٢٥)- فقال لها يسوع: أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بي ولو مات فسيحيا.

١١/٢٥

- وجاء في الفصل الرابع عشر: وقد سأله توما:

(٦) - قال له يسوع: أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي (٧)، ولو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه (٨)، قال له فيلبس: يا سيد أرنا الآب وكفانا (٩) قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس، الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب (١٠) ألست تؤمن أنّي أنا في الآب والآب فيَّ.

١٤/٦-٧-٨-٩-١٠

- وجاء في الفصل السابع عشر: (٥) - والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم.

(١٠)- وكُلُّ ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي وأنا ممُجد فيهم.

١٧/٥-١٠

- وجاء في رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي:

(٥)- فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً (٦) الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله (٧) لكنّه أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس.

٢/٥-٦-٧

- وجاء في رسالة القديس بولس إلى أهل كولوسي:

(١٤)- الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا (١٥) الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كلّ خليقة (١٦) فإنّه فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض وما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين، الكلّ به وله قد خلق (١٧) الذي هو قبل كلّ شيء وفيه يقوم الكلّ.

١/١٤-١٥-١٦-١٧

- وجاء فيها أيضاً: (٩)- فإنّه فيه يحلُّ كلّ ملءِ اللاهوت جسدياً.

٢/٩

- وجاء في رؤيا القدس يوحنا: (١٨) فلمّا رأيته سقطت عند قدميه كالميت فوضع يده اليمنى عليَّ قائلاً: لا تخف أنا الأول والآخر والحيُّ وقد كنت ميتاً وها أنا حيٌّ إلى دهر الدهور ولي مفاتيح الموت والجحيم (١٩) فاكتب ما رأيت ما هو كائن وما سيكون من بعد.

١/١٨-١٩

– لقد اعتقد كلمينت الإسكندري (١٥٠–٢١٥ م) أنّ يسوع هو الله " الإله الحي الذي عُذِّب وعُبِدَ " فهو الذي غسل أقدامهم مطوقاً بمنشفة، فكان " إله ورب الكون دون تعالٍ "، فإذا حاكى المسيحيون المسيح، فإنّهم سوف يصبحون مقدسين " إلهيين " لا يعتريهم الفساد ولا يتأثرون، فالمسيح هو اللوغوس الإلهي الذي أصبح إنساناً، وبذلك بإمكانك أن تتعلم من المسيح كيف تصبح إلهاً.

– جاء عن آريوس (عضو في مجلس كنيسة الإسكندرية) في رسالته إلى الاسكندر...وعندما تكلم عن يسوع قال:

لقد عاش حياة بشرية كاملة، وأطاع الله حتى الموت على الصليب كما قال القديس بولس: وبسبب طاعته حتى الموت رفعه الله إلى مرتبة مجيدة، وأعطاه اللقب الإلهي الربّ (lord) فلو لم يكن يسوع كائناً بشرياً لما كان لدينا أمل، ولما كان في حياته شيء ذو ميزة، لو أنّه كان الله في طبيعته ليس فيه شيء بالنسبة إلينا كي نحاكيه.

– وجاء عن مجلس الأساقفة في نيقيا (٣٢٥ م):

نحن نؤمن بإله واحد " الآب القدير " خالق جميع الأشياء المرئية واللامرئية، وبإله واحد يسوع المسيح ابن الله، الابن الوحيد المولود من الله، أي هو من مادة الآب نفسها إلهٌ من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود وليس مخلوق من مادة واحدة هي مادة الآب، الذي من خلاله خُلقت جميع الأشياء

الموجودة في السماء وتلك الأشياء على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا هبط وخُلِقَ إنساناً تعذب، قام ثانية في اليوم الثالث وصعد في السموات، وسوف يأتي كي يحاكم الأحياء والأموات.

- خاطب القديس اوغسطين في اعترافاته الله قائلاً:

لقد خلقتنا من أجل نفسك، ولن ترتاح قلوبنا حتى تستقر فيك.

- لقد أصبح المسيح مثل بود هستافا " البوذا " الوسيط بين البشر والمطلق.

المصادر

١-الله والإنسان كارين آرمسترونغ

٢- الكتاب المقدس العهد القديم و الجديد.

٣- الله والإنسان كارين آرمسترونغ.

٤- حقيقة لاهوت يسوع المسيح. ل. جوش ماكدويل-بارت لارسون.

٥- فلسفة الغفران في المسيحية ل.عوض سمعان.

*****

الجزء الثاني

نظرة على مفهوم الرحمن في الإسلام

مد خل

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٣) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٤) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٥) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ (٦) غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)(الفاتحة).

- وقال تعالى: (**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** (٧٢)).(الأحزاب).

بعد أن استعرضنا نماذج من فكرة التجسيد عند شعوب الأديان السابقة، تبين لنا أنَّ تطور الفكر الديني أخذ يتناسب طرداً مع التطور الفكري والعملي لمصلحة الإنسان، ذلك المخلوق الذي من أجله خلق الله الكون وما فيه، ومن أجله صارت الديانات، ومن أجله جاءت الرسل، وسُخّر له كل شيء، لقوله سبحانه وتعالى: (**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً(٢٠)**)(لقمان).

فالإله واحد وإن تعددت أسمائه وصفاته ودعواته، والرسالات واحدة، وإن اختلفت طرق تبليغها .

فالهدف واحد ((الإنسان)) والجوهر واحد ((الله)).

كما جاء عن النبي الكريم (ﷺوآلهِ):

(الطرق إلى الخالق على عدد أنفاس الخلائق)،*[٣٠] فطالما أنَّ إلهنا واحد، وأبينا واحد، لماذا نختلف، والله سبحانه يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(١٣)**﴾(الحجرات).

– وقال: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم (٢١٣)**﴾(البقرة).

– وقال عن لسان رسول الله (ﷺوآلهِ): ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا(١٥٨)**﴾.(الأعراف).

– وقال النبي المصطفى (ﷺوآلهِ): (الناس كأسنان المشط، ولا فضل لعربي على عجمي ،ولا فضل لأبيض على أسود إلاَّ بالتقوى).*[٣١]

---

[٣٠] ـ الدين والإسلام. بحار الانوار. شفاء السائل .
[٣١] ـ بحا الأنوار ـ فتح. القدير.

لقد بيَّن المصلحون الدينيون فكرة الدين الحقيقية، وأنَّ الدين كله لله، ودعوا الجميع إلى الإقرار بجميع مظاهره ودعواته، واحتجوا بقوله في الكتاب الكريم: (**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ(١١٥)**). (البقرة).

– يقول ابن عربي:

عَقَدَ الخلائق في الإله عقائدا ... وأنا اعتقدتُ جميع ما عقدوه

لما بدا صوراً لهم متحولاً ... قالوا بما شهدوا وما جحدوه

قد أعذر الشرع الموحِد وحده ... والمشركون شكّوا وإن عبدوه

وقد شرح هذه الأبيات الشيرازي*[٣٢] بقوله:

فعلم الحقائق هو المهيمن على جميع العلوم والمحيط بها، وقوله وأنا اعتقدت الجميع، لأنَّ كلّ طور من أطوار المخالفين فهو عنده في شهوده ظهور من ظهورات الحق تعالى، فيثبت من حيث الظهور المشهود له لا من حيث إدراكهم، فإنَّ إدراكهم محجوب وإلى الجهل.

تحفة الروح والأنس للشيرازي

– وقال الشاعر الصوفي المنتجب العاني (قُدّس سرّه)*[٣٣]:

فاعذر أخاك وكن بالصفح ذا كرم ... فما خليلك في حكم الهوى جاني

شرطي الوداد وأهوى من يدوم على ... حفظ الوفاء وأشنأ كل خوان

[٣٢] ـ هو الحسن بن محمد الشيرازي المعروف بالشرف البلاسي من اكابر عرفاء القرن السابع الهجري.

[٣٣] ـ هو أبو الفضل محمد بن الحسين المنتحب العاني، شاعر صوفي من أعلام القرن الرابع الهجري .

فسمني وادعني في كل منزلة — بمسلم ويهودي ونصراني

فن المنتحب العاني وعرفانه. د. أسعد علي.

وقال الأمير المكزون (قُدّس سرّه):

ودعوتي جامعة للورى — يدعو بها المؤمن والكافر

- وقال:

قريتي الدنيا وأهلي مَنْ عليها — كلّ حيّ مثل قلبي صار قلبه

- وقال:

واحدة الحسن التي أمسيت من — وجدي بها بين البرايا أوحدا

وصرت فيها أمةً يأتم بي — كلُّ محب راح فيها وغدا

صبا إليَّ الصابئون إذ رأوا — طرفي لنجم الحسن فيها رصدا

واتخذ المجوس قلبي قبلةً — لمّا رأوا للنار فيه موقدا

ولم أزل متسعاً مسبعاً — مخمساً مثلثاً موحدا

وبي اقتدى في الحب من ثنَّى — ومن ثلّث أو أسلم أو تهودا

وشيعة الحق ارتضوا بسنتي — واتخذوني في الغرام مشهدا

والحنفاء تابعوني إذ رأو — ني في إتباع رسلها مجتهدا

والملحدون حمدوا طريقتي — حين رأوني لهواها مُلحدا

والحكماء العارفون صوَّبوا — رأيي برفع الوصف عنها والبدا

وظننّي مجسدا في نعتها — بصورةٍ غرٌّ غدا مجسدا

وما درى بأنني لذاتها أمسيتُ عن صفاتها مجردا
وفي سجودي لمثال حسنها قد غادرت لي في الضمير مسجدا
فلا أرى في الكون شخصاً واحداً يهوى هوى إلاَّ وبي فيه اقتدى

معرفة الله والمكزون .د. أسعد علي

– لقد اقتدى المثقفون المنصفون بهؤلاء المفكرين، ودرسوا آثارهم، واهتموا بها وكتبوا عنها الكثير، ورأوا في أقوالهم الكثير من التشابه إذ لم يكن المطابقة، وها أنا أقدم هذا النموذج لهم في إيرادهم لفكرة "الحقيقة المحمّدية والإنسان الكامل وخلافته وإسقاط الأسماء الحسنى عليها ".

– لقد حاولت بدراستي هذه أن أُقسّم الموضوع إلى فقرات مترابطة، ليسهل على القارئ متابعة الأفكار دون انقطاع، وأن لا يتشوّه النص، فتكلمت عن واجب الوجود لِما له علاقة بهذا البحث، وعن الحقيقة المحمّدية الفائضة عن ذلك الواجب، وعن الإنسان الكامل "خليفة الله في الأرض"، وعن مواقع الأسماء الحسنى، وعن عرش الرحمن، وهل ما قيل هو تشبيه أم تنزيه ؟! وعلى الله الاتكال.

فقد جاء عن رسول الله (ﷺوآلهِ) أنَّه قال: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه).*[٣٤]

[٣٤] ـ كشف الخفاء للعجلوني.

ذكر الرحمن في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

– وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)(البقرة).

– كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠)(الرعد).

– قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠)(الإسراء).

وجاء في سورة مريم:

– **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨).**

– **فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦).**

– **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤).**

– **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا(٤٥).**

– **إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨).**

– **جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا(٦١).**

– **ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩).**

- قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا(٧٥).

- أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨).

- يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥).

- لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧).

- وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨).

- أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣).

- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)(مريم).

وجاء في سورة طه:

- الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥).

- وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠).

- يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩)(طه).

وجاء في سورة الأنبياء:

- وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦).

- وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦).

- قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢)

- قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١١٢)(الأنبياء).

وجاء في سورة الفرقان:

- الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦).

- الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠).

- وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)(الفرقان).

- وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) (الشعراء).

- إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠)(النمل).

وجاء في سورة يس:

- إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١).

- قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥).

- أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣).

- قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)(يس).

- حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣)(فصلت).

وجاء في سورة الزخرف:

- وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠).

- وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣).

- وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦).

- وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)

- قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١)(الزخرف).

- مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣)(ق).

- الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)(الرحمن).

- هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢)(الحشر).

وجاء في سورة الملك:

- الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣).

- أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠).

- قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩) (الملك).

- وجاء في سورة النبأ:

- رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) (النبأ).

صدق الله العلي العظيم

*****

"الرحمن لغةً"

- جاء عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:

(رحم) الراء والحاء والميم أصلٌ واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة.

- وجاء في لسان العرب:

الرحم: رحم الأنثى- بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن.

وامرأة رَحُومٌ: إذا اشتكت بعد الولادة رحمها.

الرَّحم: خروج الرَّحِم، من علة والجمع رُحُمٌ.

الرُّحام: أن تلد الشاة ثمَّ لا يسقط سلاها.

الرَّحِمُ: أسباب القرابة، وأصلها الرحم التي هي منبت الولد.

ذوو الرَّحِمِ: هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب، ويطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء، وجاء في الحديث أن من ملك ذا رحم محرم فهو حر" أو عتق عليه"، وهو من لا يحل نكاحه من النساء.

الرَّحْمُ: بالضم الرحمة، يقال رَحِمَ رُحماً، ويريد بالنقصان ما ينال المرء بقسوة القلب ووقاحة الوجه وبسط اللسان التي هي أضداد تلك الخصال من الزيادة في الدنيا.

وفي الحديث: إنَّ الرَّحِمَ شجنه معلقة بالعرش، تقول: (اللهمَّ صلْ من وصلني واقطع من قطعني).*[35]

الرَّحِمُ: القرابة تجمع بني أب وبينهما رَحِمٌ أي قرابة قريبة، قال عزَّ وجلَّ: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**(١))(النساء)، ومن نصبَ أراد واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ومن خفض أراد تساءلون به وبالأرحام، وهو قولك ناشدتك بالله وبالرحم.

والرَّحْمَةُ رقة القلب وعطفه، ورَحْمَةُ الله: عطفه وإحسانه ورزقه.

تَرَحَّم عليه: دعا له بالرحمة.

استرحمه: سأله الرحمةَ.

الرحمن الرحيم: بنيت الصفة الأولى على فعلان لأنَّ معناه الكثرة ،وذلك لأنَّ رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين.

فأمَّا الرحيم: فإنَّما ذكر بعد الرحمن لأنَّ الرحمن مقصور على الله عزَّ وجلَّ، والرحيم قد يكون لغيره.

قال الفارسي: إنّما قيل بسم الله الرحمن الرحيم، فجيء بالرحيم بعد استغراق الرحمن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى:

(**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)**)(الأحزاب).

---

[35] ـ أخرجه الترمذي.

كما قال: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** (١)﴾، ثمَّ قال: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ** (٢)﴾(العلق).

فخصَّ بعد أن عمَّ لما في الإنسان من وجوه الصناعة ووجوه الحكمة.

- قال الزجَّاج: الرَّحْمنُ: اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ مذكور في الكتب الأُول، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله.

وقال أبو الحسن: أراه يعني أصحاب الكتب الأُول، ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة، لأنَّ فعلان بناء من أبنية المبالغة، ورحيم فعيل بمعنى فاعل كما قالوا سميع بمعنى سامع وقدير بمعنى قادر، وكذلك رجل رحوم وامرأة رحوم.

قال الأزهري: لا يجوز أن يقال رحمن إلاَّ لله عزَّ وجلَّ، وفعلان من أبنية ما يبالغ في وصفه، فالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، فلا يجوز أن يقال رحمن لغير الله.

وحكى الأزهري عن أبي العباس في قوله الرحمن الرحيم: جمع بينهما لأنَّ الرحمن عبراني والرحيم عربي.

وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرقُّ من الآخر، فالرحمن الرقيق، والرحيم العاطف على خلقه بالرزق.

وقال الحسن: الرحمن اسم ممتنع لا يسمى غير الله به، وقد يقال رجل رحيم.

وقال الجوهري: الرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، ونظيرهما في اللغة نديم وندمان، وهما بمعنى، ويجوز تكرير الأسمين إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التوكيد كما يقال فلان جادٌ مجدٌ، إلاَّ أنَّ الرحمن اسم مختص لله تعالى لا يجوز أن يسمى به غيره ولا يوصف، ألا ترى أنَّه قال: (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ (١١٠)**)(الإسراء)، فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره، وهما من أبنية المبالغة ورحمن أبلغ من رحيم، والرحيم يوصف به غير الله تعالى فيقال رجل رحيم ولا يقال رحمن.

– وجاء عن لفظ الرحمن عند .د. محمّد شحرور في الكتاب والقرآن:

جاءت لفظة الرحمن في اللسان العربي من (رحم)، وهو أصل يدل على الرقة والعطف والرأفة، والرحم علاقة القربى، وأضاف القرآن الكريم لها معنى آخر، فالرحم وظيفته التوليد ومن هنا جاء اسم الرحمن على وزن فعلان، لأنَّ النون في الرحمن ليست من أصل الكلمة، ووزن فعلان يفهم في اللسان العربي على أنَّه وزن ثنائية المتناقضين والزوجين والضدين، وقد كان هذا المعنى جديداً على العرب وذلك في قوله تعالى: (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠)**)(الفرقان).

فاسم الله الرحمن يمثل قوانين الربوبية "السيطرة والاستحكام والتوليد وبالتالي التطور في هذا الكون المادي الثنائي" يوضح ذلك قوله تعالى: (**الَّذِي خَلَقَ**

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩))(الفرقان).

وقال سبحانه: (**رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧)**)(النبأ). وقوله: (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)**)(طه). أي أنَّ كل القوانين المادية الموضوعية القائمة على الثنائيات في هذا الكون والذي يليه، هي قوانين رحمانية مادية، فالله يقضي في هذا الكون من خلال القوانين المادية الموضوعية، والتي سنطلق عليها "القوانين الرحمانية" وبما أنَّ القرآن يشرح قوانين هذا الكون والكون الذي يليه فهو رحماني لذا قال: (**الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)**)(الرحمن) ففي العالم الرحماني لا يوجد " لا معقولات " وإنّما هناك عجز العقل الإنساني عن الإدراك في عصر من العصور "مثال على ذلك الجنّ والملائكة"، ومن خلال القوانين الرحمانية والتي تعتبر قوانين الجدل (قانون التطور وتغيير الصيرورة وقانون الزوجية "التكيف") من أساسياتها ولد هذا الكون وتشيأ أي أصبح أشياء متميزة بعضها عن بعض.

ففي هذا الوجود المادي "الرحماني" ظهرت أسماء الله الحسنى على شكل معانٍ مميزة بعضها عن بعض وعلى شكل ثنائي لذا قال أولاً :(**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (١٨٠)**)(الأعراف). وبما أنَّ أسماء الله الحسنى لا تفهم إلاَّ من خلال الوجود المادي الرحماني قال: (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا**

فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (**١١٠**))(الإسراء).

فمن خلال القوانين الرحمانية " والإرادة الإلهية "ولدت الحياة على الأرض ضمن قوانين الجدل المادي " البث " وتطورت، وظهر البشر ككائن عضوي حي، لذا قال: (**الرَّحْمَنُ** (١) **عَلَّمَ الْقُرْآنَ** (٢) **خَلَقَ الْإِنْسَانَ** (**٣**))(الرحمن). أي أنَّ خلق الإنسان تمَّ من خلال القوانين الرحمانية، وقوله (خلق الإنسان) لبيان مجمل هذه الحقيقة الرحمانية، أمَّا عندما أعطى المراحل التفصيلية لنشوء الإنسان وارتقائه قال البشر، فعندما نضج البشر كائناً رحمانياً وأراد الله سبحانه وتعالى أن يجعله خليفةً له في الأرض ليخلفه في قوانين الربوبية أولاً، أي في القدرة على التصرف في هذا الوجود المادي، والألوهية ثانياً أي في القدرة على التشريع أعطاه من صفاته الذاتية الأحادية الخالية من التناقض وهي الروح (**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**(**٧٢**))(ص).

– وقال: وبما أنَّ الشيطان الفعلاني هو أحد أطراف العملية الجدلية في الفكر الإنساني، فالطرف الآخر في العملية الجدلية هو الرحمن المادي لذا قال: (**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا** (**٤٤**))(مريم).

إذاً فالرحمن هو اسم الله الذي يمثل قوانين الربوبية لهذا الكون المادي، وهو الذي يعطي الصور الحقيقية للأشياء.

- وجاء في معجم ألفاظ القرآن للأصفهاني:

في تفسير الرحمن قال : هي من الرحم.

الرحم: رحم المرأة، ومنه استعير للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة.

والرحمة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو رَحِمَ الله فلاناً، وإذا وصف به الباري فليس يُراد به إلاَّ الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أنَّ الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف، وعلى هذا قول النبي (ﷺوآلهِ) ذاكراً عن ربه: (أنَّه لما خلق الرحم قال لَهُ: أنا الرحمن وأنت الرحم، شققت اسمك من اسمي فمن وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته).*[٣٦] ولا يطلق الرحمن إلاَّ على الله تعالى من حيث إن معناه لا يصح إلاَّ لَهُ إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة، والرحيم يستعمل في غيره، وهو الذي كثرت رحمته قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣)**)(البقرة).

وقال في صفة النبي: (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)**)(التوبة).

وقيل إنَّ الله تعالى هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك أنَّ إحسانه في الدنيا يعمُّ المؤمنين والكافرين، وفي الآخرة يختصُّ بالمؤمنين وعلى هذا قال: (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ (١٥٦)**)(الأعراف).

---

[٣٦] ـ أخرجه الترمذي .

- وجاء أيضاً في تفسير مجمع البيان للطبرسي:

الرحمن الرحيم: اسمان وضعا للمبالغة واشتقا من الرحمة وهي النعمة، إلاَّ أنَّ فعلان أشد مبالغة من فعيل.

وأمَّا ما روي فيهما عن ابن عباس: أنَّهما اسمان رقيقان أحدهما أرقُّ من الآخر، فالرحمن الرقيق، والرحيم العطاف على عباده بالرزق والنِعم، فمحمول على أنَّه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل والنعمة بعد النعمة، فعبّر عن ذلك بالرقة لأنَّه لا يوصف بالرقة، وإنّما قدَّم الرحمن على الرحيم لأنَّ الرحمن بمنزلة اسم العلم من حيث لا يوصف به إلاَّ الله، فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم لأنَّه يطلق عليه وعلى غيره.

- وروى أبو سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآلهِ): أنَّ عيسى بن مريم (عليه السلام) قال: (الرحمن: رحمن الدنيا، والرحيم: رحيم الآخرة).*[٣٧]

وقالوا: الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة.

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام)أنَّه قال: الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة.

وقالوا: الرحمن بجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفا جرهم، هو إنشاؤه إياهم وخلقهم أحياء قادرين ورزقه إياهم، ووجه خصوص " الرحيم" بالمؤمنين هو ما

---

[٣٧]- الدر المنثور .

فعله بهم في الدنيا من التوفيق، وفي الآخرة من الجنة والإكرام، وغفران الذنوب والآثام.

وجاء عن الإمام الحسن(عليه السلام): الرحمن اسم ممتنع لا يُسمَّى غير الله به.

- وجاء عند الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي:

عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام):

الرحمن: الذي يرحم ببسط الرزق علينا.

الرحيم: بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا خفف علينا الدين وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه.

وقال صاحب الكتاب: رزق كل مخلوق ما به قوام وجوده وكماله اللائق به، فالرحمة الرحمانية تعمُّ جميع الموجودات وتشمل كل النعم كما قال الله سبحانه:

(**أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ(٧)**)(السجدة).

وأمَّا الرحمة الرحيمية بمعنى التوفيق في الدنيا والدين، فهي مختصة بالمؤمنين وما ورد شمولها للكافرين فإنَّما هي من جهة دعوتهم إلى الإيمان والدين، مثل ما في تفسير الإمام علي (عليه السلام) من قوله (عليه السلام) الرحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته، وبعباده الكافرين في الرفق في دعائهم إلى موافقته.

– وجاء في معجم مصطلحات الصوفية:

رحمة: اسم للحق باعتبار الجمعية الأسمائية التي في الحضرة الإلهية الفائض منها الوجود، وما يتبعه من الكمالات على جميع الممكنات.

والرحمة الامتنانية: هي الرحمانية المقتضية للنعم السابقة على العمل، وهي التي وسعت كل شيء في قوله في الحديث القدسي: (ورحمتي سبقت غضبي).*[٣٨]

والرحمة الوجوبية: هي الرحمة الموعودة للمتقين والمحسنين في قوله تعالى: (**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)**)(الأعراف).

رحيم: اسم لله تعالى باعتبار فيضان الكمالات المعنوية على أهل الإيمان كالمعرفة والتوحيد.

رحمانية: هي الظهور بحقائق الأسماء والصفات، وهي بين ما يختص به

الله سبحانه وتعالى في ذاته كالأسماء الذاتية، وبين ما له وجه إلى المخلوقات كالعالم والقادر ونحوهما ممَّا له تعلق إلى الحقائق الوجودية.

فالرحمانية: اسم جميع المراتب الحقية دون الخلقية، فهي أخصُّ من الألوهية لانفرادها بما يتفرد الحق سبحانه، والألوهية جميع الأحكام الحقية والخلقية، فالرحمانية جمع بهذا الاعتبار أعز من الألوهية، لأنَّها عبارة عن ظهور الذات في المراتب العليَّة وتقدسها عن المراتب الدنية، وليس للذات في مظاهرها مظهر

---

[٣٨] - صحيح البخاري

يختص بالمراتب العليَّة بحكم الجمع إلاَّ المرتبة الرحمانية، والاسم الظاهر في المرتبة الرحمانية هو الرحمن، وهو اسم يرجع إلى الأسماء الذاتية والأوصاف النفسية وهي سبعة: (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر)، والأسماء الذاتية كالأحدية والواحدية والصمدية ونحوها واختصاص هذه المرتبة بهذا الاسم للرحمة الشاملة لكل المراتب الحقية والخلقية فإنَّه لظهورها في المراتب الحقية ظهرت المراتب الخلقية، فصارت الرحمة عامة في جميع الموجودات.

- وجاء في لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام للقاشاني:

الرحمن: اسم لصورة الوجود الإلهي، التي هي عبارة عن الجمعية الحاصلة للأسماء الذاتية عند ظهورها بنفسها من بطون وحدة الذات.

- وجاء في كتاب البيان في تفسير القرآن للإمام الخوئي:

الحمد لله: إنَّ كلمة الله علم للذات المقدسة الجامعة لجميع صفات الكمال، ومن صفات الكمال الرحمة التي أشار إليها في البسملة ،فَذِكْر كلمة الرحمن يوجب فوت الدلالة على بقية جهات الكمال المجتمعة في الذات المقدسة والتي يستوجب بها الحمد من غير ناحية الرحمة.

ومن توهم أنَّه اسم جنس فقد أخطأ.

١- فلفظ الجلالة ينصرف بلا قرينه إلى الذات المقدسة.

٢- ولفظ الجلالة أيضاً " بما له من معنى " لا يستعمل وصفاً، فلا يقال العالم الله، الخالق الله، على أن يراد بذلك توصيف العالم والخالق بصفة هي كونه الله وهذه آية كون لفظ الجلالة جامداً، وإذا كان جامداً كان علماً لا محالة، فإنَّ الذاهب إلى أنَّه اسم جنس فسّره بالمعنى الاشتقاقي.

وهناك خلاف بين اللغويين حول اشتقاقه:

فالألف واللام من كلمة الجلالة وإن كانت جزء منها على العلمية، إلاَّ أنَّ الهمزة فيها همزة وصل تسقط في الدرج، إلاَّ إذا وقعت بعد حرف النداء فنقول يا الله بإثبات الهمزة وهذا مما اختصّ به لفظ الجلالة، ولم يوجد نظيره في كلام العرب قط، ولا مضايقة في كون كلمة الجلالة من المنقول، وعليه فالأظهر أنَّه مبني للفاعل، لأنَّه سبحانه هو المرتفع حقيقة الارتفاع التي لا يشوبها انخفاض، وهو في غاية ظهوره بآثاره وآياته محتجب عن خلقه بذاته، فلا تدركه الأبصار ولا تصل إلى كنهه الأفكار ولا موجب للقول باشتقاقه من (ألَه) بمعنى عبد أو (ألِه) بمعنى تحيّر ليكون الإله مصدراً بمعنى المفعول -ككتاب- فإنَّه التزام بما لا يلزم.

أمَّا الرحمن: مأخوذ من الرحمة وهي ضد القسوة والشدة.

وهي من الصفات الفعلية، وليست رقة القلب مأخوذ في مفهومها، بل هي من لوازمها في البشر، فالرحمة - دون تجرَّد عن معناها الحقيقي- من صفات الله الفعلية -كالخلق والرزق.

وقال بعض المفسرين واللغويين إنَّ صيغة الرحمن مبالغة في الرحمة، وهو كذلك في خصوص هذه الكلمة ،سواء أكانت هيئة فعلان مستعملة في المبالغة أم لم تكن، فإنَّ كلمة الرحمن في جميع موارد استعمالها محذوفة المتعلق فيستفاد منها العموم، وأنَّ رحمته وسعت كل شيء ،ومما يدلنا على ذلك أنَّه لا يقال إنَّ الله بالناس أو بالمؤمنين لرحمن، كما يقال: إنَّ الله بالناس أو بالمؤمنين لرحيم.

وكلمة الرحمن بمنزلة اللقب من الله سبحانه، فلا تطلق على غيره.

وأمَّا الرحيم: صفة مشبهة، أو صيغة مبالغة ومن خصائص هذه الصيغة أنَّها تستعمل غالباً في الغرائز غير المنفكة عن الذات، كالعليم والقدير والشريف والوضيع والسخي والبخيل والعلي والدني، فالفارق بين الصفتين، أنَّ الرحيم يدل على لزوم الرحمة للذات وعدم انفكاكها عنها.

فإنَّ هيئة فعيل تدلُّ على أنَّ المبدأ فيها من الغرائز والسجايا غير المنفكة عن الذات، وبذلك تظهر نكتة تأخير كلمة الرحيم عن كلمة الرحمن فإنَّ هيئة الرحمن تدلَّ على عموم الرحمة وسعتها ولا دلالة لها على أنَّها لازمة للذات، فأتت كلمة الرحيم بعدها للدلالة على هذا المعنى.

وأمَّا ذكر الرحمة: فقد وصف الله تعالى نفسه بالرحمة في ابتداء كلامه دون سائر صفاته الكمالية لأنَّ القرآن إنّما نزل رحمة من الله لعباده، وقد وصف الله كتابه ونبيه بالرحمة أيضاً.

والرحمن يدل على ثبوت الرحمة فقط، ومما يدلّ على أنَّ الرحمة في كلمة رحيم عزيزة وسجية، أنّ هذه الكلمة لم ترد في القرآن عند ذكر متعلقها إلاَّ متعدّية بالباء.

فكأنَّها عند ذكر متعلقها انسلخت عن التعدية إلى اللزوم، وذهب الألوسي إلى أنَّ الكلمتين ليستا من الصفات المشبهة، بقرينة إضافتهما إلى المفعول في جملة (رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما) والصفة المشبهة لا بدَّ من أن تؤخذ من اللازم.

وورد أنَّ الرحمن اسم خاص ومعناه عام، وأمَّا لفظ الرحيم فهو اسم عام ومعناه خاص ومختص بالآخرة أو بالمؤمنين.

البيان في تفسير القرآن للخوئي

- وجاء في إعراب قوله تعالى: (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى(١١٠)**)(الإسراء).

قل: فعل أمر ساكن والفاعل أنت.

ادعوا: فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل.

الله: لفظ الجلالة مفعول به منصوب.

أو: حرف عطف للتخيير - "وفي اللغة العربية لا تعطف الأشياء على أنفسها، ولا تضاف إلى نفسها ".

ادعوا الرحمن: فعل وفاعل ومفعول به.

أياً: أسم شرط جازم مفعول به مقدم.

ما تدعوا: ما زائدة. تدعوا فعل مضارع مجزوم بحذف النون لأنَّهُ فعل الشرط والواو فاعل.

فله: الفاء رابطة لجواب الشرط - له خبر مقدم.

الأسماء: مبتدأ مؤخر مرفوع.

الحسنى: نعت للأسماء مرفوع.

إعراب القرآن. د .الطيب إبراهيم

إعراب القرآن. محيي الدين الدرويش

*****

" واجب الوجود "*[39]

[39] - واجب الوجود : هو الذي يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج إلى شيء أصلاً .
- هو الغير متناه في كل شيء وهو الوجود المطلق، وهو مبدأ الإيجاد .

- قال السيد أبو الحسن علي البغدادي*[٤٠]:

هـو الهيولى وكـل الخلق صورتـه فالكـلّ بالكـلّ عنه منه جزئي

فالبعض من حسنه في الخلق مشترك والجزء من نوره في الخلق كلّي

- وقال الشاعر الصوفي المنتجب العاني (قُدّس سرّه):

فالكون جسم وهي فيه روح نصَّ عليها آدم ونوح

وجدد العهد بها المسيح وراح يقفو إثره السليح

- وقال:

صهباء كانت ونون الكاف ما برزت والشيء مندمج في علم باريه

فن المنتجب وعرفانه .د. اسعد علي.

- وقال ابن عربي:

فهو الهيولى لكل صورة من صورة صورة وسوره

وأنت مـا بين ذا وهذا أقامك الـحق فيه سورة

الفتوحات المكية ج٤ لابن عربي

- وقال:

الحمد لله الذي حجبنا به عنه، عزَّ أن يُعرف له كنه، بدا نوراً فاستتر عن الأبصار بنوره، وظهر فاحتجب عن البصائر بظهوره، فاندرج النور في النور، وتبطن الظهور في الظهور، فلا يقع بصر إلاَّ عليه، ولا يخرج خارج إلاَّ منه، ولا

[٤٠] ـ شاعر صوفي من أعلام القرن الرابع الهجري .

ينتهي قاصد إلاَّ إليه، فيا أولي الألباب أين الغيبة والحجاب، ومن كانت عينه حجاباً عليه فلا محجوب ولا حجاب.

- واعلم أنّ الوجود من حيث هو، هو عين الوجود الخارجي، غير مقيد بالإطلاق والتقييد، ولا هو كلي ولا هو جزئي، ولا عام ولا خاص، ولا هو واحد بالوحدة الزائدة على ذاته ولا كثير، بل تلزمه هذه الأشياء بحسب مراتبه ومقاماته، المنبه عليها بقوله تعالى: ((**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ(١٥**))(غافر). فيصير مطلقاً ومقيداً، وكلياً وجزئياً، وعاماً وخاصاً، وواحداً وكثيراً، من غير تغير في ذاته وحقيقته، وهو أظهر من كل شيء تحققاً وذاتية، وأخفى من جميع الأشياء ماهيةً وحقيقةً، ولا يتحقق شيء في العقل ولا في الخارج إلاَّ به، إذ هو الذي يتجلى في مراتبه، ويظهر بصورها وحقائقها في العلم والعين، فيسمى بالماهيّة والأعيان الثابتة، وذلك لأنَّ للأسماء الإلهية صوراً ثابتة في علمه تعالى، لأنَّه عالم بذاته وأسمائه وصفاته، وتلك الصور العلمية من حيث أنَّها عين الذات بيقين خاص، ونسبة متعينة هي المسماة بالأعيان الثابتة سواء كانت جزئية، أو كلية في اصطلاح أهل الله تعالى، وتسمى كلياتها بالماهيات والحقائق، وجزئياتها بالهويات، وتلك الصور فائضة من الذات الإلهية، بالفيض الأقدس، والتجلي الأول، بواسطة الحب الذاتي، وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلاَّ هوْ، هو ظهورها وكمالها، فإنَّ الفيض الإلهي ينقسم إلى الفيض الأقدس، وإلى الفيض المقدّس، فبالفيض الأقدس تحصل الأعيان واستعداداتها الأصلية في العلم الإلهي.

وبالفيض المقدّس تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها، وذلك الطلب مُستنِد أولاً، إلى الاسم الأول الباطن، ثمَّ بهما إلى الاسم الآخر الظاهر، لأنَّ الأولية والباطنية ثابتة الوجود العلمي، والآخرية والظاهرية ثابتة الوجود العيني، وقد نبَّه سبحانه وتعالى أنَّه عين كل شيء بقوله تعالى: (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ (٣)**)(الحديد).

- واعلم أنَّ الحق تعالى، من حيث أحديته، لا اسم له، ولا نعت، ولا صفة، كما قال (الإمام علي)(كرم الله وجهه): (كمال الإخلاص نفي الصفات عن الحق تعالى).*[٤١]

وأمَّا عند التجلي فإنَّه يتجلى لكلّ أحدٍ بصورة معتقده، ولذلك أجاب الإمام (أبو القاسم الجنيد).*[٤٢] (رحمه الله تعالى) حين سُئل عن المعرفة بالله، والعارف به فقال: (لون الماء لون إنائه).

أي أنَّ الحق تعالى لا يتجلّى بصورة المعرفة إلاَّ بحسب استعداد المتجلّى له، وهو جواب محكم مطابق لما في نفس الأمر، لأنَّ الماء لا لون له ويتلون بلون أوعيته الشفافة، فكذلك الحق تعالى لا تعيين له يحصره، ويتعين بحسب الاستعدادات والقابليات، فمن عرف أنَّ الحق تعالى هو المتجلي، في صور الأعيان، وصوَّرته الأذهان بحسب استعدادها وقابلياتها، سَلِمَ لكل ذي اعتقاد اعتقاده، وعرف أنّ

---

[٤١] ـ نهج البلاغة.

[٤٢] ـ شيخ الصوفية أصله من نهاوند ولد ونشأ بالعراق أبوه كان يبيع الزجاج لذا فإنَّه يلقب أحياناً بالقواريري، صحب خاله السري السقطي وكذلك صحب الحارث المحاسبة توفي/ ٢٩٧/ هـ.

الله تعالى هو الظاهر بها، وآمن به فيها، وكان من أصحاب السعادة العظمى، فالمعتقِد بالاعتقاد الخاص ظانٌ وليس بعالم، إذْ لو كان عالماً عارفاً لعرف الله تعالى، في جميع الصور والاعتقادات، ولذلك قال الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي).*[٤٣]

أي لا أظهر لهُ إلاَّ بصورة معتقده، فإن شاء أطلق وعبد الإله المطلق، الذي يظهر بكل المظاهر والمجالي، وإن شاء فيه بصورة معينة يعطيها استعداده، فإلَهَ المعتقدات تأخذه الحدود لأنَّه معين مقيد، وهو الإله الذي وسعَهُ قلب عبده، والإله المطلق لا يسعه شيء.

كتاب المعرفة لابن عربي

- وقال البرسي:

اعلم أنَّ الوجود قسمان: مطلق ومقيد، وهما مشتركان في جنس الوجود مفترقان في أصل الإمكان والوجوب، فالوجود المطلق وجود الحق سبحانه الذي وجوده عين ذاته، فهو هو لم يزل ولا يزال، والوجود المقيد وجود ما عداه ووجوده منه وعنه وبه، وواجب الوجود ذاته غير معلومة للبشر، وإلاَّ لأحاط الممكن بالواجب وذاك محال وأين التراب ورب الأرباب. فلم يبق إلاَّ معرفة حقيقة الوجود المقيد، وحقيقته هي النقطة التي إليها تتناهى معرفة العارفين وسلوك السالكين وهي عين اليقين وحق اليقين، ولها اعتبارات فهي النقطة وهي الفيض

[٤٣] - الكافي للكليني. الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية.

الأول وهـي العقـل الأول وهـي النـور الأول وهـي علـة الموجـودات وحقيقـة الكائنات، ومصدر المحدثات، دليل ذلك ما ورد في الحديث القدسي أنَّه قال: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأُعرف).*[٤٤] فيا عجباً مما كان خفاؤه ولا شيء معه فقوله: (كنت كنزاً مخفياً) يعني في سواتر الغيوب إذْ ليس هناك خلق يعرفني، وهو إشارة إلى وحدة الذات، (فأحببت أن أُعرف) إشارة إلى ظهور الصفات، وقوله: (فخلقت الخلق لأُعرف) إشارة إلى وجود الأفعال وانتشار الموجودات من كتمْ (**كَانَتَا رَتْقًا**(٣٠))(الأنبياء). إلى صحراء (**فَفَتَقْنَاهُمَا**(٣٠))(الأنبياء). وقوله: (وهو الآن على ما كان) إشارة إلى أنَّه لم يتكثّر بخلقه، فهو أحدٌ أبداً، لأنَّ الصفات الدالة على الذات هي غير تلك الذات، والأفعال وجود بين عَدمين، والوجود بين العَدمين في حيّز العلوم فليس إلاَّ الله وحده، ولذلك قال الحلاج*[٤٥]: من لاحظ الأزلية والأبدية وغمّض عينيه عمّا بينهما فقد أثبت التوحيد، ومن غمّض عينه عن الأزلية والأبدية ولاحظ ما بينهما فقد أتى بالعبادة، ومن أعرض عن البين والطرفين فقد تمسك بالعروة الحقيق.

مشارق الأمان للبرسي

---

[٤٤] ـ بحار الأنوار . كنز الخفاء للعجلوني .

[٤٥] ـ هو أبو عبد الله الحسين بن منصور ، جاء لقبه من عمله في حلاجة القطن، صوفي أصله من فارس، من أشهر القائلين بالشطح وأشهر كتاباته طاسين الأزل، اتصل بالجنيد وألبسه خرقة المريد، ولد/٢٤٤/ومات مصلوباً/٣٠٩/هـ في بغداد

- وقال الجنابزي:

لقد مضى القول إنَّ بطون القرآن وحقائقه كثيرة متعددة، وإنّ بطنه الأعلى وحقيقته العليا هو محمّدية محمّد (صلى الله عليه وآله) وعلويّة علي (عليه السلام)، وهو مقام المشيئة التي هي فوق الإمكان، وكل نبي ووصي كان لا يتجاوز مقامه الإمكان سوى محمّد (صلى الله عليه وآله) وأوصيائه.

فاعلم أنَّ الله تعالى شأنه العزيز كان غيباً محضاً ومجهولاً مطلقاً، وكان لا اسم له ولا رسم ولا خبر عنه، ولذا كان يُسمّى بالعماءِ فأحب أن يُعرف فخلق الخَلق لكي يُعرف كما في الحديث القدسي المعروف، فكان أول ظهوره فعله الذي يسمّى بنفس الرحمن، والإضافة الإشراقية ومقام المعروفية، والحقيقة المحمّدية (صلى الله عليه وآله) وهي اللطيفة العلويّة، ويسمّى بالمشيئة باعتبار كونه إضافة الله تعالى إلى الخلق، وبالولاية المطلقة باعتبار كونه إضافة الخلق إلى الله، وهذه الحقيقة بمضمون خلقت الأشياء بالمشيئة مبدأ جميع الخَلق بمراتبه العقلانية والنفسانية والجسمانية النورانية والظلمانية والطبيعية، ولما كان الإنسان غاية للكل وكان غاية الإنسان بمنطوق: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** (٥٦))(الذاريات) وبمضمون قوله تعالى: (فخلقتُ الخلق لكي أُعرف) فلمعرفة الله أرسل الرسل وأنزل الكتب وأسس الشرائع لمعرفته، وقد عرفت أنَّ مقام معروفيته هو مشيئته التي هي الولاية المطلقة، ولما كان المتحقق بالولاية وبمقام المعروفية محمّد (صلى الله عليه وآله) وعلياً (عليه السلام) وأولادهما صحّ أن يقال إنَّهم مبدأ الكل وغايته.

واعلم أنَّ الوجود كما مرَّ له مراتب، مرتبة منه غيب مطلق لا خبر عنه ولا اسم ولا رسم، وهو الوجوب الذاتي الذي يخبر عنه بعنوان مقام ظهوره بالوجوب

الذاتي، ومرتبة منه فعل الواجب وظهوره ومعروفيته، وفي تلك المرتبة يظهر تمام صفاته وأسمائه، وتلك المرتبة باعتبار كونها عنواناً له تعالى بأسمائه تسمى بالواحدية، وباعتبار كونها اقتضاء لإيجاد العالم تسمى بالمشيئة، وباعتبار كونها نفس إيجاد العالم تسمى بفعله تعالى، وباعتبار كونها جامعة لتمام الأسماء والصفات بوجود واحد تسمّى بالله، وباعتبار كونها مجمعاً لتمام الموجودات بنحو الإحاطة تسمّى بعلي (عليه السلام)، وبهذين الاعتبارين تسمّى بالعرش والكرسي ولها أسماء أُخر غير هذه.

فالعلم كالوجود وكذا سائر الصفات الحقيقية الإلهية حقيقة مشكّكة ذات مراتب عديدة فمرتبة منه واجب الوجود تعالى شأنه، ومرتبة منه فعله المسمّى بالمشيئة والحقيقة المحمّدية (صلى الله عليه وآلهِ) وعلويّة علي (عليه السلام) ونفس الرحمن ومقام المعروفية، وهو الواسطة بين الخلق والحق، ولذا سمّي بالحق المخلوق به، ومرتبة منه الأقلام العالية بأنواعها ومراتبها، ومرتبة منه الألواح النورية بمراتبها الكلية والجزئية، ومرتبة منه الألواح العينية بسمواتها وسماويّاتها وأرضيها وأرضايّاتها والعلم في المراتب العالية لظهور الوجود فيها وخفاء المهيّات وانغمار التعينات وانمحاء الكثرات وظهورها بأنفسها انكشاف غيرها لها، وانكشافها لدى غيرها، وإدراكها لإدراكها يُسمّى علماً وعقلاً كما يسمى وجوداً ونوراً.

بيان السعادة للجنابزي

- وقال الكاشاني:

قد دريت أنَّ ذاته سبحانه مع وحدته وبساطته كل الأشياء، فعلمه بذاته إذن عين علمه بكل شيء، وقد أفادوا ذلك بقولهم: تجلي ذاته لذاته، وذكروا أنّ حقيقته تعالى من حيث المبدئية عبارة عن التعيِّن الكلي الجامع لجميع التعيِّنات الكلية والجزئية، الأزلية والأبدية، ويسمّى بالتعيِّن الأول، فعلمه بالتعيِّنات الغير متناهية الواقعة في جميع العوالم من الأزل إلى الأبد عين علمه بذاته البسيطة، فذاته سبحانه منطوٍ على الموجودات كلها انطواءً أزلياً في مرتبة ذاته، محيط بها إحاطة تامة، بحيث لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، فذاته كمجلاة يرى بها، وفيها صور الموجودات قاطبة، من غير حلول ولا اتحاد، إذْ الحلول يقتضي وجود شيئين لكلٍ منهما وجود يغاير وجود صاحبه، والاتحاد يستدعي ثبوت أمرين يشتركان في وجود واحد ينسب ذلك الوجود إلى كلّ منهما بالذات، وقد دريت أنَّ هنالك ليس كذلك.

وكما أنَّ علمه سبحانه بذاته هو عين ذاته من غير مغايرة هناك بين العلم والعالم والمعلوم بالذات، بل ولا بالاعتبار، فكذلك علمه سبحانه بالأشياء" أيضاً" يجب أن يكون عين ذاته، بناء على الانطواء المذكور من دون مغايرة بين الثلاثة بالذات، وإنَّما المغايرة هنا بحسب الاعتبار من حيث إنَّه سبحانه إنَّما هو عين الأشياء في الظهور، وليس هو عين الأشياء في ذواتها سبحانه، بل هو هو، والأشياء أشياء.

فإذن الأشياء غيره باعتبار التعيّن والتقيّد ومخالطة الأعدام والنقائص وإن كانت عينه من حيث الوجود والحقيقة.

ومن هنا يعلم الأشياء من حيث هي أشياء، وباعتبار ذواتها ليست في مرتبة ذاته تعالى، كان الله ولم يكن معه شيء، وإن كان هو من حيث هو عين الأشياء والعالم بها، والله بكل شيء محيط.

فالوجود يتجلّى بصفة من الصفات فيتعين ويمتاز عن الوجود المتجلي بصفة أخرى، فيصير حقيقة ما من الحقائق الأسمائية.

فالفرق بين ذاته سبحانه، وبين أسمائه وصفاته كالفرق بين الوجود والماهيّة في ذوات الماهيات، إلاَّ إنَّه سبحانه لا ماهيّة له لأنَّه صرف إنّية انبجست منه الإنّيات كلها، فكما أنَّ الوجود موجود في نفسه والماهيّة ليست موجودة في نفسها من حيث نفسها، بل من حيث الوجود فكذلك صفات الحق وأسماؤه موجودات لا في أنفسها، من حيث أنفسها، بل من حيث الحقيقة الإلهية، وهذا الوجود الذي يتجلّى بالصفات هو الوجود من حيث الإلهية، وهو في نفسه من حيث الإطلاق حقيقة الاسم الله المتضمن لسائر الأسماء.

وأمَّا الذات من حيث هي فلا اسم لها، إذ ليست هي محل أثر، ولا معلومة لأحد، وإنّما الأسماء للتعريف والتمييز وهو باب ممنوع لكل ما سوى الله بالقياس إليه فلا يعلم الله إلاّ الله. وللحقائق الأسمائية أنحاء من الوجود: فتارة لها صور علمية ومظاهر عقلية على وجه إجمالي، تظهر بحسبه صفاتها وكمالاتها وشؤونها

وحيثياتها على صورة وحدانية مندمجة بعضها في بعض، وهذا في علم الله المقدم على الإيجاد وهي بهذا الاعتبار عين الذات الأحدية، بنحو من الانطواء، من غير تكثّر، ولا تغيّر، فهي من هذه الحيثية باقية أزلاً وأبداً، لا يتعلق الجعل والإيجاد بها، كما لا يتطرق الفناء والعدم إليها، وتارة لها صور عينية ومظاهر خارجية على وجه تفصيلي، تظهر بحسبه تلك الصفات والحالات بصور متعددة متمايزة بعضها عن بعض، وهذا له مراتب مختلفة حسب اختلاف العوالم والنشآت، وهي بهذا الاعتبار وجودات خاصة وهويات جزئية هي أفعاله سبحانه وآثاره، وهي من هذه الحيثية متعلقة للجعل والإيجاد متصفة بالحدوث والكثرة، ويختلف ظهور تلك الحقائق قوة وضعفاً بحسب القرب من الحق والبعد عنه، وقلة الوسائط وكثرتها، وصفاء الاستعداد وكدره، فأقوى ظهوراتها في الحضرة العلمية لأنَّها هي الأصل وسائر العوالم منها بمنزلة الظلال والأشباح، ثم في عالم الأرواح لصفائها وتقدّسها عن المواد أصلاً، ثم في عالم البرزخ للطافتها الإضافية ثم في عالم الحس.

عين اليقين ج١ للكاشاني

*****

" الحقيقة المحمّدية "*[46]

الكتاب التكويني والتدويني*[47]

[46] - هي الذات مع التعيين الأول، وهو الاسم الأعظم .
[47] - كتاب الله التدويني: هو القرآن الكريم، والتكويني: هو جميع المكونات سماويها وأرضيها، علويها وسفليها، معقولها ومحسوسها.

قال ابن عربي في أسرار الفاتحة:

فبسم الله فاتحة الفاتحة وهي آية أُولى منها أو ملازمة لها، فأقول: إنَّه لما قدمنا أنَّ الأسماء الإلهية سبب وجود العالم، وأنَّها المسلطة عليه والمؤثرة، لذلك كان بسم الله الرحمن الرحيم عندنا خبر ابتداء مُضمر، وهو ابتداء العالم وظهوره، كأنَّه يقول: ظهور العالم بسم الله الرحمن الرحيم، أي باسم الله الرحمن الرحيم ظَهَرَ العالم، واختصَّ الثلاثة أسماء، لأنَّ الحقائق تعطي ذلك، فالله هو الاسم الجامع للأسماء كلها، والرحمن صفة عامة، فهو رحمن الدنيا والآخرة، بها رَحِمَ كلّ شيء من العالم في الدنيا، ولما كانت الرحمة في الآخرة لا تختص إلاَّ بقبضة السعادة فإنَّها تنفرد عن أختها، وكانت في الدنيا ممتزجة يولد كافراً ويموت مؤمناً، أي ينشأ كافراً في عالم الشهادة وبالعكس، فجاء الاسم الرحيم مختصاً بالدار الآخرة لكلّ من آمن، وتمَّ العالم بهذه الثلاثة أسماء جملة في الاسم الله، وتفصيلاً في الاسمين الرحمن والرحيم .

- وأمَّا قوله الرحمن من البسملة: فالكلام على هذا الاسم من وجهين:

١- من وجه الذات.   ٢- من وجه الصفة .

فمن أعربه بدلاً جعله ذاتاً، ومن أعربه نعتاً جعله صفة، والصفات ست، ومن شرط هذه الصفات الحياة، فظهرت السابعة، وجميع هذه الصفات للذات، وهي الألف الموجودة بين الميم والنون من الرحمن، ويتركب الكلام على هذا الاسم من

الخبر الثابت عن النبي (ﷺوآلهِ): (إنَّ الله خلق آدم على صورته).*[٤٨] من حيث إعادة الضمير على الله ويؤيد هذا النظر الرواية الأخرى وهي قوله (ﷺوآلهِ): (على صورة الرحمن).*[٤٩]

– ولعلك تفرق بين الله وبين الرحمن لما تعرض لك في القرآن قوله تعالى: (**اعْبُدُوا اللَّهَ** (**٧٢**))(المائدة). ولم يقولوا وما الله، ولما (**قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ** (**٦٠**))(الفرقان)، ولهذا كان النعت أولى من البدل عند قوم، وعند آخرين البدل أولى لقوله تعالى: (**ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** (**١١٠**))(الإسراء). فجعلها للذات، ولم تنكر العرب كلمة الله فإنَّهم القائلون: (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** (**٣**))(الزمر). فعلموه، ولما كان الرحمن يعطي الاشتقاق من الرحمة وهي صفة موجودة فيهم خافوا أن يكون المعبود الذي يدلهم عليه من جنسهم فأنكروا وقالوا: (**وَمَا الرَّحْمَنُ** (**٦٠**))(الفرقان).

– أمّا الرحيم من البسملة فصفة محمّد (ﷺوآلهِ) قال تعالى: (**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** (**١٢٨**))(التوبة)، وبه كمال الوجود وبالرحيم تمت البسملة، وبتمامها تمَّ العالم خلقاً وإبداعاً، وكان (ﷺوآلهِ) مبتدأ وجود العالم عقلاً ونفساً لقوله (ﷺوآلهِ): (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين).*[٥٠] فبه بدئ الوجود باطناً وبه

[٤٨] ـ صحيح البخاري .
[٤٩] ـ شرح اصول الكافي للمازندراني .
[٥٠] ـ كشف الخفاء – العجلوني، وصحيح الترمذي .

ختم المقام ظاهراً في عالم التخطيط فقال(ﷺوآلهِ): (لا رسول بعدي ولا نبي)،*[٥١] فالرحيم هو محمّد (ﷺوآلهِ) وبسم هو أبونا آدم (عليه السلام)، وأعني في مقام ابتداء الأمر ونهايته وذلك أنَّ آدم (عليه السلام) هو حامل الأسماء قال تعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** (٣١))(البقرة)، ومحمّد (ﷺوآلهِ) حامل معاني تلك الأسماء التي حملها آدم عليهما السلام وهي الكَلِمُ، قال(ﷺوآلهِ): (أُوتيت مجامع الكلم).*[٥٢]

الفتوحات المكية ج١ لابن عربي

- وقال الجيلي:

ذاتٌ لها في نفسها وجهان	للسفل وجه والعلا للثاني
ولكلّ وجه في العبادة والأدا	ذات وأوصاف وفعل بيان
إن قلت واحدة صدقت وإن	تقل اثنان حق إنَّه اثنان
أو قلت لا بل إنَّه لمثلث	فصدقت ذاك حقيقة الإنسان
فهي المسمى أحمد من كون ذا	ومحمّد لحقيقة الأكوان
وعليك صلّى الله يا حاء الحيا	ياسين سرَّ الله في الإنسان

[٥١] ـ مسند أحمد.
[٥٢] ـ تفسير الميزان للطباطبائي .

– وقال الجيلي مفسراً قول ابن عربي:

لله فـي خـلقـه نذير	يُعْلـمـهـم أنَّـه البشير
وهو السراج الــذي	سناه يبهر ألبابنا المنير
في كلّ عصرٍ له شخيص	تجري بأنفاسه الدهور
عينَّه في الوجود فرداً	الواحد العالم البصير
يا واحداً مجده تعالى	ليس له في الورى نظير
ليس لأنواره ظهـور	إلاَّ بنا إذ لنا الظهور
فنحن مجلى لكلّ شيء	يظهر في عينه الأمور

فأول ما نشأ في ذلك، قال: (لله في خلقه نذير يُعْلمهم أنَّه البشير) أراد (رضي الله عنه) بالنذير والبشير: الحقيقة المحمّدية الكلّية، التي هي موجودة بجزئياتها في كلّ نبي وولي بالعين والشهود، وفيما عدا هذين الوصفين "بالحكم والوجود" فهي على التحقيق روح الأرواح، ولهذا قال: (وهو السراج الذي سناه يبهر ألبابنا المنير)، أي الحقيقة المحمّدية هي النور الذي يقع به التميّز، ومن ثمَّ عبَّر رسول الله (صلى الله عليه وآلهِ) عن روحه الكريمة بالعقل، فقال في الحديث: (أول ما خلق الله العقل).*[٥٣] وقد ورد عنه أنَّه قال: (أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر).*[٥٤]

[٥٣] ـ أخرجه أبو داوود (السنن،١٦). الكافي .
[٥٤] ـ كشف الخفاء .

فعلمنا أنَّ روحه هي العقل الذي به ظهر الوجود، وتميّز العابد من المعبود، لأنَّ الله تعالى جعل العقل الأول جامعاً لحقائق الموجودات، وأبرزها منه على الترتيب الذي أراده في علمه، وقضى به في حكمه.

شرح مشكلات الفتوحات المكية للجيلي

- وقال أيضاً مفسراً قوله تعالى:

- (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)**)(الأنبياء).

- (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (١٥٦)**)(الأعراف).

اعلم أنَّ الرحمة رحمتان " رحمة خاصة ورحمة عامة "

فالرحمة الخاصة: هي التي يدرك الله بها عباده في أوقات مخصوصة.

والرحمة العامة: هي حقيقة محمّد (ﷺوآلهِ) وبها رحم الله تعالى حقائق الأشياء كلها، فظهر كلّ شيء في مرتبته من الوجود، وبها استعدت قوابل الموجودات لقبول الفيض والجود، فلذلك أول ما خلق الله روح محمّد (ﷺوآلهِ) كما ورد في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) عندما سأل رسول الله (ﷺوآلهِ) بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء ؟، قال (ﷺوآلهِ): يا جابر إنَّ الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره،*[٥٥] ليرحم به الموجودات الكونية فيخلقها على نسخته، ويستخرجها من نشأته، فخلق منه

[٥٥] - كشف الخفاء - العجلوني

العرش، والكرسي، وسائر العلويات والسفليات لتكون مرحومة به، إذ هي من نشأته الكريمة مخلوقة على أنموذج نسخته العظيمة.

ولذلك سبقت رحمة الله تعالى غضبه، لأنَّ العالم كلّه على نسخة الحبيب، والحبيب مرحوم، فحكم الرحمة في الوجود لازم ،وحكم الغضب عارض، لأنَّ الرحمة من صفات الذات والغضب من صفات العدل، والعدل فعل، وفرق كبير بين صفات الذات وبين صفات الفعل.

ولذلك المعنى تسمَّى الله بالرحمن الرحيم، ولم يتسمَّ بالغضبان ولا بالغضوب، وقال: اعلم أنَّ الله تعالى لما أراد أن يَظْهر من تلك الكنزية المخفية، وأحبَّ أن يخلق هذا العالم الكوني لمعرفته كما قال في الحديث القدسي: "كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق فيَّ عرفوني". *[٥٦]

وكانت الموجودات في ذات التجلي الأزلي موجودة في علمه أعياناً ثابتة، قد علم من قوابلها أنّها لا تستطيع معرفة عدم النسبة بين الحدث والقدم، والمحبة مقتضيه لظهوره عليهم حتى يعرفوه، فخلق من تلك المحبة حبيباً اختصه لتجليات ذاته، وخلق العالم من ذلك الحبيب لتصبح النسبة بينه وبين خلقه، فيعرفوه بتلك النسبة، فالعالم مظهر تجليات الصفات، والحبيب (ﷺوآلهِ) مظهر تجليات

[٥٦] ـ كشف الخفاء ـ العجلوني

الذات، وكما أنَّ الصفات فرع من الذات، كذلك العالم فرع عن الحبيب فهو (صلى الله عليه وآلهِ) واسطة بين الله وبين العالم.

والدليل على ما قلناه قوله (صلى الله عليه وآلهِ): " أنا من الله والمؤمنون مني". *[57]

وقوله (صلى الله عليه وآلهِ) لجابر: " إنَّ الله خلق روحه ثمَّ خلق العرش والكرسي والعلويات والسفليات جميعاً منه."[58]

وقوله أيضاً (صلى الله عليه وآلهِ): " كنت نبياً وآدم بين الماء والطين". *[59]

يُعلم من ذلك أنّه كان لا واسطة بين الله وآدم، حتى صحَّ ظهور آدم وكمل وجوده، قال سبحانه وتعالى: (**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ(٨١)**)(آل عمران).

إذاً لهذا أخذ الله من أجله الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به وينصروه...،

وسرُّ هذا الأمر أنَّهُ مظهر الذات، والأنبياء مظاهر الأسماء والصفات، وبقية العالم العلوي والسفلي مظاهر أسماء الأفعال، ما خلا أولياء أمة محمّد (صلى الله عليه وآلهِ)

[57] ـ كشف الخفاء للعجلوني .
[58] ـ كشف الخفاء للعجلوني .
[59] ـ كشف الخفاء ـ العجلوني

فإنّهم كالأنبياء مظاهر الأسماء والصفات لقوله (ﷺوآلهِ): "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل". *[60]

فَعُلم مما أوردناه أنّه لو لم يكن (ﷺوآلهِ) موجوداً لما كان شيء من الموجودات يعرف ربه، بل لم يكن العالم موجوداً لأنَّ الله ما أوجد العالم إلاّ لمعرفته.

الكمالات الإلهية في الصفات المحمّدية للجيلي

- وقال الجيلي في شرح بسم الله الرحمن الرحيم:

جاءِ في الحديث: (أنَّ كلّ ما في الكتب المنزلة فهو في القرآن وكلّ ما في القرآن فهو في الفاتحة وكلّ ما في الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وكلّ ما في البسملة في الباء وسرُّ الباء في النقطة)، *[61] وكذلك الحق سبحانه وتعالى مع كلّ أحد بكماله لا يتجزأ ولا يتبعض، فالنقطة إشارة إلى ذات الله تعالى الغائب خلف سرادق كنزيّته في ظهوره لخلقه، ألا تراك ترى النقطة ولا تُحسن قراءتها لصموتها وتنزهها عن التقييد بمخرج دون مخرج، إذ هي نفس الحروف الخارجة من جميع المخارج، فتنبه لما تقابله من هوية غيب الأحدية.

فكلّ حرف مركب من النقطة، فالنقطة لكلّ حرف كالجوهر البسيط والحرف كالجسم المركب، فمقام الألف بجسمه مقام النقطة، فتركيب الأحرف منها، وكذلك الحقيقة المحمّدية خلق العالم بأسره منها، كما ورد في حديث جابر بن

[60] ـ كشف الخفاء للعجلوني .
[61] ـ مناقب آل آبي طالب .

عبد الله الأنصاري: (أنَّ الله تعالى خلق روح النبي (ﷺوآلهِ) من ذاته وخلق العالم بأسره من روح محمّد (ﷺوآلهِ))،*[٦٢] فمحمّد (ﷺوآلهِ) هو الظاهر في الخلق باسمه بالمظاهر الإلهية، ألا ترى أنَّه (ﷺوآلهِ) أُسري بجسمه إلى فوق العرش وهو مستوى الرحمن.

– وقال عن الباء: هو العرش وهي النفس الناطقة المسماة من بعض وجوهها بالقلب الذي وسع الله، والنقطة هي غيب الهوية المسماة بالكنز المخفي التي لا تحول عن كنزيتها وخفائها أبداً، فالباء مستوى الأعداد لأنَّها أول العدد ولا عدد إلاَّ والباء موجودة فيه، كما أنَّ الرحمانية مستوى الأسماء النفسية التي هي الأسماء السبعة: (الحياة، العلم، القدرة، السمع، البصر، الإرادة، الكلام).وكلّ اسم فداخل تحته كما قال الحق تعالى: (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** (١١٠))(الإسراء). فالرحمن مشارك الله في التسمّي بجميع الأسماء الحسنى، ويفارق الله بما وراءه من ذلك.

– أمَّا اثنينية الباء: هو بروز الحق لنفسه في ترتيب ذاته الخلقي، وهو النظر الثاني لأنَّ الحق سبحانه وتعالى له مشهدان في نفسه ،فمشهد أحدي ذاتي لا ينظر الله فيه إلى ما يسميه خلقاً فلا وجود للخلق في ذلك المشهد، ومشهد ذاتي ينظر الله فيه إلى مرتبة من ذاته سماها خلقاً مرتبة على ترتيب ذاته وسمَّى ذلك الترتيب بالصفات، فالباء هو هذا المشهد الثاني الذي يظهر فيه آثار الحكم

[٦٢] ـ كشف الخفاء للعجلوني

المسمّى من ذات الله بالرحمن، وهو المعبر عنه بمستوى أسماء الحضرة الخلقية، ومن ثمَّ قيل في آدم أنَّه على صورة الرحمن، وقد تبين في اصطلاح الصوفية تسمية الإنسان بالعالم الصغير وتسمية العالم بالإنسان الكبير.

- فإنَّ الرحمن موصوف بكلّ وصف نائب مناب اسم الله في التسمي بالأسماء الحسنى، فلا يعقل الخلق من الله إلاَّ حد مستوى الرحمن، وبعد ذلك فليس للمخلوق فيه مجال البتة، وما ثمَّ إلاَّ الحضرة الأحدية المحضة التي هي الوجه الذي لا يفنى.

- واعلم أنَّ السين عبارة عن سرَّ الله تعالى وهو الإنسان...لقول بعض المفسرين: إنَّ (ياسين) الياء فيها حرف نداء والسين الإنسان، والكلام عليه من باب الإشارة يقول الله: يا إنسان عين ذاتي والقرآن الحكيم، فالقرآن الحكيم عطف على عين ذاتي الذي أضيف إليه الإنسان، فهو سرُّ الذات وسرُّ القرآن الحكيم لقوله في الحديث القدسي: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني).*[٦٣]

- أمَّا عن اسم الله فقال: هو دليل عليه سبحانه وبه تسمى الحق قبل أن يخلق العالم لأنَّ الله غني عن العالم، بخلاف اسمه الرحمن، فإنَّه ناظراً إلى ظهور أثر الرحمانية في المرحوم، لا بدَّ من ذلك للحق سبحانه وتعالى إمَّا ظاهراً في الوجود

[٦٣] ـ كشف الخفاء للعجلوني

وإمَّا باطن في علمه ملحوظ له فافهم، وكذلك الربّ والخالق وبقية الأسماء الرحمانية كالمعطي والواهب والمنتقم، وأعنى بالأسماء الرحمانية كلما يطلب مؤثراً يظهر في أثره كالعلم فإنَّه يطلب معلوماً والسميع والبصير والقدير والمريد والمتكلم، ككلمة (كن) فإنَّها تطلب مكوناً، فهذه وأشباهها أسماء رحمانية، وقد سبق فيما تقدم معنى أنَّ الرحمن هو الله بنظره إلى ما يستحقه العرش وما حواه، بخلاف اسمه الله تعالى فإنّه علم للذات.

الكهف والرقيم للجيلي

- وقال البرسي:

العالم أعراض وأجسام، والأجسام مركبة من السطح والخط، خطاً ثم سطحاً ثم جسماً، ومدار الكل على النقطة.

وكذلك الكلام مداره على الكلمة، والكلمة مدارها على الحروف، والحروف مدارها على الألف، والألف مدارها على النقطة.

وكذلك بنو آدم فإنَّ كثرتهم منحصرة في وحدة آدم دليله قوله (عزّ وجلّ):

(**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**(٦))(الزمر). أي من صورة واحدة ومادة واحدة بيّنهما للغافلين وإيجاز للعارفين.

وكثرة آدم راجعة في بستان الوحدة إلى النقطة، وكذلك الأعداد فإنَّ مرجعها إلى الواحد ومنبعها منه، والواحد هو النقطة.

وكذلك الأسماء الإلهية فإنَّ مرجعها إلى الاسم المقدس الجامع المانع فهو جامع لشملها، وشامل لجمعها، متجل في أفرادها ومجمع تركيب هذا الاسم المقدس الحروف، ونهاية الحروف النقطة فتناهت الأشياء بأسرها إلى النقطة ودلت عليها، ودلت النقطة على الذات، وليست هذه النقطة كنقطة أطراف الخطوط العدميات ولكنها الفيض الأول والصادر عن ذي الجلال المسمى في أُفق العظمة والجمال بالعقل الفعال، وذلك وجود الحضرة المحمّدية، ودليله من صريح الآيات قوله سبحانه: (**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٣٥)**)(النور). فقوله (الله) اسم للذات، وقوله: (نور) اسم للصفات، والحضرة المحمّدية صفة الله وصفوته، صفة في عالم النور وصفوته في عالم الظهور، فهي النور الأول الذي عليه المعوّل، دليله قوله وهو الصادق الأمين: (أول ما خلق الله نوري).*[٦٤]

وقال: (أنا من الله والكل مني).*[٦٥]

وقال: (كنت أنا وعليٌّ نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربعة عشر ألف عام).*[٦٦]

فمحمّد وعلي حجاب الحضرة الإلهية ونوّابها وخزان أسرار الربوبية وبابها، أمَّا الحجاب فلأنّهم اسم الله الأعظم والكلمة التي تجلى فيها الربّ لعباده، فبالكلمة تجلّى الصانع للعقول وبها احتجب عن العيون، يعرفك بها من عرفك.

---

[٦٤] - ينابيع المودة .
[٦٥] - بحر المعارف .
[٦٦] - رواه أحمد بن حنبل في مسنده.

سبحان من تجلّى بخلقه لخلقه حتى عرفوه، ودلّ بأفعاله على صفاته حتى وحّدوه، ودلّ بصفاته على ذاته حتى عبدوه .

– فإذا استقرأنا الموجودات فإنّها تنتهي إلى النقطة الواحدة التي هي صفة الذات وعلّة الموجودات ولها في التسمية اعتبارات فهي النقطة، وهي الحضرة المحمّدية، وهي العقل الفعال، من قوله (ﷺوآلهِ): (أول ما خلق الله تعالى العقل)،*[٦٧] فالحضرة المحمّدية هي نقطة النور وأول الظهور وحقيقة الكائنات ومبدأ الموجودات وقطب الدائرات، وظاهرها صفة الله وباطنها غيب الله، فهي ظاهر الاسم الأعظم، وعليها مدار سائر العالم، (لأنَّ الله تعالى سبحانه تكلم في الأزل بكلمة فصارت نوراً ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً وأدخل ذلك الروح في ذلك النور وجعله حجاباً).*[٦٨]

فهو نوره وكلمته وروحه وحجابه، وسريانها في العالم سريان النقطة في الحروف والأجسام، وسريان الواحد في الأعداد والألف في الكلام، سريان الاسم المقدس في الأسماء، فهي مبدأ كل شيء وحقيقة كلّ شيء، فكل ناطق بلسان الحال والمقال فإنَّه شاهد لله بالربوبية والوحدانية، ولمحمّد وعلي بالأُبوة والملكية، دليله قوله (ﷺوآلهِ): (أنا وعلي أبوا هذه الأُمة).*[٦٩]

---

[٦٧] - بحار الأنوار .
[٦٨] - بحار الأنوار .
[٦٩] - علل الشرائع .

وإذا كانا أبوي هذه الأُمة دلّ بالالتزام ووجب أن يكونا أبَوَي سائر الأُمم لدلالة الخاص على العام، والأعلى على الأدنى من غير عكس، فلولاهما لم يكن خَلقٌ أبداً لاختصاصهما بـ(لولاك لما خلقت الأفلاك).*[٧٠]

هذا رمز وحلّه لمن عارضه الشك في وادي الشرك، أنَّ الأفعال صدرت عن الصفات والصفات عن الذات، والصفة التي هي عين الوجود وشرف الوجود، فقد صرح الدليل بالتفضيل أنَّ أول الموجودات هي النقطة الواحدة التي هي صفة للأحد، وهي الجمال الصادر عن الجلال والنور المبتدع من سحاب جلال العظمة المشعشع من فيض قدس الرحمة الحضرة المحمّدية، فوجب أن نذكر من علم الحروف برهاناً يوضح ما قلناه وسر ما ادّعيناه فنقول: اعلم أنَّ لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة باطنة في العالم تسمى بالصورة الغيبية وصورة ظاهرة تسمى بالصورة العينية، وإنَّ لكل الأسماء ربّاً وهي مربوبة له، والحقيقة المحمّدية صورة الاسم الجامع الإلهية ومنه الاستمداد لجميع الأشياء، وتلك الحقيقة هي التي تَرب صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها وهو ربّ الأرباب، لأنّها هي الظاهرة في تلك المظاهر، فبصورتها الظاهرة المناسبة لصورة العالم التي هي مظهر الاسم الظاهر تربّ صعد العالم، وبباطنها تربّ باطن العالم لأنَّه صاحب الاسم

[٧٠] ـ بحار الأنوار .

الأعظم وله الربوبية المطلقة، ولذلك قال رسول الله (ﷺوآلهِ): (خصصت بفاتحة الكتاب وخواتيم البقرة وأعطيت جوامع الكلم).*[٧١]

– واعلم أَّن الكلام يتناهى إلى الكلمة، والكلمة إلى الحروف، والحروف إلى النقطة، وهي الألف المفقودة ويتم في ثمانية وعشرين حرفاً وهي الصورة الإلهية القائمة بذات الله، وهي من قسمين جلال وجمال، وحروف الجلال قسم واحد وهي الحروف النارية، وحروف الجمال ثلاثة أقسام وليس في الحروف حرف إلاَّ وهو صادر عن الألف وفيه الألف وهو شهادة الوجود والموجود بوحدانية الرب المعبود.

ففي كلّ شيء له آية تدل على أنّه واحد

وعن سر الحروف تُرّكب الأسماء ،لكلّ كلمة ظاهر وباطن ، فالظاهر من الكلام لأهل التقليد، والباطن لأهل التحقيق والتجريد، لأنَّ الظاهر هو جسم الروح وقشوره، والباطن روح الجسم ولبابه.

– ألم تعلم أنَّ الله سبحانه خلق ألفاً وتسعة عشر عالماً وألف ألف عام، مبدؤها الحضرة المحمّدية وسرها الولاية الإلهية ، خلقها وهي غنيً عن العالمين وسلّمها إلى الولي الحاكم والمتصرف العادل عن أمر، لا يسأل عما يفعل وكيف يُسأل المؤيد بالعصمة ؟ وهو الولي المطلق الذي يريد الله ما يفعل، ويفعل الله ما يريد، أوجده

[٧١] - من لا يحضره الفقيه .

مُوجداً للكل، واختاره على الكل، وولاَّه أمر الكل، وحكَّمه على الكل، فهو الكلمة التامة، والحاكم يوم الطامة، وكيف لا يكون ذلك كذلك وهو الاسم الأعظم الذي به تتفعل الكائنات المتصرف في سائر الموجودات فهو الأول والآخر والباطن والظاهر، الأول بالأنوار، والآخر بالأدوار، والباطن بالأسرار، والظاهر بالآثار. فهو مقام الرب في وجوب الطاعة والأمر، ووجوب الطاعة والقهر، نطقت فيهم كلمته وظهرت عنهم مشيئته فهو هو هو لوجوب طاعته وامتثال أمره، وليس هو هو بالذات المقدسة عن الأشياء والأمثال المنزهة من الصورة والمثال، كما ورد عن النبي (ﷺوآلهِ) أنَّه قال: (إنَّ لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن هو، وهو مع ذلك هو هو ونحن نحن).*[٧٢]

يؤيد ذلك ما ورد في الحديث القدسي يقول الرب سبحانه:

(عبدي أطعني أجعلك مثلي، أنا حيٌ لا أموت أجعلك حي لا تموت).*[٧٣]

ألم ترووا عن الروح الأمين (عليه السلام) أنَّه كان ينزل في صورته العظمى إلى النبي (ﷺوآلهِ) فيرتعب لها، فسأل من الله أن ينزله إليه في صورة دحية الكلبي،*[٧٤]

فصار ينزل إليه في صورة البشر.

---

[٧٢] ـ الكلمات المكنونة للفيض الكاشاني.
[٧٣] ـ الجواهر السنية .
[٧٤] ـ قال ابن الفارض:

وها دحية وافى الأمـــين نبينا	بصورته في بدء وحي النبـوة
أجبريل قل لي كان دحية إذ بدا	لمهدي الهدى في هيئة بشرية
وفي علمه عن حاضريه مزية	بماهية المرئي من غير مرية
يـــرى ملكاً يوحي إليه وغيره	يرى رجلاً يدعى لديه بصحبة

فأين كانت صورته العظمى إذا نزل في صورة البشر أكان يُخلّفها خلفه في السماء أم كان يخفيها ويُظهر ما شاء من الصور، ومن أين له هذه القدرة على أن يُبدل صورته بصورة أخرى وهو مع ذلك دون مرتبة عليٍّ لأنَّه خادم آل محمّد، وأين مرتبة الخادم من المخدوم ؟

مشارق الأمان للبرسي

- وقال الجنابزي:

في تفسير قوله تعالى: (**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (**١١٥**))(البقرة) أيُّها المؤمنون في أي بقعة من بقاع الأرض تولوا إليه فثم وجه الله لا اختصاص له ببقعة دون بقعة، والوجه كما مضى: ما به ظهور الشيء، وما به توجهه واستقباله وذات الشيء .

واعلم أنَّ الحق الأول تعالى بحسب مقام ذاته الغيبية غيب مطلق ومجهول مطلق، لا اسم له ولا رسم ولا خبر عنه ولا أثر، لكنه بحسب مقام ظهوره وفعله لا خبر عن شيء إلاَّ وهو خبر عنه، ولا اسم ولا رسم لشيء إلاَّ وهو اسم ورسم له، ولا ظهور لشيء إلاَّ وهو ظهوره، فهو بفعله محيط بكل الأشياء كما قال تعالى: (**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا** (**١٢٦**))(النساء) وقال: (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (**٣**))(الحديد). وقال: (**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**(**٤**))(الحديد).

وكما قال(عليه السلام): داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء بل كدخول المقوم في المتقوم، فلا اختصاص لبقعة دون بقعة بالعبادة والتوجه إلى المعبود في نفسها .

– وقال في قوله تعالى: (**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي** (٢٩))(طه). يكفيك فمحمّد (صلى الله عليه وآلهِ) وعلي (عليه السلام) مظهرا العقل والنفس الكلّيين، وبالبيعة على أيديهما يتولد جنود العقل الاختيارية، ويسمّي الصوفية مظهر العقل بالمرشد، ومظهر النفس بالدليل، وبحسب تفاوت مظهريتهما وتصرفهما يكون أحدهما مظهراً لاسم (الله) أو (الرحيم) والآخر مظهراً لاسم (الرحمن)، وباعتبار هذه المظهرية والاثنينية قال تعالى: (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**(١١٠)) (الإسراء). فإنَّ التخيير والترديد ليس باعتبار اللفظين فإنّهما آلتا الدعوة وليس مدعوين ولا مفهومي اللفظين فإنّهما أيضاً عنوانا المدعوين والمدعو لا محالة أمر حقيقي لا أمر ذهني، والذات الأحدية التي هي مصداق ذينّك اللفظين لا تكثّر فيه، فلا بدَّ وأن يكون المدعو أمرين يكونان مظهرين لمفهومي هذين الاسمين حتى يصحّ هذا الترديد، لا يقال المراد ادعوا الذات الأحدية بلفظ الله أو بلفظ الرحمن لأنّه يقال ظاهر اللفظ غير هذا، والحذف والإيصال في مثل هذا شاذٌ ينافي الفصاحة، وتكرار ادعوا ينافيه وجعل ادعوا بمعنى سمّوا أيضاً بعيد، فالمراد ادعوا مظهر اسم الله أو ادعوا مظهر اسم الرحمن.

– وقال في قوله تعالى: (**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**(٨٠))(النساء) وضع المظهر موضع المضمر إشارة إلى التعليل، في قوله أطيعوا الرسول، أو لأنّه مُبلِغٌ، والآمر والناهي هو الله، أو لأنّ الرسول (ﷺوآلهِ) لما فني من نفسه وبقي بالله ونسبته إلى الله أقوى من نسبته إلى بشريته، وظهور الله فيه أتم من بشريته كما قال (ﷺوآلهِ): (من رآني فقد رأى الحق).*[٧٥] فمن أطاعه من حيث ظهور بشريته يعلم أنّه أطاع الله قبَل حيثية بشريته، ولذلك أتى بالماضي مصدراً بِقَد للدلالة على مضيه لتقدم نسبته إلى الله وظهوره فيه على نسبته إلى بشريته.

بيان السعادة للجنابزي

– وقال الخميني:

أمَّا الاسم الأعظم بحسب مقام الأُلوهية والواحدية هو الاسم الجامع لجميع الأسماء الإلهية، جامعية مبدأ الأشياء وأصلها لها، والنواة للأشجار من الفروع والأغصان والأوراق، أو اشتمال الجملة لأجزائها كالعسكر على الأفواج والأفراد وهذا الاسم بالاعتبار الأول بل بالاعتبار الثاني أيضاً حاكم على جميع الأسماء، وجميعها مظهره، ومقدم بالذات على المراتب الإلهية .

ولا يتجلّى هذا الاسم بحسب الحقيقة تاماً إلاَّ لنفسه، ولمن ارتضى من عباده وهو مظهره التام، أي صورة الحقيقة الإنسانية التي هي صورة جميع العوالم، وهي مربوب هذا الاسم، وليس في النوع الإنساني أحد يتجلى له هذا الاسم على ما

[٧٥]- المسند الجامع ،الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم .

هو عليه إلاّ الحقيقة المحمّدية (ﷺوآلهِ) وأوليائه الذين يتّحدون معه في الروحانية، وذلك هو الغيب الذي استثنى منه من ارتضى من عباده.

وفي رواية الكافي: (واللّه لمحمّد (ﷺوآلهِ) ممن ارتضى من عباده) .

وأمّا الاسم الأعظم بحسب الحقيقة العينيّة فهو الإنسان الكامل خليفة اللّه في العالمين، وهو الحقيقة المحمّدية (ﷺوآلهِ) التي بعينها الثابت متحدة مع الاسم الأعظم في مقام الإلهية، وسائر الأعيان الثابتة بل الأسماء الإلهية من تجليات هذه الحقيقة، لأنَّ الأعيان الثابتة تعيّنات الأسماء الإلهية والتعيّن عين المتعيّن في العين غيره في العقل، فالأعيان الثابتة عين الأسماء الإلهية، فالعين الثابتة من الحقيقة المحمّدية عين الاسم اللّه الأعظم وسائر الأسماء والصفات والأعيان من مظاهره وفروعه، أو أجزائه باعتبار آخر، فالحقيقة المحمّدية هي التي تجلّت في العوالم من العقل إلى الهيولى، والعالم ظهورها وتجلّيها، وكل ذرّة من مراتب الوجود تفصيل هذه الصورة، وهذه هي الاسم الأعظم، وبحقيقتها الخارجية عبارة عن ظهور المشيئة التي لا تعيّن فيها، وبها حقيقة كل ذي حقيقة وتعيّن كلّ متعيّن "خلق اللّه الأشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها " وهذه البنية المسماة بمحمّد بن عبد اللّه النازل من عالم العلم الإلهي إلى عالم الملك، لخلاص المسجونين في سجن عالم الطبيعة مجمل تلك الحقيقة الكلية وانطوى فيه جميع المراتب انطواء العقل التفصيلي في العقل البسيط الإجمالي.

وفي بعض خطب أمير المؤمنين ومولى الموحدين سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب صلوات اللّه وسلامه عليه: (أنا اللوح وأنا القلم، أنا العرش، أنا الكرسي، أنا السموات السبع، أنا نقطة باء بسم اللّه).*[٧٦] وهو سلام اللّه عليه بحسب مقام الروحانية متحد مع النبي (ﷺوآلهِ)، كما قال: (ﷺوآلهِ) (أنا وعلي من شجرة واحدة).*[٧٧] وقال: (أنا وعلي من نور واحد).*[٧٨] إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على اتحاد نورهما عليهما السلام وعلى آلهما .

شرح دعاء السحر للخميني

– وقال الشاعر الصوفي المنتجب العاني (قُدّس سرّه):

تجلى لأبصار البرايا بصورة	ممثلة بالذرء كان بها بدا
ترأوهُ بها يوم الأظلة ظاهراً	فمجدّه بالحق من كان مجّدا
وقال لهم جهراً ألستُ بربكم	فقالوا بلى أضحى لك الكلّ عُبّدا
وقد كان أبدى الميم من نور ذاته	فخرت له الأملاك من قبل سُجَّدا
حجاباً أشار العارفون بسرهم	إليه وعقلاً بالهداية أرشدا
دعاه العلي الشان فينا محمّداً	وكان دعاه في السموات أحمدا
هو البيت والعرش المكين لعارف	وأول نور كان لله وحدّا

[٧٦] - مشارق أنوار اليقين .
[٧٧] - بحار الأنوار .
[٧٨] - بحار الأنوار .

– وأورد الدكتور أسعد علي في عرفان المنتجب عن الغزالي في إحياء علوم الدين عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنَّه قال:

(لقد تجلى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون)، فيكون لكلّ آية مطلع من هذا الوجه، فالحد: حدُّ الكلام، والمطلع: الترقي عن حدِّ الكلام إلى شهود المتكلم...ومعنى ذلك: أنَّ الله تعالى خاطب الذر بقوله: (ألستُ بربكم) فسمعت النداء على غاية الصفاء، ثم لم تزل الذرات تتقلب في الأصلاب وتنتقل إلى الأرحام حتى برزت بين أجسادها، فاحتجبت بالحكمة عن القدرة، وبعالم الشهادة عن عالم الغيب...فإذا أراد الله بالعبد حسن الاستماع بأن يصيّره صوفياً لا يزال يرقيه في رتب التزكية والتحلية حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة إلى فضاء القدرة، فيزيل عن بصيرته النافذة سجف الحكمة حتى يصير سماعه (ألست بربكم) كشفًا وعياناً، وتوحيده وعرفانه بياناً، وتندرج له ظلم الأطوار في لوامع الأنوار.

فن المنتجب العاني وعرفانه

– وقال الأمير المكزون (قُدّس سرّه):

كلّ المحاسن جزء حسن محمّد	وإليـه مرجعها وعنه صدورها
وسناه لو لم يغش أنوار السما	وات العُلـى لـم يبد فيها نورها
قـدمـت مـكـارمه وجلّ ثناؤه	إذ عـزَّ فـي كلّ الوجود نظيرها

وقال أيضاً:

لأحمد في الذكر وصف عظيم رسول نبي رؤوف رحيم
شهيد بشير سراج منير سميع بصير خبير عليم
نذير مجير ولي نصير وساع وداع وراع حميم
كتاب مبين قوي أمين مكان مكين صراط قويم
ذكور شكور صبور وقور حميد مجيد غفور حليم

معرفة الله والمكزون السنجاري د. أسعد علي

المكزون بين الإمارة والتصوف .حامد حسن

– وقال الشاعر أحمد شوقي في همزيته يمدح النبي محمّد (ﷺوآلهِ):

يتساءلون وأنت أطهر هيكل بالروح أم بالهيكل الإسراءُ
بهما سموت مطهّرين كلاهما نورٌ وروحانيةٌ وبهاءُ

*****

" الإنسان الكامل والخليفة "*[٧٩]

[٧٩] - هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية، وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية .
والخليفة الكامل: هو من كَمُل من البشر، كأكابر الأولياء، وأولي العزم من الرسل (عليهم السلام)، الذين من شأنهم الصبر والثبات في حاق الوسط بين الخلق والحق، ليأخذوا المدد من الحق بلا واسطة، بل بحقيتهم، ويعطون الخلق بخلقهم، فلا يميلون إلى طرف فيهملون الطرف الآخر، كما عليه الحال فيمن غلبت عليه حقيته باستهلاكه في نور الحق، أو خلقيته بانحجابه بظلمة الخلق.

- قال ابن عربي في صفة آدم:

إن شئت صفته الحضرة الإلهية، وإن شئت مجموع الأسماء الإلهية، وإن شئت قول النبي (ﷺوآلهِ): (إنَّ الله خلق آدم على صورته).*[80] فهذه صفته، فإنَّه لما جمع له في خلقه بين يديه، علمنا أنَّهُ قد أعطاه صفة الكمال فخلقه كاملاً جامعاً، ولهذا قَبِلَ الأسماء كلها، فإنَّه مجموع العالم من حيث حقائقه، فهو عالم مستقل، وما عداه فإنَّه جزء من العالم، ونسبة الإنسان إلى الحق من جهة باطنه أكمل في هذه الدار الدنيا، وأمَّا في النشأة الآخرة فإنَّ نسبته إلى الحق من جهة الظاهر والباطن، وأمَّا الملك فإنَّ نسبته من جهة الظاهر إلى الحق أتم، ولا باطن للملك ولكن إلى الحق (من حيث هو مسمَّى الله) لا من حيث ذاته، فإنَّه من حيث ذاته هو لذاته، ومن حيث مسمَّى الله يطلب العالم، فكان العالم لم يعلم من الحق سوى المرتبة وهي كونه إلهاً ورباً، ولهذا لا كلام له فيه إلاَّ في هذه النسب والإضافات، وسمِّي بآدم لحكم ظاهره عليه فإنَّه ما عرف منه سوى ظاهره، كما أنَّه ما عرف من الحق سوى الاسم الظاهر، وهو المرتبة الإلهية، فالذات مجهولة، وكذلك كان آدم عند العالم من الملائكة، فمن دونهم مجهول الباطن، وإنّما حكموا عليه بالفساد أي بالإفساد من ظاهر نشأته لما رأوها قامت من طبائع مختلفة متضادة متنافرة، فعلموا أنَّ لا بدَّ أن يظهر أثر هذه الأصول على من هو على هذه النشأة، فلو علموا باطنه وهو حقيقة ما خلقه الله عليه

---

[80] - صحيح البخاري .

من الصورة لرأوا الملائكة جزءاً من خلقه، فجهلوا أسماءه الإلهية التي نالها بهذه الجمعية لما كشف له عنه فأبصر ذاته فعلم مستنده في كلّ شيء ومن كلّ شيء، فالعالم كلّه تفصيل آدم، وآدم هو الكتاب الجامع، فهو للعالم كالروح من الجسد، فالإنسان روح العالم والعالم الجسد، فبالمجموع يكون العالم كلّه هو الإنسان الكبير والإنسان فيه، وإذا نظرت في العالم وحده دون الإنسان وجدته كالجسد المسوَّى بغير روح، وكمال العالم بالإنسان مثل كمال الجسد بالروح، والإنسان منفوخ في جسم العالم فهو المقصود من العالم، واتخذ الله الملائكة رسلاً إليه ولهذا سماهم ملائكة أي رسلاً من "المألكة" وهي الرسالة، فإن أخذت الشرف بكمال الصورة قلت: الإنسان أكمل، وإن أخذت الشرف بالعلم بالله من جانب الحق لا من طريق النظر فالأفضل والأشرف من شرّفه الله بقوله: (هذا أفضل عندي)، فإنَّه لا تحجير عليه في أن يفضل من شاء من عباده، فإنَّ العلم بالله الذي يقع به الشرف لا حد له ينتهي إليه.

– **أمَّا عن توليته** فإنَّ الله تولاه بثلاث: منها توليته في خلقه بيديه، ومنها بما علَّمه من الأسماء التي ما تولى بها ملائكته، ومنها الخلافة وهي قوله: (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**(٣٠))(البقرة). فإن كان قوله: (**فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**(٣٠))(البقرة) وقوله: (**وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ**(٨٤))(الزخرف) فهو نائب الحق في أرضه وعليه يقع الكلام، وإن أراد بالخلافة أنَّه يخلف من كان فيها لما فُقدَ فما نحن بصدد ذلك، وكان المقصود النيابة عن الحق بقوله: (**خَلِيفَةً**(٣٠))(البقرة). لقولهم: (**مَنْ يُفْسِدُ**

فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ (٣٠))(البقرة). وهذا لا يقع إلاَّ ممن له حكم، ولا حكم إلاَّ لمن له مرتبة التقدم وإنفاذ الأوامر، فأمَّا مقصود السائل فإنَّه يريد الخلافة التي هي بمعنى النيابة عن الله في خلقه فأقامه بالاسم الظاهر، وأعطاه علم الأسماء من حيث ما هي عليه من الخواص التي يكون عنها الانفعالات، فيتصرف بها في العالم تصرفها، فإنَّه لكلّ اسم خاصة من الفعل في الكون يعلمها من يعلم علم الحروف وترتيبها من حيث ما هي مرقومة، ومن حيث ما هي متلفظ بها، ومن حيث ما هي متوهمة في الخيال .

وقال تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ**(٨٤))(الزخرف). فجاء بالهوية بما ينبغي أن يظهر به في السموات من الألوهية بالاسم الذي يخصها (**وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ** (٨٤))(الزخرف) بالاسم الذي ينبغي أن يظهر به في الأرض من كونه إلهاً، فكان آدم نائباً عن هذا الاسم، وهذا الاسم هو باطنه وهو المعلّم له علم التأثيرات التي تكون عن الأسماء الإلهية التي تختص بالأرض حيث كانت خلافته فيها، وهكذا هو كل خليفة فيها، ولهذا قال: (**جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ**(١٦٥))(الأنعام) أي يخلف بعضنا بعضاً فيها في تلك المرتبة، مع وجود التفاضل بين الخلفاء فيها، وذلك لاختلاف الأزمان واختلاف الأحوال، فيعطي هذا الحال والزمان من الأمر ما لا يعطيه الزمان والحال الذي كان قبله والذي يكون بعده، ولهذا اختلفت آيات الأنبياء باختلاف الأعصار، فآية كلّ خليفة

ورسول من نسبة ما هو الظاهر والغالب على ذلك الزمان وأحوال علمائه أي شيء كان من طب أو سحر أو فصاحة وما شاكل هذا .

– **وأمَّا عن تسميته بشراً** فقال : قال تعالى: (**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** (**٧٥**))(ص). على جهة التشريف الإلهي، فقرينة الحال تدل على مباشرة خلقه بيديه بحسب ما يليق بجلاله فسمَّاه بشراً لذلك، إذ اليد بمعنى القدرة لا شرف فيها على من شُرِّفَ عليه، واليد بمعنى النعمة مثل ذلك، فإنَّ النعمة والقدرة عمَّت جميع الموجودات، فلا بدَّ أن يكون لقوله: (**بِيَدَيَّ** (**٧٥**))(ص). أمر معقول له خصوص وصف بخلاف هذين، وهو المفهوم من لسان العرب الذي نزل القرآن بلغتهم، فإذا قال صاحب اللسان أنَّه فعل هذا بيده، فالمفهوم منه رفع الوسائط، فكانت نسبة آدم في الجسوم الإنسانية نسبة العقل الأول في العقول، ولما كانت الأجسام مركبة طلبت اليدين لوجود التركيب ولم يذكر ذلك في العقل الأول لكونه غير مركب، فاجتمعا في رفع الوسائط وليس بعد رفع الوسائط في التكوين مع ذكر اليدين إلاَّ أمر من أجله سميَّ بشراً وسرت هذه الحقيقة في البنيين فلم يوجد أحد منهم إلاَّ عن مباشرة، ألا ترى وجود عيسى (عليه السلام) لما تمثّل لها الروح بشراً سوياً فجعله واسطة بينه تعالى وبين مريم في إيجاد عيسى تنبيهاً على المباشرة بقوله: (**بَشَرًا سَوِيًّا** (١٧)) (مريم) قال تعالى: (**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** (١٨٧))(البقرة) وبشرة الشيء ظاهره، والبشرى إظهار علامة حصولها في البشرة، فقوله للشيء: (**كُنْ** (١١٧))(البقرة).

بالحرفين الكاف والنون بمنزلة اليدين في خلق آدم، فأقام القول للشيء مقام المباشرة، وأقام الكاف والنون مقام اليدين، وأقام الواو المحذوفة لاجتماع الساكنين مقام الجامع بين اليدين في خلق آدم وأخفى ذكره كما خفيت الواو من (**كُنْ** (١١٧))(البقرة). غير أنَّ خفاءها في (**كُنْ** (١١٧))(البقرة) لأمر عارض، وخفاء الجامع بين اليدين لاقتضاء ما تعطيه حقيقة الفعل وهو قوله: (**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** (٥١))(الكهف) وهو حال الفعل لأنَّه ليس في حقائق ما سوى الله ما يعطي ذلك المشهد، فلا فعل لأحد سوى الله، ولا فعل عن اختيار واقع في الوجود، فالاختيارات المعلومة في العالم من عين الجبر، فهم المجبرون في اختيارهم، والفعل الحقيقي لا جبر فيه ولا اختيار لأنَّ الذات تقتضيه فتحقق ذلك، فلمباشرة الوجود المطلق الأعيان الثابتة لظهور الوجود المقيّد، سميّ الوجود المقيّد بشراً واختص به الإنسان لأنَّه أكمل الموجودات خلقاً، وكل نوع من الموجودات ليس له ذلك الكمال في الوجود، فالإنسان أتم المظاهر فاستحق اسم البشر دون غيره من الأعيان

. وأمَّا قوله تعالى: (**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** (٥١))(الشورى). فسمّي المكَلم هنا بشراً بهذه الضروب كلها من الكلام لما يباشره من الأمور الشاغلة له عن اللحوق برتبة الروح التي له من حيث روحانيته، فإن ارتقى عن درجة البشرية كلَّمهُ الله من حيث ما كلّم الأرواح، إذ كانت الأرواح أقوى في التشبّه لكونها لا

تقبل التحيّز والانقسام، وتتجلّى في الصور من غير أن يكون لها باطن وظاهر، فما لها سوى نسبة واحدة من ذاتها وهي عين ذاتها، والبشر من نشأته ليس كذلك فإنَّه على صورة العالم كلّه، ففيه ما يقتضي المباشرة والتحيّز والانقسام وهو مسمّى البشر، وفيه ما لا يطلب ذلك وهو روحه المنفوخ فيه، وعلى بشريته توجهت اليدان فظهرت الشفعية في اليدين في نشأته، فلا يسمع كلام الحق من كونه بشراً إلاَّ بهذه الضروب التي ذكرها أو بأحدها، فإذا زال في نظره عن بشريته وتحقق بمشاهدة روحه كلَّمه الله بما يكلم به الأرواح المجردة عن المواد مثل قوله تعالى في حق محمّد (ﷺوآلهِ) وفي حق الأعرابي: (**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** (٦))(التوبة) وما تلاه عليه غير لسان محمّد (ﷺوآلهِ) فأقام محمّد (ﷺوآلهِ) في هذه الصورة مقام الروح الأمين الذي نزل بكلام الله على قلب محمّد (ﷺوآلهِ) وهو قوله: (**أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا**(٥١))(الشورى). يعني لذلك البشر فيوحي إليه بإذنه ما يشاء الله تعالى مما أمره أن يوحي به إليه فقوله: (**إِلَّا وَحْيًا**(٥١))(الشورى). يريد هنا إلهاماً بعلامة يعلم بها أنَّ ربَّه كلَّمه حتى لا يلتبس عليه الأمر (**أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** (٥١))(الشورى). يريد سماعه إياه لحجاب الحروف المقطعة والأصوات كما سمع الأعرابي القرآن المتلو الذي هو كلام الله، أو حجاب الآذان أيضاً من السامع، أو حجاب بشريته مطلقاً فيكلمه في الأشياء كما كلم موسى: (**مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** (٣٠)) (القصص). فوقع الحد بالجهة وتعيّن

البقعة لشغله بطلب النار الذي تقتضيه بشريته، فنودي في حاجته لافتقاره إليها، والله قد أخبر أنَّ الناس فقراء إلى الله فتسمّى الله في هذه باسم كلّ ما يفتقر إليه غيرة إلهية أن يفتقر إلى غير الله، فتجلّى الله في عين صورة حاجته، فلمّا جاء إليها ناداه منها فكان في الحقيقة فقره إلى الله، والحجاب وقع بالصورة التي وقع فيها التجلي، فلولا ما ناداه ما عرفه، وفي مثل هذا يقع التجلّي الإلهي في الآخرة الذي يقع فيه الإنكار، وقوله: (**إِنَّهُ** (٥١)) (الشورى) على أي (**عَلِيٌّ** (٥١))(الشورى) بما تقتضيه المراتب التي ذكرها وأنزلها منزلتها، وقوله: (**حَكِيمٌ** (٥١))(الشورى). يريد بإنزال ما علمه منزلته، ولو بدل الأمر لما عجز عن ذلك، ولكن كونه عليماً حكيماً يقضي بأن لا يكون الأمر إلاّ كما وقع ،ولما أخبر نبيه بهذه المراتب كلها التي تطلبها البشرية قال له: (**وَكَذَلِكَ** (٥٢)) (الشورى). أي ومثل ذلك (**أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا** (٥٢))(الشورى). يعني الروح الأمين الذي نزل به على قلبك الذي هو روح القدس أي الطاهر عن تقييد البشر، فقد علمت معنى البشر الذي أردنا أن نبيِّنه لك بما تقتضيه هذه اللفظة باللسان العربي.

. أمّا بأي شيء نال التقدمة على الملائكة ذلك بقوله تعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ** (٣١))(البقرة). يعني الأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاد حقائق الأكوان، ومن جملتها الأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاد الملائكة والملائكة لا تعرفها، ثمَّ أقام المسمّين بهذه الأسماء وهي التجلّيات الإلهية

التي هي للأسماء كالمواد الصورية للأرواح فقال للملائكة: (**فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ**(٣١))(البقرة). يعني الصور التي تجلى فيها الحق (**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**(٣١)) (البقرة). في قولكم (**نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ**(٣٠))(البقرة). وهل سبحتموني بهذه الأسماء التي تقتضيها هذه التجلّيات التي أتجلاها لعبادي ؟ وإن كنتم صادقين في قولكم: (**وَنُقَدِّسُ لَكَ**(٣٠))(البقرة). ذواتنا عن الجهل بك، فهل قدستم ذواتكم لنا من جهلكم بهذه التجليات، وما لها من الأسماء التي ينبغي أن تسبحوني بها ؟ فقالت الملائكة: (**لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا**(٣٢))(البقرة). فمن علمهم بالله أنَّهم ما أضافوا التعليم إلاَّ إليه تعالى (**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ** (٣٢))(البقرة). بما لا يعلم (**الْحَكِيمُ** (٣٢))(البقرة). بترتيب الأشياء مراتبها، فأعطيتَ هذا الخليفة ما لم تعطنا مما غاب عنَّا، فلولا أنَّ رتبة نشأته تعطي ذلك ما أعطت الحكمة أن يكون له هذا العلم الذي خصصته به دوننا وهو بشر، فقال: يا آدم: (**أَنْبِئْهُمْ**(٣٣))(البقرة). بأسماء هؤلاء الذين عرضناهم عليهم، فأنبأ آدم الملائكة بأسماء تلك التجلّيات وكانت على عدد ما في نشأة آدم من الحقائق الإلهية التي تقتضيها اليدان الإلهية مما ليس من ذلك في غيره من الملائكة شيء، فكان هؤلاء المسمّون المعروضة على الملائكة تجليات إلهية في صورة ما في آدم من الحقائق، فأولئك هم عالم آدم كلهم فلمّا علّمهم لآدم (عليه السلام) قال لهم الله: (**أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ** (٣٣))(البقرة). وهو ما علا من علم الغيوب(**وَالْأَرْضِ** (٣٣))(البقرة). وهو ما في الطبيعة من الأسرار (**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ**

(**٣٣**))(البقرة). أي ما هو من الأمور ظاهر (**وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** (**٣٣**))(البقرة). أي ما تخفونه على أنّه باطن مستور، فأعلمتكم أنّه أمر نسبي بل هو ظاهر لمن يعلمه.

ثمَّ قال لهم بعد التعليم: (**اسْجُدُوا لِآَدَمَ** (**٣٤**))(البقرة) سجود المتعلمين للمعلم من أجل ما علّمهم، فلآدم هنا لام العلة والسبب أي من أجل آدم، فالسجود لله من أجل آدم سجود شكر لما علّمهم الله من العلم به وبما خلقه في آدم (عليه السلام)، فعلموا ما لم يكونوا يعلمون فنال التقدمة عليهم بكونه علّمهم فهو أستاذهم في هذه المسألة، وبعده فما ظهرت هذه الحقيقة في أحد من البشر إلاَّ في محمّد (صلى الله عليه وآلهِ) فقال عن نفسه: إنَّه أُتي جوامع الكلم وهو قوله في حق آدم (عليه السلام) (**وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** (**٣١**))(البقرة) وكلّها بمنزلة الجوامع، والكلم بمنزلة الأسماء، ونال التقدمة بها وبالصورة التي خلقه الله عليها .

قال (عليه السلام): (إنَّ الله خلق آدم على صورته بالنشأة من أجل اليدين وجعله بالخلافة على صورته).*[٨١] وهي المنزلة، فأعطته الصورتان التقدم حيث لم يكن ذلك لغيره من المخلوقات، فليس فوق هذه المنزلة منزلة لمخلوق فلا بدَّ أن يكون له التقدمة على من سواه، وكذلك الأمر الذي أعطاه هذا يتقدم على جميع الأمور كلها .

---

[٨١] ـ صحيح البخاري .

– أمَّا عن قوله خلق آدم على صورته ؟ فقال: اعلم أنَّه كلّ ما يتصوره المتصور فهو عينه لا غيره فإنَّه ليس بخارج عنه، ولا بدَّ للعالم أن يكون متصوراً للحق على ما يظهر عينه، والإنسان الذي هو آدم عبارة عن مجموع العالم فإنَّه الإنسان الصغير وهو المختصر من العالم الكبير ،والعالم ما في قوة الإنسان حصره في الإدراك لكبره وعظمه، والإنسان صغير الحجم يحيط به الإدراك من حيث صورته وتشريحه، وبما يحمله من القوى الروحانية، فرتب الله فيه جميع ما خرج عنه مما سوى الله ،فارتبطت بكل جزء منه حقيقة الاسم الإلهي التي أبرزته وظهر عنها، فارتبطت به الأسماء الإلهية كلها لم يشذ عنه منها شيء، فخرج آدم على صورة الاسم الله، إذ كان هذا الاسم يتضمن جميع الأسماء الإلهية، كذلك الإنسان وإن صغر جرمه فإنَّه يتضمن جميع المعاني ولو كان أصغر مما هو، فإنَّه لا يزول عنه اسم الإنسان، كما جوزوا دخول الجمل في سمِّ الخياط، وأنَّ ذلك ليس من قبيل المحال، لأنَّ الصغر والكبر العارضين في الشخص لا يبطلان حقيقته ولا يخرجانه عنها، والقدرة صالحة أن تخلق جملاً يكون من الصغر بحيث لا يضيق عنه سم الخياط، فكان في ذلك رجاء لهم أن يدخلوا جنة النعيم، كذلك الإنسان وإن صغر جرمه عن جرم العالم فإنَّه يجمع جميع حقائق العالم الكبير، ولهذا يسمّي العقلاء العالم إنساناً كبيراً، ولم يبقى في الإمكان معنى إلاَّ وقد ظهر في العالم، فقد ظهر في مختصره والعلم تصور المعلوم، والعلم من صفات العالم الذاتية فعلمه صورته وعليها خلق آدم، فآدم خلقه الله

على صورته، وهذا المعنى لا يبطل لو عاد الضمير على آدم، وتكون الصورة صورة آدم علماً والصورة الآدمية حسَّاً مطابقة للصورة، ولا يقدر يتصور هذا إلاَّ بضرب من الخيال يحدثه التخيل .

وأمَّا نحن وأمثالنا فنعلمه من غير تصور، ولكن لما جاء في الحديث ذكر الصورة علمنا أنَّ الله إنَّما أراد خلقه على الصورة من حيث إنَّه يتصور لا من حيث ما يعلمه من غير تصور، فاعتبر الله تعالى في هذه العبارة التخيل، وإذا أدخل سبحانه نفسه في التخيل فما ظنك بمن سوى الحق من العالم، صحَّ عن رسول الله (ﷺوآلهِ) أنَّه قال لجبريل: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه).*[82] فهذا تنزيل خيالي من أجل كاف التشبيه، وانظر من كان السائل ومن كان المسئول ومرتبتهما من العلم بالله، ولم يكن بأيدينا إلاَّ الأخبار الواردة بالنزول، والمعية، واليدين، واليد، والعين، والأعين، والرجل، والضحك، وغير ذلك مما ينسب الحق إلى نفسه، وهذه صورة آدم قد فصَّلها في الأخبار وجمعها في قوله: (خلق الله آدم على صورته).*[83]فالإنسان الكامل ينظر بعين الله وهو قوله: (كنت بصره الذي يبصر به).*[84] كذلك يتبشبش بتبشبش الله، ويضحك بضحك الله، ويفرح بفرح الله، ويغضب بغضب الله، وينسى بنسيان الله، قال تعالى: (**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** (٦٧))(التوبة). وينسب جميع ما ذكرناه إلى كل ذات بحسب

[82] - تفسير الصافي . صحيح البخاري.
[83] - صحيح البخاري .
[84] - صحيح البخاري .

ما تقتضيه مع علمنا بحقيقة كل صفة، فإن كانت الذات المنسوب إليها معلومة، علم صورة نسبة هذا المنسوب، وإن جهلت الذات المنسوب إليها كُنتَ بنسبة هذا المنسوب أجهل، فهذا الوجه الذي يليق بجواب سؤال هذا السيد، فلو سأل مثل هذا السؤال فيلسوف إسلامي أجبناه: بأنَّ الضمير يعود على آدم، أي أنَّه لم ينتقل في أطوار الخلقة انتقال النطفة من ماء إلى إنسان خلقاً بعد خلق بل خلقه الله كما ظهر، ولم ينتقل أيضاً من طفولة إلى صبى إلى شباب إلى كهولة، ولا انتقل من صغر جرم إلى كبره كما ينتقل الصغير من الذرية، بهذا يجاب مثل هذا السائل، فلكل سائل جواب يليق به .

الفتوحات المكية ج٢

وقال:

فالإنسان الكامل الظاهر بالصورة الإلهية لم يعطه الله هذا الكمال إلاَّ ليكون بدلاً من الحق، ولهذا سمَّاه خليفة وما بعده من أمثاله خلفاء له، فالأول وحده هو خليفة الحق، وما ظهر عنه من أمثاله في عالم الأجسام فهم خلفاء هذا الخليفة، وبدل منه في كل أمر يصحَّ أن يكون له، ولهذا صحت له المقولات العشرة التي لا تقبل الزيادة على هذا العدد فهذه هي النيابة الأولى .

وأمَّا النيابة الثانية فهي أن ينوب الإنسان بذاته عن نصف الصورة من حيث روحانيتها لأنَّ الله إذا تجلّى في صورة البشر كما ورد فإنَّه يظهر بصورتها حساً

ومعنى، فالنيابة هنا الخاصة هي النيابة عن روح تلك الصورة المتجلي فيها، ولا يكون ذلك إلاَّ في حضرة الأفعال الإلهية التي تظهر في العالم على يد الإنسان من حيث ما هو مريد لفعلٍ مَا يُريد أن يفعله في الحال أو المستأنف، إذ لا يكون الفعل ماضياً إلاَّ بعد ظهوره في الحال، فينوب الإنسان عن الله تعالى في أفعال الحال كلها الظاهرة على يده وليس لغير الإنسان هذه النيابة، فإنَّ المِلَك والحيوان والمعدن والنبات ليس لهؤلاء إرادة تتعلق بأمر من الأمور إنَّما هم مع ما فُطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم به لا عنه والإنسان له الشغل به وعنه، والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان، فالحق هنا دائرة من حيث جمع الصورة بين المعنى الروحاني والظاهر للبصر، فهذا الإنسان في هذه النيابة إنَّما هو نائب عمَّا يتعلق من الأفعال بروحانية تلك الصورة، وعالم الأرواح أخف من عالم الأجسام، ولخفته يسرع بالتحوّل في الصورة من غير فساد العين، وعالم الأجسام ليس كذلك.

الفتوحات المكية ج٣

- وقال:

اعلم أنَّ الاسم لما كان يدلّ على المسمّى بحكم المطابقة فلا يفهم منه غير مسمّاه، كان عينه في صورة أخرى تسمى اسماً فالاسم له ولمسماه، وأراد الله سبحانه أن يعرف كما قررناه بالمعرفة الحادثة لتكتمل مراتب المعرفة ويكمل الوجود بوجود المحدث، ولا يمكن أن يعرف الشيء إلاَّ نفسه أو مثله، فلا بدَّ أن

يكون الموجود الحادث الذي يوجده الله للعلم به على صورة موجده حتى يكون كالمثل له، فإنَّ الإنسان الكامل حقيقة واحدة، ولو كان بالشخص ما كان مما زاد على الواحد فهو عين واحدة وقال فيه: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**(١١))(الشورى). فجعله مثلاً ونفي أن يماثل، فلمَّا نصبه في الوجود مثلاً تجارت إليه الأسماء الإلهية بحكم المطابقة من حيث ما هي الأسماء ذات صور وحروف لفظية ورقمية، كما أنَّ الإنسان ذو صورة جسمية، فكانت هذه الأسماء الإلهية على هذا الإنسان الكامل أشد مطابقة منها على المسمى الله، ولما كان المثل عن مثله متميزاً بأمر ما لا يتمكن أن يكون ذلك الأمر إلاَّ له ولا يكون لمثله كان الأمر في الأسماء التي يتميز المثل عن مثله به، ولا يشاركه فيه من جانب الحق الاسم الله فعين ما اختص به المثل عن مثله وكان للمثل الآخر" الاسم الإنسان الكامل الخليفة "مما اختص به هذا المثل الكوني، وأسماء الحق الباقية مركبة من روح وصورة، فمن حيث صورتها تدل بحكم المطابقة على الإنسان، ومن حيث روحها ومعناها تدل بحكم المطابقة على الله، ولنا حالة وله حالة، والأسماء تتبع تلك الأحوال، فلنا التجريد عن الصور متى شئنا، فالذي لنا من ذاتنا الصور ولكن من حقيقة ذاتنا أيضاً التجرد عنها متى شئنا فتتبعنا الأسماء في حال تجريدنا من حيث أرواحها المجردة عن صورها وله التباس بالصور وهو بالذات غير صورة وبالذات أيضاً يقبل التجلّي لنا في الصورة فتتبعه الأسماء عينها من حيث صورها إذا لبس الصورة متى شاء، فالأمر بيننا وبينه على السواء مع الفرقان الموجود المحقق بأنَّه

الخالق ونحن المخلوقون وهو الله وأنا الإنسان الخليفة فيشركنا في الخلافة لتحقق الصورة، فإنَّه أمرنا أن نتخذه وكيلاً والوكالة خلافة، فالمختص به الذي يتميز به عنّي الاسم الله صورة ومعنى، فإذا تجلّى في الصورة انطلق عليه بحكم المطابقة صورة الاسم الله، وإذا بقي على ما هو عليه من غير تقييد بصورة انطلق عليه روح الاسم الله. ...وكذلك الإنسان هذا الاسم هو الذي يميزه عنه وله حالة البقاء على ما هي ذاته عليه من الصورة وله التجريد، ولو لم يكن في العالم من هو على صورة الحق ما حصل المقصود من العلم بالحق أعني العلم الحادث في قوله: (كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني).*[85] فجعل نفسه كنزاً والكنز لا يكون إلاَّ مكتنزاً في شيء، فلم يكن كنز الحق نفسه إلاَّ في صورة الإنسان الكامل في شيئيته وثبوته هناك كان الحق مكنوزاً، فلمَّا كسا الحق الإنسان ثوب شيئية الوجود ظهر الكنز بظهوره فعرفه الإنسان الكامل بوجوده ،وعلم أنَّه كان مكنوزاً فيه في شيئية ثبوته وهو لا يشعر به، فهذا قد أعلمتك بنسبة الأسماء إليه قال تعالى: (**وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١)**)(البقرة). ولفظة كلّ تقتضي الإحاطة والعموم، وقال رسول الله (ﷺوآلهِ) في دعائه ربه: (اللهمَّ إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك)، فهذه إضافة حقيقة وهي إضافة الشيء إلى نفسه لما ذكر لفظين مختلفين صحت الإضافة كحق اليقين،

[85] -كشف الخفاء للعجلوني.

وعلم اليقين، والعين واحدة وهي لفظ النفس وكاف الخطاب، وإنّما قلنا هذا من أجل أصحاب اللسان حيث قالوا من طريق الأدلة إن الشيء لا يضاف إلى نفسه وهو قول صحيح، غير أنَّ الإضافة هنا وقعت في الصورة والصورة صورتان، فجاز أن تضاف الصورة الواحدة إلى الأخرى وهي النفس وكاف الخطاب وكحق اليقين وعلم اليقين وعين اليقين.

الفتوحات المكية ج٣

– وقال:

اعلم أنَّه لم يكن في الأزل شيء يقدّر به ما يكون في الأبد إلاَّ الهو، فأراد الهو أن يرى نفسه رؤية كمالية تكون لها ويزول في حقه حكم الهو، فنظر في الأعيان الثابتة فلم يرَ عيناً يعطي النظر إليها هذه الرتبة الأنانة إلاَّ عين الإنسان الكامل، فقدّرها عليه وقابلها به فوافقت إلاَّ حقيقة واحدة نقصت عنه وهي وجودها لنفسها فأوجدها لنفسها فتطابقت الصورتان من جميع الوجوه، وقد كان قدر تلك العين على كل ما أوجده قبل وجود الإنسان من عقل ونفس وهباء وجسم وفلك وعنصر ومولد، فلم يعطِ شيء منها رتبة كمالية إلاَّ الوجود الإنساني، وسمّاه إنساناً لأنَّه أنس الرتبة الكمالية، فوقع بما رآه الإنس له فسمَّاه إنساناً مثل عمران فالألف والنون فيه زائدتان في اللسان العربي.

فإن قلت: فلماذا ينصرف وعمران لا ينصرف ؟ قلنا :في عمران علتان وهما اللتان منعتاه من الصرف وهما الزيادة والتعريف أعني تعريف العلمية، والإنسان

ليس كذلك فإنَّ فيه علة واحدة وهي الزيادة، وما لفظ الإنسان للإنسان اسم علم، وإنّما تعريفه إذا سمَّي بآدم فلما سمَّي بآدم لم ينصرف للتعريف والوزن وإنّما سمَّي باسم معلول بعلة تمنعه من الصرف الذي هو التصرف في جميع المراتب ليعلم في صورته الإلهية أنَّه مقهور ممنوع عبد ذليل مفتقر، إذ كانت الصورة الإلهية تعطيه التصرف في جميع المراتب ولهذا سُمِّي بإنسان فرفع وخفض ونصب، وما ثمّ في الأسماء مرتبة أخرى فهو إنسان من حيث الصورة، ومنها يتصرف في المراتب كلّها ومنع الصرف من حيث هو في قبضة موجده ملك يبقيه ما شاء ويعدمه إن شاء، فبالصورة نال الخلافة والتصريف واسم الإنسانية، فمن إنسانيته ثبت أنَّه غَيرٌ يؤنسُ به، ومن الخلافة ثبت أنَّه عبد فقير ما له قوة من استخلفه، بل الخلافة خُلعت عليه يزيلها متى شاء ويجعلها على غيره كما قد وقع، ولهذا قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ** (**٣٩**))(فاطر). وهي محل الخفض إذ الخفض لا يليق بالجناب العالي، فلهذا أقام لهُ نائباً فيه ليعلم أنَّه عبد.

فتأمل أيُّها الإنسان لِمَ سمّاك إنساناً ؟

وتأمل لِمَ سماك خليفة؟

وتأمل لِمَ سماك آدم في أول صورة ظهرت ؟

ولا تتعدَّ ما تعطيه حقيقة هذه الأسماء ولا تغب عنك فتكون من المفلحين.

الفتوحات المكية ج٢

- وقال:

فما جمع الله لآدم بين يديه إلاَّ تشريفاً، ولهذا قال لإبليس: (**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ(٧٥**))(ص). وما هو إلاَّ عين جَمْعِهِ بين الصورتين، صورة العالم وصورة الحق وهما يدا الحق، وإبليس جزء من العالم لم تحصل له هذه الجمعية، فلهذا كان آدم خليفة، فإن لم يكن ظاهراً بصورةِ من استخلفهُ فيما استخلفهُ فيه، فما هو خليفةٌ، وإن لم يكن فيه جميع ما تطلبه الرعايا التي استُخلِف عليها "لأنَّ استنادها إليه فلا بدَّ أن يقوم بجميع ما تحتاج إليه" وإلاَّ فليس بخليفة عليهم، فما صحَّت الخلافة إلاَّ للإنسان الكامل، فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصورِه، وأنشأ صورتِه الباطنة على صورتِهِ تعالى، ولذلك قال فيه: (كنت سمعه وبصره).*[٨٦] وما قال: (كنت عينه وأذنه) ففرَّق بين الصورتين.

وهكذا هو في كلّ موجود من العالم بقدر ما تطلبه حقيقة ذلك الموجود، لكن ليس لأحدٍ مجموع ما للخليفة، فما فاز إلاَّ بالمجموع، ولولا سريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان للعالم وجود، كما أنَّه لولا تلك الحقائق المعقولة الكلّية ما ظهر حكم في الموجودات العينية، ومن هذه الحقيقة كان الافتقار من العالم إلى الحقِّ في وجوده .

[٨٦] - رواه البخاري (١٣١\٨)

– لذلك ربط النبي (ﷺوآلهِ) معرفة الحق بمعرفة النفس فقال: (من عرف نفسه فقد عرف ربه).*[87]

وقال تعالى: (**سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ**). وهو ما خرج عنك (**وَفِي أَنْفُسِهِمْ**) وهو عينك (**حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ**) أي للناظر (**أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (**٥٣**))(فصلت). من حيث أنَّك صورته وهو روحك .

فأنت لهُ كالصورة الجسيمة لك، وهو لك كالروح المدبّر لصورة جسدك .

والحدّ يشمل الظاهر والباطن منك: فإنَّ الصورة الباقية إذا زال عنها الروح المدبّر لها لم تبْقَ إنساناً، ولكن يقال فيها: إنَّها صورة " تشبه صورة الإنسان"، فلا فرق بينها وبين صورة من خشب أو حجارة ولا يطلق عليها اسم الإنسان إلاَّ بالمجاز " لا بالحقيقة "، وصور العالم لا يمكن زوال الحق عنها أصلاً، فحدُّ الألوهية له بالحقيقة، لا بالمجاز كما هو حدّ الإنسان إذا كان حياً، وكما أنَّ ظاهر صورة الإنسان تثني بلسانها على روحها ونفسها والمدّبر لها ،كذلك جعل الله تعالى صور العالم يسبِّح بحمده، ولكن لا نَفْقَهُ تسبيحهم لأنَّا لا نحيط بما في العالم من الصور، فالكلُّ ألسنة الحقِّ ناطقة بالثناء عليه ولذلك قال: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (**١**))(الفاتحة). أي إليه يرجع عواقب الثناء، فهو المثِني والمثِنى عليه.

فصوص الحكم لابن عربي

---

[87] - نهج البلاغة .

- وقال الجيلي:

إنَّ كلمة التوحيد موضوعة لتوحيد الواحد بوحدته التي هي له من دون كثرة، فلو كان محمّد خلاف تلك الوحدة لما ساغ مقارنته بالاسم الله في كلمة التوحيد لوجود الغيرية، والأمر بخلاف ذلك لأنَّه (ﷺوآلهِ) هو المسمّى بالله، والدليل على ما قلناه قوله تعالى في القرآن الذي هو كلام الله: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** ﴾ (٢١)(التكوير).

وقوله تعالى: ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** (١٨)﴾(النجم). وقوله في شرح: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى(٩)**﴾(النجم). فهي عبارة عن البرزخية الكبرى، وهي صرافة الذات المعبَّر عنها بحقيقة الحقائق، وكلّ ذلك لم يتغيّر به غيره، ولو حصل لأحدٍ من الكمّل نصيب من ذلك، فإنّما هو على قدر قابلية ذلك الكامل، والحاصل لمحمّد (ﷺوآلهِ) إنَّما هو كما ينبغي لله تعالى، فمعرفة محمّد لله تعالى ،عين معرفة الله تعالى لنفسه، ومعرفة الأنبياء والأولياء والملائكة كلّهم، إنَّما هي على قدر قوابلهم لا على قدر الله، ولذلك بُعث (ﷺوآلهِ) إلى كافة العالم بشيراً ونذيراً لأنَّه جمع المعارف، وانفرد بها، ومقام الجمعية ليس إلَّا لله وحده، فهو عرف الله بمعرفة الله لنفسه فتحقق بمقام الجمعية، ولم يتحقق به غيره، من الأنبياء .

– وقال: إنَّ الإنسان عند المحققين هو الوجود المطلق، لأنَّك قد تطلق هذه اللفظة وتريد بها قسماً واحداً من هذه الأقسام (ملك، وملكوت، وجبروت، ومعنى)، ثم تطلقها وتريد بها قسماً آخر غيره، ولا تزال كذلك حتى تستوفي جميع أقسام الوجود بهذه اللفظة، لأنّه حاوٍ لحقيقته بجميع ذلك كله، ولا شيء يحوي جميع أقسام الوجود كله إلاَّ الإنسان، فلأجل ذلك نقول: الملكوت ونريد به باطن الإنسان، ونقول: الملك ونريد به ظاهره، ونقول: الجبروت ونريد به حقائقه، ونقول: عالم المعنى ونريد به الأمور المعنوية الموجودة فيه حكماً، ونقول: الحق ونريد هوية الإنسان وحقيقته، ونقول: الخلق ونريد هيكل الإنسان ومجازه، ولا يجوز لك أن تطلق اسم قسم من هذه الأقسام على غيره، فلا يصدق في عالم الأجسام الكثيفة أن تسميه ملكوتاً، وكذلك العكس، فلأجل هذا قلنا إنَّ الوجود المطلق هو الإنسان، لأنَّه بكلّيته غير مقيد بمرتبة من المراتب، لكنه يتقيد لجزئيته بالمراتب، فإذن هو المقيد المطلق، ومن ثم صحَّ له الإطلاق الحقيقي، لأنَّه لو كان مطلقاً غير مقيد كحقيقة الحقائق وأمثالها، لتقيد بالإطلاق وليس هو كذلك، بل هو المطلق المقيد، فهو المطلق الحقيقي الذي لا يتقيد بقيد ولا بإطلاق لأنَّ أمره دوري بين القيد والإطلاق .

ولما كان الإنسان حضرة الجمع والوجود المحدَثة من ذات الحق، المخلوقة على مثال الصورة الإلهية، كما ورد في الحديث (خلق آدم على مثال صورته).*[٨٨]

---

[٨٨] ـ صحيح البخاري.

كان موصوفاً بالأسماء والصفات الإلهية، لأنَّه عينه ومن ثم قال رسول الله (ﷺوآلهِ) حاكياً عن الله إنَّه عين العبد المقرَّب بالحديث القدسي: (لا يزال عبدي المؤمن يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ولسانه الذي ينطق به).*[89]

الكمالات الإلهية في الصفات المحمّدية للجيلي

- وقال:

إنَّ الإنسان لهُ من وجوه المعاني وجهان، فوجه يكون به مع الأكوان، ووجه يكون به عند الملك الديان، وهو في حال ظهوره بكل وجه يا إخوان كامل بما يقتضيه ذلك الوجه من الذات والوصف والاسم والفعل والأثر والشأن، فكأنَّه في الحقيقة ذاتان، فالوجه الأبعد لهُ وجه العجز والحصر والافتقار والنقصان، والوجه الأقرب منه لهُ وجه العز والكبرياء والكمال والغنى والجود والإحسان، فهو بالوجه الأبعد مسمى الكون بين الكيان، وبالوجه الأقرب مسمّى الله الرحمن .

نسيم السحر للجيلي

[89] - رواه البخاري (كتاب الرقاق).

وقال الكاشاني:

– ما من شيء في عالم الحس والشهادة إلاَّ وهو مثال وصورة لأمر روحاني في عالم الملكوت، هو روحه المجرد، وحقيقته الصرفة، كما سيتبَّين، وعقول الخلائق في الحقيقة أمثلة للعقول العالية، فليس للأنبياء (عليهم السلام) أن يتكلموا معهم إلاَّ بضرب الأمثال، لأنَّهم أُمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، وقدر عقولهم أنَّهم في النوم بالنسبة إلى تلك النشأة، والنائم لا ينكشف له شيء في الأغلب إلاَّ بمثل، ولهذا من يعلّم الحكمة غير أهلها يرى في المنام أنَّه يعلّق الدرّ في أعناق الخنازير، وعلى هذا القياس وذلك لعلاقة خفية بين النشآت، كما ورد: (فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)*[٩٠]، وعلموا حقائق ما سمعوه بالمثال وأرواح ذلك، وعقلوا أنَّ تلك الأمثلة كانت نشوراً.

– جاء في الحديث القدسي: (يا ابن آدم، خلقتك للبقاء وأنا حيٌّ لا أموت، أطعني فيما أمرتك به، وانتهِّ عمَّا نهيتك عنه، أجعلك مثلي، حيَّاً لا تموت، أنا الذي أقول للشيء كن فيكون، أطعني فيما أمرتك به أجعلك مثلي، إذا قلت لشيء كن فيكون).*[٩١]

– فإنَّ أشرف الدلائل وأوثقها وأسرعها في الوصول، وأغناها عن ملاحظة الأغيار، هو طريقة الصديقين، الذين يستشهدون بالحق على كل شيء، لا بغيره

[٩٠] ـ عوالي اللآلي.
[٩١] ـ عدة الداعي ونجاح الساعي .

عليه، فيشاهدون جميع الموجودات في الحضرة الإلهية، ويعرفونها في أسمائه وصفاته، فإنَّه ما من شيء إلاَّ وله أصل في عالم الأسماء الإلهية، وله وجه إلى الحق سبحانه، لما دريت أنَّ كل ممكن فهو زوج تركيبي، ولذلك لما سُئل نبينا (ﷺ): بم عرفت الله ؟ فقال: (بالله عرفت الأشياء).*[٩٢]

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (اعرفوا الله بالله).*[٩٣] يعني انظروا في الأشياء إلى وجوهها التي إلى الله سبحانه لكي تعرفوا أولاً أنَّ لها رباً صانعاً، ثمَّ اطلبوا حينئذٍ معرفته بآثاره فيها، من حيث تدبيره لها، وقيّوميّته إيّاها، وتسخيره لها، وإحاطته بها، وقهره عليها حتى تعرفوا الله بهذه الصفات القائمة به، ثم تعرفوا الأشياء بقيامها به .

عين اليقين للكاشاني

وقال الأمير المكزون (قُدّس سرّه):

الحقُّ في الخلق خلقُ   والخلقُ في الحقِّ حقُّ

وقال:

عرفتُ الخلقَ والأمر   ومعنى الكلّ في الكلّ
فجمعت بلا وصل   وفرقت بلا فصل
فوحدت ولا توحيد   إلا لفتى مثلي

[٩٢] ـ تفسير النيسابوري .
[٩٣] ـ الكافي .

وقال:

مَنْ هو أنا حتى أُسمّى أنا   ليس أنـا الحق سوى أنت

معرفة الله والمكزون .د. أسعد علي

- وقال الجنابزي:

إنَّ العبدَ إذا صار فانياً من صفات بشريته واستنار بنور الألوهية، وصار حياً بالحياة المعنوية يصير مظهراً للذات الأحادية، ومجلّى للجلوات الربوبية، فيصدر منه أمور خارجة عن حيطة ظاهر البشرية من المعجزات والكرامات وخوارق العادات، وكلما كان فناؤه في الذات الأحدية أتم كان بقاؤه به أقوى، حتى يصل إلى مقام يصير مظهراً تاماً له، وعند ذلك يكون أقوى مظهر وأتم مجلّى لله، وهذا يكون في الحقيقة مُتصلاً بل مُتحداً مع مقام المشيئة التامة، وهذه المظهرية كانت مخصوصة بمحمّد (ﷺوآلهِ) وبعده علي (عليه السلام) وبعده بالأئمة المعصومين من ولده حادي عشرهم ثاني عشر الأئمة وقائمهم، فهم الأسماء الحسنى والصفات العليا والمظاهر التامة والمجالي الكاملة لذات الله، وهم قادرون على جميع ما تعلق القدرة الإلهية بإرادته وقدرته، فهم عالمون بعلمه، وقادرون بقدرته، ومريدون بإرادته، وليس شيء من ذلك كفراً ولا شركاً ولا غلواً، بل يكون عين التوحيد لأنَّ المعتقد بذلك لا يرى لأي فرد منهم شخصية مخصوصة قبال الذات الأحدية بل يقول، إنَّهم فانون ولا يكون لهم شخصية إلاَّ مظهرية الله تعالى

والبقاء به، فهم كالمرآة حيث لا يُنظر إليها إلاَّ لمشاهدة الصورة المتجلّية فيه، والأئمة (عليهم السلام) مرآة ذات الله كما ورد: (بنا عُبد الله وبنا عُرف الله).*[٩٤]

- ولما كان أولياء الله من الأنبياء وأوصيائهم (عليهم السلام) مظاهر أسماء الله وصفاته بل لا يظهر اللهُ إلاَّ بهم كما ورد (بكم عُرف الله) .

- وقال الجنابزي في قوله تعالى: (**إِنِّي جَاعِلٌ**(٣٠))(البقرة). أي خالق فقوله: (**فِي الْأَرْضِ**(٣٠))(البقرة). ظرف للجعل أو هو من جعل بمعنى صيّر المعدّى إلى المفعولين، فقوله في الأرض مفعول ثان (**خَلِيفَةً**(٣٠))(البقرة). مني يأمر بأمري وينهى بنهيي ويعدل بعدلي، أو خليفة منكم في الأرض لإصلاح الأرض بعد رفعكم إلى السماء، أو خليفة من الشياطين والجِنّة بعد أن طردتموهم عن وجه الأرض، وقوله تعالى للملائكة ليس بنداء يسمع ولا بصوت يقرع بل نقول: إنَّ العوالم مترتبة بعضها فوق بعض والعالي محيط بالداني ومصدر له ومظهر للأعلى، وكلَّما يريد العالي إيجاده من فعل أو وصف أو ذات في العالم الداني يظهر تلك الإرادة وذلك المراد بصورته وتمام أوصافه ولوازمه بل بحقيقته التي هي أحق به من حقيقته التي هو بها هُوْ في العالم المتوسط بين العالي وذلك الداني، وذلك الظهور هو قول العالي بالنسبة إلى ما ظهر فيه، فإذا أراد الله خلق آدم البشري في عالم الطبع يُظهر لا محالة تلك الإرادة وهذا المراد في عالم الواحدية

[٩٤] ـ الهداية الكبرى للخصيبي.

وهو عالم المشيئة بوجه وعالم الأسماء والصفات بوجه وعالم اللاهوت بوجه وعالم علويّة علي (عليه السلام) بوجه، وتلك الصورة بل الحقيقة الظاهرة إنسان لاهوتي ثم يظهر في عالم الملائكة المهيمنين ثم في عالم الصافات صفّاً ثم في عالم المدبرات أمراً ثم في عالم ذوي الأجنحة ثم في عالم الرُّكع والسُّجد ثم في عالم الطبع.

- وقال في قوله تعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا(٣١)**)(البقرة). اعلم أنَّ اسم الشيء ما دلَّ عليه مطلقاً أو باعتبار بعض صفاته سواء كانت الدلالة وضعية أو غير وضعية، وسواء كان الدال لفظاً أو نقشاً أو مفهوماً ذهنياً أو موجوداً عينياً، ولما كانت الدلالة مأخوذة في الاسمية فكلما كانت الدلالة أقوى كانت الاسمية أشد، فالدلالة الوضعية التي هي في الألفاظ والنقوش لما كانت محتاجة إلى أمر آخر هو وضع واضع كانت أضعف، فالاسمية في الدلالة الوضعية أضعف الاسميات، والمفهوم الذهني لضعفه في نفسه واختفائه عن المدارك بحيث أنكره بعض وقالوا: إنَّ العلم الحصولي ليس بحصول صورة من المعلوم في ذهن العالم بل هو بالإضافة بين العالم والمعلوم، وقال بعض المحققين: إنَّه بشهود العالم صورة المعلوم في عالم المثال عن بعد أو بشهوده ربّ نوع المعلوم عن بعد أضعف الأسماء أيضاً، فبقي أن يكون الموجود العيني المدرك لكل أحد الدال على غيره بالطبع كاملاً في الاسمية، (ونحن الأسماء الحسنى، ولا اسم أعظم مني، وبأسمائك

التي ملأت أركان كل شيء).*[٩٥] وغير ذلك من كلماتهم تدل على اعتبار الاسمية للأعيان الموجودة وأهل العرف لما كان نظرهم إلى المحسوسات غير متجاوز عنها لا يعرفون من إطلاق الاسم سوى اللفظ والنقش، لغفلتهم عن حصول مفهوم من المسمّى في الذهن فضلاً عن اعتبار الاسمية له، ولاحتجابهم عن دلالة الأعيان على غيرها وعن كونها مرايا للحق الأول تعالى، والاسم من حيث الاسمية وكونه عنواناً ومرآة للمسمّى لا حكم له بل الحكم بهذا الاعتبار للمسمّى وقد يعتبر الاسم من حيث نفسه من غير اعتباره مرآة لغيره وله بهذا الاعتبار حكم في نفسه ويحكم عليه وبه، والأخبار الدالة على إن عابد الاسم كافر وعابد الاسم والمعنى مشرك وعابد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه موحدة ناظرة إلى الأسماء العينية أو الموهومات الذهنية ومشيرة إلى هذين الاعتبارين، وقوله تعالى: إن هي (**إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ** (٤٠)) (يوسف). إشارة إلى هذين أيضاً يعني ما جعلتموها معبودات أو مطاعين ليست إلاَّ أسماء لا ينبغي أن ينظر إليها ويحكم عليها أنتم وآباؤكم جعلتموها مسميات ومنظوراً إليها ومحكوماً عليها بالمعبودية أو المطاعية ما أنزل الله بها من ذلك الاعتبار سلطاناً وحجة وتعليم الشيء إعطاء العلم له سواء كان بنحو الأعداد والتسبيب كالتعليم البشري، أو بنحو الإفاضة كتعليم الله تعالى، وعلم الشيء ظهوره على النفس بنفسه كالعلم

---

[٩٥] ـ الكافي للكليني .

الحضورى أو بصورته الحاصلة في النفس، أو في عالم المثال، أو في ربّ النوع على اختلاف فيه كالعلم الحصولي سواء كان بالشعور البسيط أو بالشعور التركيبي فمعنى علّم آدم الأسماء كلها أفاض وأودع علم الموجودات وصورة كلّ منها وأنموذجه من حيث هي أسماء ومرايا للحق تعالى شأنه لا من حيث هي مسميات لعدم تحدد آدم بحد حتى يصير واقفاً في ذلك الحد ويكون المعلوم في ذلك الحد مستقلاً عنده في الوجود ومسمّى لا اسماً لغيره، فالتعبير عن الموجودات بالأسماء للإشعار بعدم وقوف آدم (عليه السلام) دون الوصول إلى الله والتأكيد بلفظ كلها للإشارة إلى أنَّ الجميع مودعة في وجود آدم بحيث لا يشذ عن حيطة وجوده شيء من الأشياء، وما قلنا إنه أودع صورة الأشياء وأنموذجها إنَّما هو بحسب أفهام العوام وإلاَّ فحقيقة كل شيء عند آدم (عليه السلام) والأشياء كلّها دقائق للحقائق التي أودعها الله تعالى في آدم (عليه السلام) ولما كان الملائكة متحددين وكان الأشياء بالنسبة إليهم متحددة ومحكوماً عليها بوجه جعلها تعالى في معرض العرض على الملائكة للإشعار بمحدوديتهم في صورة المسمّيات المستقلات من غير اعتبار الاسمية لها بإرجاع ضمير ذوي العقول إليها تغليباً، أو باعتبار كون الأشياء بالنسبة إليه تعالى عقلاء فإنَّ إرجاع الضمير إلى الأسماء واعتبار كونها عقلاء إسقاط لاعتبار الاسمية لها بخلاف إيقاع العلم على الأسماء بعنوان الاسمية.

بيان السعادة للجنابزي

- وجاء عن الإمام الخميني في تفسير البسملة:

إنَّ كلّ بسملة مرتبطة بنفس السورة التي تفتتحها ،فمثلاً في (الحمد) ترتبط البسملة بما بعدها، فباسم الله تبارك وتعالى يكون الحمد له .

والاسم علامة، وهو للتعريف، ويوضع لكل شخص، أو لكلّ شيء اسم لكي يكون علامة ومعرفاً له، وأسماء الله علائم ذاته المقدسة، وأسماء الحق تعالى هي التي يمكن للإنسان التعرف على ذاته المقدسة من خلالها (ولو بصورة ناقصة) أمَّا نفس الذات المقدسة للحق تعالى فلا يصلها إنسان حتى خاتم الأنبياء .

- أمَّا ما يمكن لبني الإنسان الوصول إليه فهو أسماء الله، ولهذه الأسماء أيضاً مراتب نستطيع نحن أن ندرك بعضها، فيما ينحصر إدراك البعض الآخر بأولياء الله والنبي (ﷺوآلهِ) وأولئك المعلمين بتعليمه، والعالم أجمع هو اسم الله، فالاسم هو العلامة، وجميع الموجودات في العالم هي علائم على ذات الحق تعالى المقدسة، فجميع موجودات العالم هو "أسماء لله " وآيات الله، ويمكن لكافة العقول إدراك هذه الحقيقة، ومعرفة أنَّ كل العالم أسماء الله، والاسم الأعظم هو العلامة الحاوية لجميع كمالات الحق تعالى على نحو - النقص - أي النقص الإمكاني، فهو واجد لكافة الكمالات الإلهية نسبة إلى سائر الموجودات على نحو الكمال، والموجودات التي تأتي بعد هذا الاسم واجدة لنفس الكمالات،

ولكن بمقدار سعتها الوجودية، فالحركة بسم الله، فعندما تحمدون الله فهنا اسم الله، عندما تتحرك ألسنتكم فهنا اسم الله...إلخ فأنتم أنفسكم أسماء الله .

لأنَّه لو انقطع لحظة شعاع الوجود، وذاك الذي تكون الموجودات موجودة به وبتلك الإرادة وذلك التجلّي، لعادت جميع الموجودات إلى اللاشيئية ولخرجت من الحالة الوجودية .

فالله هو التجلّي الجامع، تجلّي من الحق تعالى الجامع لكافة التجلّيات ومن هذا التجلّي تكون تجلّيات الرحمن، الرحيم، الله، فتجلّي الحق تعالى والرحمن والرحيم هي من تجلّيات هذا التجلّي .

فالرحمن أوجد بالرحمة الرحمانية كافة الموجودات وهذه الرحمة هي أصل وجود الرحمة، وحتى ذلك الوجود الذي أُعطي للموجودات الشريرة هو أيضاً رحمة، الرحمة الواسعة التي وسعت كل الموجودات، يعني أنَّ جميع الموجودات هي عين الرحمة، جميعها رحمة الله والله هو باسم الله هو هذا التجلّي الذي هو تجلّي بالمعنى العام .

فإذا صدق الإنسان أنَّ جميع المحامد هي لله فعندما لن يحدث في قلبه شرك وإذا أثنى على أحد فلكونه من تجليات الله .

. نتوهم أننا نمدح ونحمد هذا أو ذاك، لكن عندما تُرفع الحجب نرى أنَّ جميع المحامد هي له وأنَّ نفس حمدنا له هو من تجليه، (**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ**

وَالْأَرْضِ(٣٥))(النور). تعني أنَّ كلّ حسن منه، وكل الكمالات منه، أي من تجلياته، تجلى مرة فأوجد كل العالم .

نتوهم أننا نقوم بعمل ما بأنفسنا ولكن (**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى(١٧)**)(الأنفال). رميت وما رميت، فالرمي هو أيضاً تجلّي، ومن التجلّي الرمي، لكن ما رميت تجلّي الرمي إنَّ الله رمى، (**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** (١٠))(الفتح). وهذه اليد أيضاً تجلّي الله .

إذا أنشد قصيدة في مدح الإمام علي (عليه السلام) فهو يريد أن يقول أنَّه يدرك أنَّها لله، لأنَّ الإمام علي (عليه السلام) هو التجلّي الإلهي العظيم ولكونهِ، لذا فإنَّ ما فرضتموه مدحاً لهُ فهو مدح لله من خلالِ مدح تجلّيه.

تفسير البسملة وصلاة العارفين للخميني

وقال أيضاً:

اعلم يقول أرباب المعرفة وأصحاب القلوب، بأنّ لكلّ اسم من الأسماء الإلهية لدى الحضرة الواحدية، صورة تابعة للتجلّي بالفيض الأقدس لدى الحضرة العلمية وذلك بواسطة الحب الذاتي وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلاّ هو، ويعبّر لدى أهل الله عن تلك الصورة بـ"العين الثابتة" وتحصل أولاً، من جراء هذا التجلّي بالفيض الأقدس، التعينات الأسمائية، ويتحقق ثانياً بسبب هذه التعينات الأسمائية صور الأسماء التي هي الأعيان الثابتة، والاسم الأول الذي

يبرز ويظهر مع مرآته بتجلّي الأحدية والفيض الأقدس لدى حضرة العلمية الواحدية، هو الاسم الأعظم الجامع الإلهي، والمقام المسمى بـ"الله" الذي يكون من الناحية الغيبية عين التجلّي بالفيض الأقدس، وفي التجلّي الظهوري يكون كمال الجلاء والاستجلاء عين مقام جمع الواحدية باعتبار وعين الكثرة الاسمية باعتبار آخر، وإنَّ تعين الاسم الجامع وصورته عبارة عن العين الثابتة للإنسان الكامل وعين الحقيقة المحمّدية للنبي (ﷺوآلهِ)، كما أنَّ مظهر التجلّي الحقيقي للفيض الأقدس هو الفيض المقدس، وأنَّ مظهر التجلّي لمقام الواحدية، هو مقام الألوهية، وأنَّ مظهر التجلّي لحقيقة الإنسان الكامل الثابتة، هي الروح الأعظم، وأنَّ كافة الموجودات الاسمية والعلمية والعينية –الخارجية – تكون مظاهر كلية وجزئية لهذه الحقائق والرقائق على أساس ترتيب بديع لا يسعه هذا الكتاب المختصر وإنَّما ذكرناه في كتاب مصباح الهداية .

ويستفاد مما ذكرناه بأنَّ الإنسان الكامل مظهر الاسم الجامع، ومرآة تجلّي الاسم الأعظم، كما أشير إلى هذا المعنى في الكتاب والسنة كثيراً .قال الله تعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**(٣١))(البقرة). وقد تم هذا التعليم الإلهي على يدي الجمال والجلال تجاه باطن آدم بواسطة التخمير الغيبي الجمعي لدى الحضرة الواحدية كما أنَّه تمَّ التعليم الإلهي تجاه صورة آدم وظاهره، في عالم الشهادة بمظهره الطبيعي المادي بواسطة ظهور يدي الجلال والجمال، قال تعالى: (**إِنَّا**

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢))(الأحزاب).

وتكون الأمانة لدى العرفاء الولاية المطلقة التي لا يليق بها غير الإنسان وهذه الولاية المطلقة هي مقام الفيض المقدس وقد أشير إليه في القرآن الكريم بقوله تعالى: (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**(٨٨))(القصص).

وفي كتاب الكافي بسنده إلى أسود بن سعيد قال: (كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فأنشأ يقول ابتداءً منه من غير أن أسأله: "نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده ".

وفي دعاء الندبة "أين وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء ؟ أين السبب المتصل بين أهل الأرض والسماء".

وفي زيارة الجامعة الكبيرة "والمثل الأعلى"، وهذا المثل الأعلى وذلك الوجه الإلهي هو الوارد في الحديث الشريف: "إنَّ الله خلق آدم على صورته" ومعناه أنَّ الإنسان هو المثل الأعلى للحق سبحانه وآيته الكبرى ومظهره الأتم وأنَّه مرآة لتجلّي الأسماء والصفات وأنَّه وجه الله وعين الله ويد الله وجنب الله، (هو يسمع ويبصر ويبطش بالله، والله يبصر ويسمع ويبطش به).*[٩٦] ووجه الله هذا هو

[٩٦] ـ أصول الكافي .

النور المذكور في قوله تعالى: (**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ(٣٥)**)(النور). وقال الإمام الباقر (عليه السلام) كما في كتاب (الكافي) بسنده إلى أبي خالد الكابلي " قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل): (**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا(٨)**)(التغابن). فقال: يا أبا خالد النور والله نور الأئمة من آل محمّد (صلى الله عليه وآلهِ) إلى يوم القيامة وهم والله نور الله الذي أنزل وهم والله نور الله في السموات والأرض " .

وفي كتاب الكافي الشريف بسنده على الإمام الباقر ـ روحي لتراب مقدمه الفداءـ في تفسيره (عليه السلام) للآية الشريفة (**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢)**)(النبأ). قائلاً: (هي في أمير المؤمنين، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: ما لله تعالى آية هي أكبر مني، ولا لله من نبأ أعظم مني).*[٩٧]

وملخص الحديث: أنَّ الإنسان الكامل الذي يكون آدم أبو البشر فرداً منه، أكبر آية ومظهر لأسماء وصفات الحق سبحانه، وأنَّه مثل الحق المتعالي وآيته، ولا بُدَّ من تنزيه الله سبحانه وتقديسه عن المِثْل بمعنى الشبه ولا يلزم تنزيه ذاته المقدس عن المِثَل الذي هو بمعنى الآية والعلامة (**وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى(٢٧)**)(.الروم)

إنَّ كافة ذرات الكون آيات ومرآة تجلّي ذاك الجمال الجميل عزّ وجلّ كل حسب حجمه ومنزلته الوجودية، ولكن لا يكون شيء آية للاسم الأعظم

[٩٧] ـ أصول الكافي .

الجامع أي (الله) عدا الكون الجامع، والبرزخية الكبرى المقدسة جلّت عظمته بعظمة باريه، فالله تعالى خلق الإنسان الكامل والآدم الأول على صورته الجامعة وجعله مرآة أسمائه وصفاته .

قال الشيخ الكبير*[٩٨]: فظهر جميع ما في الصورة الإلهية من الأسماء في هذه النشأة الإنسانية فحازت رتبة الإحاطة والجمع بهذا الوجود وبه قامت الحجة لله على الملائكة .

الأربعون حديثاً للخميني

وقال في تفسير دعاء السحر:

اعلم أنَّ الإنسان هو الكون الجامع لجميع المراتب العينية والمثالية والحسية، منطوٍ فيه العوالم الغيبية والشهادية وما فيها، كما قال اللّه تعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا(٣١)**)(البقرة). وقال مولانا ومولى الموحدين (صلوات اللَه عليه) على ما نقل:

أتزعم أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

فهو مع الملك ملك، ومع الملكوت ملكوت، ومع الجبروت جبروت .

وروي عنه وعن الصادق (عليهما السلام): (اعلم أنَّ الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي

---

[٩٨] ـ يقصد ابن عربي.

بناه بحكمته، وهي مجموع صورة العالمين، وهي المختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كلّ غائب، وهي الطريق المستقيم إلى كلّ خير، والصراط الممدود بين الجنة والنار).*[99]

– فهو خليفة الله على خلقه، مخلوق على صورته، متصرف في بلاده، مخلَع بخلع أسمائه وصفاته، نافذ في خزائن ملكه وملكوته، منفوخ فيه الروح من الحضرة الإلهية، ظاهره نسخة الملك والملكوت وباطنه خزانة الحي الذي لا يموت، ولما كان جامعاً لجميع الصور الكونية الإلهية كان مربى بالاسم الأعظم، المحيط لجميع الأسماء والصفات، الحاكم على جميع الرسوم والتعينات، فالحضرة الإلهية ربّ الإنسان الجامع الكامل .

واعلم أنَّ السالك بقدم المعرفة إلى اللّه لا يصل إلى الغاية القصوى ولا يستهلك في أحدية الجمع ولا يشاهد ربه المطلق إلاّ بعد تدرّجه في السير إلى منازل ومدارج ومراحل ومعارج من الخلق إلى الحق المقيّد، ويزيل القيد يسيراً يسيراً، وينتقل من نشأة إلى نشأة ومن منزل إلى منزل حتى ينتهي إلى الحق المطلق، كما هو المشار إليه في الكتاب الإلهي لطريقة شيخ الأنبياء عليه و(عليهم الصلاة والسلام) بقوله تعالى: (**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي**

[99] ـ تفسير الصافي.

هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩))(الأنعام). فتدرّج من ظلمات عالم الطبيعة متدرّجا مرتقياً إلى عالم الربوبيّة، فطلوع ربوبيّة النفس متجلّية بصورة الزهرة، فارتقى عنها فرأى الأفول والغروب لها، فانتقل من هذا المنزل إلى منزل القلب الطالع قمر القلب من أفق وجوده، فرأى ربوبيّته، فتدرّج عن هذا المقام إلى طلوع شمس الروح، فلمّا أفلت بسطوع نور الحق وطلوع الشمس الحقيقي نفى الربوبيّة فيها وتوجّه إلى فاطرها وخلص عن كلّ اسم ورسم وتعيّن ووسم، وأناخ راحلته عند الربّ المطلق، فالعبور عن منازل الحواسّ والتخيّلات والتعقّلات، والتجاوز عن دار الغرور إلى غاية الغايات، والتحقّق بنفي الصفات والرسوم والجهات عيناً وعلماً لا يمكن إلاَّ بعد التدرّج في الأوساط من البرازخ السافلة والعالية إلى عالم الآخرة، ومنها إلى عالم الأسماء والصفات، من التي كانت أقلّ حيطة إلى أكثر حيطة، إلى الإلهيّة المطلقة، إلى أحديّة عين الجمع المستهلك فيها كلّ التجلّيات الخلقية والأسمائية والصفاتية الفانية فيها التعيّنات العلمية والعينية، فإذا بلغ السالك إلى الحضرة الإلهية ورأى بعين البصيرة الحضرة الواحدية وتجلّى لهُ ربّه بالتجلّيات الأسمائية والصفاتية وتوجّه إلى محيطيّة بعض الأسماء والصفات ومحاطيّة بعضها وفضيلة بعضها وأفضلية بعضها الأخرى يسأل ربّه باللسان المناسب لنشأته ويدعو بالدعاء اللائق بحضرته بأبهى الصفات وأجملها وأشرف الآيات وأكملها، فيسري من

لسان حاله إلى قاله ومن سرّه إلى مقاله، فيقول: "أسألك من بهائك بأبهاه" إلى غير ذلك والسؤال في الحضرة الإلهية بطور يخالف طور السؤال في حضرة الغيب المقيّد، وهو يخالف السؤال في الشهادة، ومسؤلاتها أيضاً متفاوتة بمناسبة النشئآت، كما سيجئ في قوله (عليه السلام): "اللّهم إني أسألك من مسائِلك بأحبّها إليك" هذا وإذا تجاوز عن الحضرة الإلهية إلى حضرة الأحدية الجمعيّة المستهلكة فيها الحضرات، الفانية فيها التعيّنات والتكثّرات وتجلّى عليه بالمالكية المطلقة. كما قال: ﴿ **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ** (١٦)﴾(غافر). وحيث لم يكن في هذا اليوم خلق وأمر ولا اسم ورسم وردٌّ، أن لا يجيبهُ إلاَّ نفسه، فقال: ﴿**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** (١٦)﴾(غافر). ففي هذا المقام لم يكن سؤال ولا مسؤول ولا سائل، وهو السّكر الذي هو هيمان ودهشة واضطراب بمشاهدة جمال المحبوب فجأة، فإذا أفاق بتوفيقات محبوبه عن هذا الهيمان والدهش وصحا عن المحو أمكنه التميز والتفرقة لتمكن الشهود فيه واستقامته واستقراره وحفظه الحضرات الخمس يرى أنَّ الصفات التي يراها في الصحو الأول بعضها أبهى وبعضها بهيّ وبعضها أكمل وبعضها كامل، كلّها من تجلّيات ذات أحديّ محض ولمعات جمال نور حقيقي بحت، فلا يرى في هذا المقام أفضلية و أشرفية، بل يرى كلّها شرف وبهاء وجمال وضياء، فيقول: "كلّ بهائك بهيّ وكلّ شرفك شريف" لم يكن أشرفية في البين، وتكون كلها أمواج بحر وجودك ولمعات نور ذاتك وكلها متحدة مع الكل وكلّها مع الذات، فإثبات التفضيل في الصحو الأول ونفيها في

الصحو بعد المحو مع إرجاع الكثرات إليه، هذا إذا كان النظر إلى التجلّيات الصفاتية والأسمائية. وأمّا إذا كان المنظور التجلّيات الخلقية والمظاهر الحسنى الفعلية فالعروج إلى مقام التحقق بالمشيئة المطلقة المستهلكة فيها التعيّنات الفعلية لا يمكن إلاّ التدرج في مراتب التعيّنات، فمن عالم الطبيعة يعرج إلى عالم المثال والملكوت متدرجاً في مراتبها، ومنهما إلى عالم الأرواح المقدسة بمراتبها، ومنه إلى مقام المشيّة التي استهلك في عينها جميع الموجودات الخاصة والتعينات الفعلية، وهذا هو مقام التدلي في قوله تعالى: (**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى** (٨))(النجم). فالمتدلّي بذاته الذي لم يكن حيثيّته إلا التدلّي ولم يكن ذاتاً يعرض لها التدلّي والفقر الذي هو الفقر المطلق، وهو المشيئة المطلقة المعبرّ عنها بالفيض المقدّس والرحمة الواسعة والاسم الأعظم والولاية المطلقة المحمّدية أو المقام العلوي، وهو اللواء التي آدم ومن دونه تحتها والمشار إليه بقوله: " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين أو بين الجسد والروح"، أي لا روح ولا جسد، وهو العروة الوثقى والحبل الممدود بين سماء الإلهية وأراضي الخلقية، وفي دعاء الندبة قوله (عليه السلام): "أين باب الله الذي منه يؤتى أين وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء، أين السبب المتّصل بين الأرض والسماء".

- وقال في تفسير:

" اللّهم إنّي أسألك من رحمتك بأوسعها، وكلّ رحمتك واسعة، اللّهم إنّي أسألك برحمتك كلّها ":

الرحمة الرحمانية: مقام بسط الوجود.

والرحمة الرحيمية: مقام بسط كمال الوجود.

فبالرحمة الرحمانية ظهر الوجود، وبالرحمة الرحيمية يصل كلّ إلى كماله المعنوي وهدايته الباطنية، ولهذا ورد: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، والرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة، فبحقيقة الرحمانية أفاض الوجود على الماهية المعدومة والهياكل الهالكة وبحقيقته الرحيمية أفاض الكمال عليها وطلوع دولتها في النشأة الآخرة أكثر، وفي بعض الآثار: يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وذلك باعتبار إيجاد العشق الطبيعي في كل موجود للسير إلى كماله والتدرّج إلى مقامه وفي النشأة الآخرة وبروز يوم الحصاد وإيصال كل إلى فعليته وكماله من النفوس الطاهرة الزكية وإيصالها إلى مقامات القرب والكرامات والجنات التي عرضها كعرض السماوات ومن النفوس المنكوسة السبعية والبهيمية والشيطانية وإيصالها إلى النيران ودركاتها وعقاربها وحياتها كل بحسب زرعه، فإنَّ الوصول إلى هذه المراتب كمال بالنسبة إلى النفوس المنكوسة الشيطانية وإن كان نقصاً بالنسبة إلى النفوس الزكية المستقيمة الإنسانية، هذا وعلى طريقة الشيخ محي الدين (ابن عربي) فالأمر في رحيميته في الدارين واضح، فإنَّ أرحم الراحمين يشفع عند المنتقم ويصير الدولة دولته والمنتقم تحت سلطنته وحكمه، والرحمانية والرحيمية، إمّا فعلية أو ذاتيّه، فهو تعالى ذو الرحمة الرحمانية والرحيمية الذاتيتين، وهي تجلّي الذات على ذاته وظهور صفاته وأسمائه ولوازمها من الأعيان الثابتة بالظهور

العلمي والكشف التفصيلي في عين العلم الإجمالي في الحضرة الواحدية، كما أنَّه تعالى ذو الرحمة الرحمانية والرحيمية الفعليتين، وهي تجلّي الذات في ملابس الأفعال ببسط الفيض وكماله على الأعيان وإظهارها عيناً طبقاً للغاية الكاملة والنظام الأتم، وهذا أحد الوجوه في تكرار الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب التدويني للتطابق بينه وبين الكتاب التكويني، فإنَّ الظاهر عنوان الباطن، واللفظ والعبارة عبارة عن تجلّي المعنى والحقيقة في ملابس الأصوات والأشكال واكتسائه كسوة القشور والهيئات، فإن جعل الرحمن الرحيم في بسم الله صفةً للفظ الجلالة كانا إشارة إلى الرحمانية والرحيمية الذاتيتين وكانا اللذان بعدهما إشارة إلى الفعلين منهما، واللّه في الحمد للّه وهو الألوهيه الفعلية وجمع تفصيل الرحمن الرحيم الفعليين، والحمد عوالم المجردات والنفوس الاسفهبدية التي لم يكن حيثيته إلاَّ الحمد وإظهار كمال المنعم، ولم يكن في سلسلة الوجود ما كان حمداً بتمامه بلا حيثية كفران إلاَّ تلك العوالم النورانية، فإنَّها أنيَّات صرفه لا ماهية لها عند أهل الذوق والعرفان، والعالمون هي ما دون تلك العوالم، فيصير المعنى: بسم اللّه الذي هو ذو الرحمة والرحمانية والرحيمية الذاتية انفتح عوالم الحمد كلّه التي هي تَعيُّن الإلهية المطلقة في مقام الفعل، وهى ذوات الربوبية والتربية لساير مراتب الموجودات النازلة عن مقام المقدسين من الملائكة الروحانيّين والصافات صفاً والمدبّرات أمراً، وذات الرحمة الرحمانية والرحيمية الفعلية، أي لها مقام بسط الوجود وبسط كماله عيناً في حضرة الشهادة وذات المالكية والقابضية في يوم

رجوع الكلّ إليها، والرجوع إليها رجوع إلى الله، إذ ظهور الشيء ليس يباينه بل هو هو، وإن جعل الرحمن الرحيم صفة باسم في (البسملة) يصير الأمر بالعكس وصار بمعنى المشيئة للّه التي بها الرحمانية والرحيمية الفعليان، واللّه في الحمد للّه هو الإلهية الذاتية، والرحمن الرحيم من صفاته الذاتية و كذا الرب والمالك .

تفسير دعاء السحر للخميني

وقال في مصباح الهداية:

هذه الخلافة هي روح الخلافة المحمّدية (ومراحل ومعارج)، وربها وأصلها ومبدؤها، منها بدأ أصل الخلافة في العوالم كلها، بل أصل الخلافة والخليفة والمستخلف إليه، وهذه ظهرت، تمام الظهور، في حضرة " اسم الله الأعظم" رب الحقيقة المطلقة المحمّدية (ومراحل ومعارج)، أصل الحقائق الكلية الإلهية.

فهي أصل الخلافة، والخلافة ظهورها، بل هي الظاهرة في هذه الحضرة، لاتحاد الظاهر والمظهر، كما أشار إليه في الوحي الإلهي، إشارة لطيفة، بقوله تعالى: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** (١))(القدر).

وقال شيخنا وأستاذنا في المعارف الإلهية، العارف الكامل، الميرزا محمّد علي الشاه أبادي الأصفهاني، أدام الله أيام بركاته، في أول مجلس تشرفت بحضوره وسألته عن كيفية الوحي الإلهي (في ضمن بياناته): أنَّ "هاء" في قوله تبارك

وتعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** (١)﴾(القدر) إشارة إلى الحقيقة الغيبية النازلة في البنية المحمّدية التي هي حقيقة " ليلة القدر".

وقال: ولعلك بعد المصابيح الماضية المستنيرة بالأنوار الإلهية المنورة لقلبك

والنفثة الروحية النافخة في روعك، عرفت كيفية ارتباط هذه الخلافة الكبرى بالأسماء الحسنى والصفات العليا، وأنَّ ارتباطها بها ارتباط افتقار ووجود، كما أنَّ ارتباط هذه بها ارتباط تجلٍّ وظهور، فإنَّ الحقيقة الغيبية الإطلاقية لا ظهور لها بحسب حقيقتها، فلا بُدَّ لظهورها من مرآة يتجلّى فيها عكسها، فالتعينات الصفاتية والأسمائية مرائي انعكاس ذلك النور العظيم ومحل ظهوره .

وقال: لك أن ترتقي إلى أوج الحقيقة لفهم أسرار أهل المعرفة، فاسمعِ لما نتلوا عليك، واعلم أنّ هذه الخلافة أيضاً خلافة في الظهور، فإنّ الأوّل جلّ مجده، لما أراد أن يظهر في الأكوان، لرؤية نفسه وكمالات ذاته في مراتب كاملة جامعة، تجلّى باسمه الأعظم الأتمّ الّذي له مقام أحدّية الجمع، فأشرقت من ذلك التجلّي سموات الأرواح وأراضي الأشباح، فكلّ المراتب الوجودية والحقائق النزوليّة والصعوديّة من تعيّن تجلّية الذاتي الحاصل بالاسم الأعظم، فمقام الخلافة مقام استجماع كلّ الحقائق الإلهيّة والأسماء المكنونة المخزونة، فحيث لا حجاب في الوجود من ناحية الربّ الودود، فإنَّ الحجاب من التعيّنات والحدود، وإذ لا تعيّن من ناحية عالم القدس، فلا حجاب، فكان ذاته بذاته ظهرت في الأشياء،

وعلى حدّ إطلاقه أشرقت الأرض والسماء (**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**(٦٩)) (الزمر). الذي هو الحقيقة الإطلاقيّة الجامعة لكلّ الحقائق والتعيّنات المشهودة والمعلومة في العالمين، من ناحية عالم الكثرة وجنبة الخلقيّة: (**وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**(٧٩))(النساء). فمن عرف حقيقة استهلاك الوجود المنبسط والإحاطة القيّوميّة للذات الواجبة وعدم النسبة، أيّة نسبة، بينها وبين الخلق وتنزّهها عن كلّ التعيّنات، يمكن له معرفة هذا الظهور الذاتي والتجلّي الأسمائي والصفاتي، فمع كون التجلّي بالأسماء وفي هياكل الممكنات، كان التجلّي ذاتياً، بلا ملابسة بأقذار التعيّنات الخلقيّة ومناسبة لسكّان عالم من العوالم ، فاعرف ولا تختلط .

كما أنّ عالم الأعيان أيضاً غير مانع عن كون الظهور ذاتياً، وإن كان الترتيب يقتضي أن يكون الأعيان ظاهرة، إلاّ أنّك قد عرفت أنّ الأعيان الثابتة لا وجود لها في الحضرة العلميّة ولا كون لها إلاّ كون الثبوت، فحقائقها أيضاً غير حاجبة عن الظهور الذاتي والتجلّي الأسمائي والصفاتي، فهو تعالى بلا حجاب مسدول بينه وبين خلقه ظاهر في مرآة الكلّ، كما قال تعالى شأنه: (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**(٣))(الحديد). فأشار بلفظ "هو" إلى الحقيقة الغيبيّة المستكنّة في الحضرة الأسمائية والصفاتية، وقال: الحقيقة الغيبيّة المقدّسة عن التلبّس بالأسماء والصفات، فضلاً عن ملابسة الأكوان الزائلات الداثرات بحقيقتها الشريفة ظاهر وباطن وأوّل وآخر، فالظهور كلّ الظهور له والبطون كلّ البطون له، لا ظهور

لشيء من الأشياء، ولا بطون لحقيقة من الحقائق بل لا حقيقة لشيء أصلاً، كما في دعاء يوم عرفة لمولانا وسيّدنا أبي عبد الله الحسين روحي له الفداء: أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ....إلخ .

مصباح الهداية للخميني

*****

" الأسماء الحسنى "*[100]

(الله، الرحمن، الرحيم، الرب، العلي، الولي، الشهيد)

[100] - هي في اصطلاح الطائفة عبارة عن ظاهر الوجود من حيث تقيده بمعنى، وذلك أن كل اسم إلهي إنَّما هو ظاهر الوجود الذي هو عين الذات، لكن لا من حيث هو هو، بل من حيث تعينه وتقيده بمعنى أو بصفة، وذلك كالحي مثلاً فإنَّه اسم للوجود الظاهر المتعين، لكن من حيث تعينه وتقيده بمعنى هو الحياة ،فبالنظر إلى عين الوجود، فإنَّ الحي هو عين الذات، وبالنظر إلى التقيد بذلك المعنى وتميزه عن غيره من المعاني فإنه غير الذات.

قال تعالى: (**فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**(١١٠))(الإسراء) .

- إنَّ الشيء في نفسه لا يحتاج إلى اسم يميز به نفسه لنفسه .

شرح مشكلات الفتوحات المكية

صفات الحق عند الصوفيه:

قال شيوخ الصوفية في التوحيد إنَّ الحق سبحانه وتعالى:

(موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مريد، سميع، مجيد، رفيع، متكلم، بصير، متكبر، قدير، حي، أحد، باقٍ، صمد، وأنَّه عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حي بحياة، باقٍ ببقاء، وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء، سبحانه على التخصيص، وله الوجه الجميل، وصفات ذاته مختصة بذاته لا يقال هي هو ولا هي أغيار له، بل هي صفاته الأزلية ونعوته السرمدية.

الرسالة القشيرية

قال ابن عربي في تصنيف الأسماء:

- أسماء الأفعال: كالخالق والباري والمصوَّر والرازق والمحي.

- أسماء الصفات: كالحي والعالم والقادر والسميع والبصير والمريد.

- أسماء النعوت: كالأول والأخر والباطن والظاهر.

- أسماء التنزيه: كالغني.

- أسماء الذات: الله، هو.

الفتوحات المكية ج٢

وقال الأمير المكزون (قُدّس سرّه):

لم تبدُ لي من بها وجدي وبلوائي　　بغير نعتي وأوصافي وأسمائي

صفاؤها في تجلّيها يقابل را　　ئيها فتظهر فيها صورة الرائي

معرفة الله والمكزون .د. أسعد علي

- وقال الإمام الخوئي:

ابتدأ اللهُ سبحانه كتابه التدويني بذكر اسمه كما ابتدأ في كتابه التكويني باسمه الأتم، فخلق الحقيقة المحمّدية، ونور النبي الأكرم قبل سائر المخلوقين، وإيضاح هذا المعنى (أنَّ الاسم هو ما دلَّ على الذات وبهذا الاعتبار تنقسم الأسماء الإلهية إلى قسمين ،تكوينية وجعلية) .

فالأسماء الجعلية: هي الألفاظ التي وضعت للدلالة على الذات المقدسة أو على صفة من صفاتها الجمالية والجلالية .

والأسماء التكوينية: هي الممكنات الدالة بوجودها على وجود خالقها وعلى توحيده، وتختلف الأسماء الإلهية اللفظية من حيث دلالتها، فيدل بعضها على نفس الذات بما لها من صفات الكمال، ويدل بعضها على جهة خاصة من

كمالاتها على اختلافٍ في العظمة والرفعة، فكذلك تختلف الأسماء التكوينية من هذه الجهة، وإن اشترك جميعها في الكشف عن الوجود والتوحيد وعن العلم والقدرة وعن سائر الصفات الكمالية .

ومنشأ اختلافها، أنَّ الموجود إذا كان أتم كانت دلالته أقوى، ومن هنا صحَّ إطلاق الأسماء الحسنى على الأئمة الهداة كما في بعض الروايات (كما في الكافي باب التوحيد) فالواجب جلَّ وعلا قد ابتدأ في أكمل كتاب من كتبه التدوينية بأشرف الألفاظ وأقربها إلى اسمه الأعظم من ناظر العين إلى بياضها، كما بدأ في كتابه التكويني باسمه الأعظم في عالم الوجود العيني وفي ذلك تعليم البشر بأن يبتدئوا في أقوالهم وأفعالهم باسمه تعالى.

– أمَّا الأشاعرة فذهبت إلى القول بقدم القرآن وبأنَّ الكلام على قسمين لفظي ونفسي، وأنَّ كلام الله النفسي قائم بذاته وقديم بقدمه وهو إحدى صفاته الذاتية، وذهبت المعتزلة والعدلية إلى حدوث القرآن، وإلى انحصار الكلام في اللفظي، وإلى أنَّ التكلم من الصفات الفعلية.

فصفات الله الذاتية: هي التي يستحيل أن يتصف سبحانه بنقيضها أبداً ولا يصح سلبها عنه في أي حال، مثال ذلك (العلم والقدرة والحياة) .

– وأنَّ صفاته الفعلية: هي التي أن يتصف بها في حال، وبنقيضها في حال آخر مثال الخلق والرزق والكلام .

– أمَّا الأشاعرة اتفقت على وجود نوع آخر من الكلام غير النوع اللفظي المعروف وقد سموه بالكلام النفسي، ومن هنا قالوا بقدم القرآن وهذا لا ينطبق على الله سبحانه، لقول الإمام الصادق (عليه السلام) رواية الكليني عن أبي بصير مسنداً قال: (سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: لم يزل الله (عز وجل) ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمَّا أحدث الأشياء، وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، وقال: قلت فلم يزل الله متحركاً ؟ قال: فقال: تعالى الله عن ذلك، إنَّ الحركة صفة محدثة بالفعل، قال: فقلت: فلم يزل الله متكلماً ؟ قال: فقال: إنَّ الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله (عز وجل) ولا متكلم).*[١٠١]

البيان في تفسير القرآن للخوئي

. قال آية الله الخميني في تعليقه على شرح القيصري للفصوص:

(إنَّ اللهَ بمقامه الغيبي غير معبود، وإنَّه غير مشهود ولا معروف، والمعبود لابدَّ وأن يكون مشهوداً أو معروفاً، والعبادة دائماً تقع في حجاب الأسماء والصفات حتى عبادة الإنسان الكامل، إلاَّ أنَّه عابد اسم الله الأعظم، وغيره يعبدونه على حسب درجاتهم).*[١٠٢]

[١٠١] ـ أصول الكافي باب صفات الذات.
[١٠٢] ـ صلاة العارفين للخميني .

. وقال ابن عربي:

اعلم أنَّ الله لما قال: (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** (١١٠))(الإسراء). فجعل الأسماء الحسنى لله كما هي للرحمن، غير أنَّ هنا دقيقة وهي أنَّ الاسم له معنى وله صورة، فيدعى الله بمعنى الاسم ويدعى الرحمن بصورته، لأنَّ الرحمن هو المنعوت بالنفس، وبالنفس ظهرت الكلمات الإلهية في مراتب الخلاء الذي ظهر فيه العالم فلا ندعوه إلاَّ بصورة الاسم، وله صورتان صورة عندنا من أنفاسنا وتركيب حروفنا، وهي التي ندعوه بها وهي أسماء الأسماء الإلهية وهي كالخلع عليها، ونحن بصورة هذه الأسماء التي من أنفاسنا مترجمون عن الأسماء الإلهية، والأسماء الإلهية لها صور من نفس الرحمن من كونه قائلاً ومنعوتاً بالكلام، وخلف تلك الصور المعاني التي هي لتلك الصور كالأرواح، فصور الأسماء الإلهية، التي يذكر الحق بها نفسه بكلامه وجودها من نفس الرحمن (**فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** (١١٠))(الإسراء). وأرواح تلك الصور هي التي للاسم الله خارجة عن حكم النفس لا تنعت بالكيفية، وهي لصور الأسماء النفسية الرحمانية كالمعاني للحروف .

ولما علَّمنا هذا وأمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى وخيَّرنا بين الله والرحمن فإن شئنا دعوناه بصورة الأسماء النفسية الرحمانية، وهي الهمم الكونية التي في أرواحنا، وإن شئنا دعوناه بالأسماء التي من أنفاسنا بحكم الترجمة، وهي الأسماء التي يتلفظ بها في عالم الشهادة، فإذا تلفظنا بها أَحضرنا في نفوسنا، أمَّا الله فننظر المعنى، وأمَّا

الرحمن فننظر صورة الاسم الإلهي النفسي الرحماني كيفما شئنا فعْلنا، فإنَّ دلالة الصورتين منَّا ومن الرحمن على المعنى واحد سواء علمنا ذلك أو لم نعلمه.

الفتوحات المكية ج٣

وقال:

وانظر حكمة الله تعالى في كونه لم يجعل له صفة في كتبه بل نزَّه نفسه

عن الوصف فقال: (**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**(١٨٠))(الأعراف). فجعلها أسماء وما جعلها نعوتاً ولا صفات وقال: (**فَادْعُوهُ بِهَا** (١٨٠))(الأعراف). وبها كان الثناء والاسم ما يعطي الثناء وإنَّما يعطيه النعت والصفة وما شعر أكثر الناس لكون الحق ما ذكر له نعتاً في خلقه، وإنَّما جعل ذلك أسماء كأسماء الأعلام التي ما جاءت للثناء وإنَّما جاءت للدلالة، وتلك الأسماء الإلهية الحسنى هي لنا نعوت يثني علينا بها وأثنينا علينا بها وأثنى الله على نفسه بها لأنَّا قدّمنا أنَّ نزول الشرائع في العالم من الله إنَّما تنزل بحكم ما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان، سواء صادف أهل ذلك اللسان الحق في ذلك أو لا، وقد تواطأ الناس على أنَّ هذه الأسماء التي سمّى الحق بها نفسه مما يثنى بها في المحدثات إذا قامت بمن تقوم به نعتاً أو صفة، فأثنى الله على نفسه بها ونبَّه على أنَّها أسماء لا نعوت ليفهم السامع الفهم الفطن أنَّ ذلك من حكم التواطئ لا حكم الأمر في نفسه كما دلَّ دليل الشرع (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**(١١))(الشورى) من جميع الوجوه فلا يقبل

الأينية، فإنَّه لو قبلها لم يصدق (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**(١١))(الشورى). على الإطلاق فإنَّ قبول الأينية مماثلة.

الفتوحات المكية ج٣

وقال:

إلى الرحمن حلّي وارتحالي	لأحظى بالجلال وبالجمال
فإنَّ الحق كان بنا رحيماً	رؤوفاً يوم يدعوني نزال

- فحضرة الرحموت في الاسم الرحمن الرحيم: مبالغة في الرحمة الواجبة والامتنانية قال تعالى: (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْء**(١٥٦))(الأعراف) ومن أسماءِ الله تعالى: الرحمن الرحيم وهو من الأسماء المركبة كبعلبك، ورام هرمز وإنَّما قبل هذا التركيب لما انقسمت رحمته بعباده إلى واجبة وامتنان، فبرحمة الامتنان ظهر العالم، وبها كان مآل أهل الشقاء إلى النعيم في الدار التي يعمرونها وابتداء الأعمال الموجبة لتحصيل الرحمة الواجبة وهي الرحمة التي قال الله فيها لنبيه (ﷺوآلِهِ) على طريق الامتنان: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ** (١٥٩))(آل عمران). (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** (١٠٧))(الأنبياء). رحمة امتنان وبها رزق العالم كله فعمَّت، والرحمة الواجبة لها متعلق خاص بالنعت والصفات التي ذكرها الله في كتابه، وهي رحمة داخلة في قوله: (**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا**(٧))(غافر). فمنتهى علمه منتهى رحمته فيمن يقبل الرحمة، وكلّ ما سوى الله قابل لها بلا شك، ومن

عموم رحمته ورحموته نفس الرحمن وإزالة الغضب عنه الذي لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله .

الفتوحات المكية ج٤

وقال:

فالعليُّ لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، سواء كانت محمودة عُرْفاً وعقلاً وشرعاً أو مذمومة عُرْفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلاَّ لمسمى (الله) خاصة وأمَّا غير مسمى (الله) مما هو مجلىً له أو صورة فيه، فإن كان مجلىً له، فيقع التفاضل، لا بدّ من ذلك بين مجلى ومجلى، وإن كان صورة فيه فتلك الصورة عين الكمال الذاتي لأنّها عين ما ظهرت فيه، فالذي لمسمى (الله) هو الذي لتلك الصورة ولا يقال: هي هُوْ، ولا هي غيره.

وقد أشار أبو القاسم بن قسي في خلعه إلى هذا بقوله: إنَّ كلّ اسم إلهي يتسمّى بجميع الأسماء الإلهية وينعت بها، وذلك هناك أنَّ كلّ اسم يدل على الذات وعلى المعنى الذي سِيق له ويطلبه، فمن حيث دلالته على الذات له جميع الأسماء، ومن حيث دلالته على المعنى الذي ينفرد به يتميز عن غيره كالرب، والخالق، والمصور، إلى غير ذلك، فالاسم عين المسمّى من حيث الذات، والاسم غير المسمّى من حيث ما يختص به من المعنى الذي سِيق له.

فإذا فهمت أنَّ العليَّ ما ذكرناه علمت أنَّه ليس علوَّ المكان ولا علوَّ المكانة، فإنَّ علوَّ المكانة يختص بولاة الأمر كالسلطان والحكام والوزراء والقضاة وكل ذي منصب " سواء كانت فيه أهلية ذلك المنصب أو لم تكن " والعلوَّ بالصفات ليس كذلك، فإنَّه قد يكون أعلم الناس يتحكم فيه من له منصب التحكم " وإن كان أجهل الناس " فهذا عليٌّ بالمكانة بحكم التبع ما هو عليٌّ بنفسه، فإذا عُزِلَ زالت رفعته والعالِم ليس كذلك .

فصوص الحكم لابن عربي

وقال الجيلي:

عن اسم الله: اعلم أنَّ الحق سبحانه وتعالى جعل هذا الاسم هيولى كمال صور المعاني الإلهية، وقد اختلف العلماء في هذا الاسم فمن قائل يقول: إنَّه جامد غير مشتق، وهو مذهبنا لتسمي الحق به قبل خلق المشتق منه، ومن القائل: أنَّه مشتق من أله يأله إذا عشق، بمعنى تعشق الكون لعبوديته بالخاصية في الجري على إرادته والذلة لعزة عظمته، فالكون به من حيث هو هو لا يستطيع مدافعة لذلك، لما نزل ماهية وجوده عليه من التعشيق لعبودية الحق سبحانه وتعالى كما يتعشق الحديد بالمغناطيس تعشقاً ذاتياً وهذا التعشق من الكون بعبوديته هو تسبيحه الذي لا يفهمه كل، وله تسبيح ثانٍ وهو قبوله لظهور الحق فيه، وتسبيح ثالث وهو ظهوره في الحق باسم الخلق، وتسبيحات الكون كثيرة لله تعالى، فلها بنسبة كل اسم لله تسبيح خاص يليق به بذلك الاسم الإلهي، فهي

تسبيح لله تعالى باللسان الواحد في الآن الواحد بجميع تلك التسبيحات الكثيرة والمتعددة التي لا يبلغها الإحصاء، وكل فرد من أفراد الوجود بهذه الحالة مع الله، فاستدل من قال بأنَّ هذا الاسم مشتق بقولهم إله ومألوه ،فلو كان جامداً لما تصرف، ثمَّ قالوا إنَّ هذا الاسم لما كان أصله أله ووضع للمعبود دخله لام التعريف فصار الإله ،فحذف الألف الأوسط منه لكثرة الاستعمال فصار الله، وفي هذا الاسم لعلماء العربية كلام كثير .

وإنَّ هذا الاسم الذاتي الجامع لسائر الأسماء والصفات، إنَّما هو للتعلق لا للتخلق، وسببه أنَّ التخلق إنَّما يكون بأسماء الصفات، وهذا الاسم اسم للذات، لكنه غير مقيد بالإشارة إلى الذات فقط، وله ثلاثة أطوار:

١- طوراً يطلق هذا الاسم على صرافة الذات .

٢- طوراً يطلق على المرتبة من حيث تجلي الذات في الألوهية .

٣- طوراً يطلق على اسم مخصوص كائن ما كان الاسم من أسماء الله لوجود قرينة ما من القرائن .

- واعلم أنَّ هذا الاسم هو محتدٌ ظاهره رسوله نبينا محمّد(ﷺوآلهِ) والدليل عليه قوله سبحانه: (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا** (١))(الإسراء) فأضاف روح محمّد (ﷺوآلهِ) إلى الهاء التي هي الهوية فيعلم من ذلك أنَّ اسمه (هو) محتد باطنه (ﷺوآلهِ) واسمه (الله) محتد ظاهره (ﷺوآلهِ) لما قد تقرر أنّ اسم الألوهة مظهر

اسم الهوية، ولأجل هذا المعنى قال تعالى: (**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** (٨٠))(النساء) وقال الله تعالى: (**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**(١٧)) (الأنفال) وقال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** (١٠))(الفتح) ولم يقل في شيء منها اسم آخر، بل جعل هذا الاسم عين محمّد في سائر ما أخبر به من حقيقة هذا التوحيد المحمّدي فجعل ظاهر محمّد (ﷺوآلهِ) نائباً مناب اسم الله تعالى، لأنّ المتعين بحقائق الأسماء قبله هو البحر المحيط المعَبر عنه بالهوية، وإلى هذا البحر مرجع جميع الأسماء والصفات، وإلى هذا المعنى الإشارة في قوله تعالى له (ﷺوآلهِ): (**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى** (٤٢))(النجم) .

- وقال أمَّا اسم الرحمن:

فهو علم على الوجود المطلق، الذي لا تنحصر موجوديته بشيء من الموجودات دون غيره، فهو عبارة عن زي الوجود الساري في الموجودات، بحكم الواحدية الظاهرة في الكثرات، من غير تقييد لمرتبة، أو حمية، أو نسبة، أو اعتبار، وهذه الصيغة للمبالغة، لأنَّ الزيادة في الاسم دالة على الزيادة في الاتصاف بمعنى ذلك الاسم، ولأجل هذا امتنع أن يسمَّى أحد من المخلوقات بهذا الاسم، ولم يمتنع أن يسمى أحد بالرحيم، لأنَّ كمال الرحمة ليست إلاّ لله تعالى، والألف والنون لكمال الاتصاف بالرحمة فكان هذا الاسم من خصوصيات الحق تعالى .

- واعلم أنَّ هذا الاسم من أسماء المرتبة، وهو في مدلوله يختص بالأسماء الكمالية والمظاهر الأعلوية، وهذا الفرق بين اسمه "الرحمن" واسمه "الله" لأنَّ اسمه الله يظهر لكلتا مرتبتي الوجود، من العلو والسفل، والحقّية والخلقية.

- واسمه الرحمن إنَّما يظهر بالمرتبة الكمالية الحقية ليس إلاَّ ويجتمعان في وقوعهما على الذات إطلاقاً من حيث إنَّ هذا الاسم عبارة عن زي الوجود الساري فلا يتقيد كما تقرر الموجود دون غيره .

- واسمه الله عبارة عن الذات المطلقة من غير تقييد بصفة دون أخرى فاجتمعا في الإطلاق وافترقا في كون وقوع الاسم "الله" على الذات، ووقوع الاسم "الرحمن" على وجود الذات.

- وقوله تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** (١١٠)﴾(الإسراء)، يعني: أنَّ هذين الاسمين كل واحد منهما يجمع الأسماء الحسنى وينفرد بعد ذلك اسمه "الله" يجمعه ما عدا الأسماء الحسنى.

- ويُعلم الفرق بين اسمه "الله" واسمه "الرحمن" من قوله تعالى: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا** (٦٣)﴾(الفرقان) إلى آخر الآية .

- وهؤلاء هم الأبرار الذين قال عنهم: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)**﴾ (الإنسان).

فجعل الله منهل عباد الرحمن ممزوجاً من شراب يشربه عباد الله صرفاً، لأنَّ اسمه "الله" عبارة عن الذات الصرف، واسمه "الرحمن" عبارة عن وجود الذات، والوجود صفة للذات فكون المزج للرحمانية والصرافة للألوهة .

– واعلم أنَّ الرحمن اسم صفة، بل كل الأسماء أسماء صفات له تعالى، فمنها ما هو صفة للذات، ومنها ما هو صفة للألوهة، ومنها ما هو صفة للأفعال، وإذا عرفت أنَّ لكلّ صفة من صفاته اسماً، فاعلم أنَّ لكلّ اسم من أسمائه صفة، فاسمه "الله" له صفة الألوهة، واسمه "الرحمن" له صفة الرحمانية، لأنَّه هو، وأسماؤه وصفاته واعتبار الرحمة في ذلك "هو"، لأنَّه سبحانه وتعالى رحم أسماءه وصفاته بإظهار آثارها ورحم آثارها التي هي على أعيان الأشياء بإيجادها ،فعمَّت رحمته الرحمانية جميع الوجود الحقّي والخلقي من جهة المرتبة الرحمانية ،فبها ظهرت الأسماء والصفات وبها ظهرت المخلوقات .

– أمَّا اسمه الرحيم:

فاعلم إنَّ هذا الاسم اسم صفة، وصفة هذا الاسم هي الرحمة المحض، والفرق بين اسم الرحمة الصادرة عن اسمه "الرحمن"، وبين الرحمة الصادرة عن اسمه "الرحيم" أنَّ رحمة اسمه "الرحمن" لا تمتنع أن يشوبها كدر نقمة، ورحمة اسمه "الرحيم" لا يمازجها كدر بوجه من الوجوه .

والرحمة الصادرة عن اسمه "الرحمن" مثل وجود النعيم الدنياوي فإنّه لا بُدَّ أن تشوبها أكدار الفناء، أو تمازجها في الوقت أكدار التعب في تحصيل ذلك النعيم، والرحمة الصادرة عن اسمه "الرحيم" هي مثل نعيم الجنّة فلا تشوب تلك النعم نقمة أبداً وإلى هذه الرحمة المحض أشار عليه السلام بقوله: (إنَّ لله مائة رحمة ادّخر لكم منها تسع وتسعين رحمة إلى يوم القيامة وبثَّ في الوجود رحمة واحدة فيها تتواصلون وبها تتراحمون).*[١٠٣] فالتسعة والتسعون هي رحمة اسمه "الرحيم"، الذي لا يشوبه كدر والواحدة هي رحمة اسمه "الرحمن".

– واعلم أنَّ الرحمة صفة ذاتية لله ولهذا انسحب حكم الرحيم من أول الوجود إلى آخره فكان إيجاد العالم رحمة بهم لأنّه أوجدهم منه وفيه إذ كانوا موجودين له في علمه فكانت بداية العالم منه رحمة بهم لقوله تعالى: (**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ** (١٣))(الجَاثِيَة) وآل أمرهم إلى الله في الآخر، كما قال تعالى: (**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى**(٤٢))(النجم).

وهذه أيضاً رحمة بهم فعمت الرحمة جميع الوجود أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، بخلاف الغضب فإنّه كما سبق بيانه صفة للعدل، والعدل من صفات الفعل .

الكمالات الإلهية في الصفات المحمّدية للجيلي

الإنسان الكامل للجيلي

---

[١٠٣] ـ صحيح البخاري

- وقال أيضاً:

اعلم أنَّ الرحمن عَلَمٌ على ذات المرتبة العلية من الوجود بشرط الشمول للكمال المستوعب الذي لا نقص فيه من غير نظر إلى الخلق، واسمه تعالى الله علم على ذات واجب الوجود لكن بشرط الشمول للكمال الحقي، والعموم لوصف الخلقي، فالله عام والرحمن خاص ،أعني اسمه الرحمن مختصر بالكمالات الإلهية، واسمه الله شامل للحق والخلق، ومتى تخصص الرحمن بكمال من الكمالات انتقل معناه من محله إلى اسم لائق بذلك الكمال، كاسمه الرب والملك، وأمثال ذلك، فإنَّ كلاً من هذه الأسماء ينحصر معناه على ما يعطيه وصفه من المرتبة، بخلاف اسمه الرحمن فإنَّ مفهوم معناه ذو الكمال المستوعب لجميع الكمالات، فهو صفة جامعة لجميع الصفات الإلهية .

- واعلم أنَّ اسمه الرحمن على وزن فعلان، وهو يكون في اللغة لقوة اتصاف المتصف به وظهوره عليه، ولذا وسعت رحمته كلّ شيء حتى آل أمر أهل النار إلى الرحمة، واعلم أنَّ هذا الاسم تحته جميع الأسماء الإلهية النفسية وهي سبعة: (الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام). فأحرفه سبعة، الألف وهي الحياة، ألا ترى إلى سريان حياة الله في جميع الأشياء، فكانت قائمة به، وكذا الألف سار بنفسه في جميع الأحرف حتى أنَّ ما ثمَّ حرف إلاَّ والألف موجودة فيه لفظاً وكتابة، فالباء منه ألف مبسوطة، والجيم ألف معوجة الطرفين، وكذلك البواقي، وأمَّا لفظاً فإنَّ الحرف إذا بسطته وجدت الألف من بسائطه،

أو من بسائط بسائطه ولا سبيل إلى أن تفقده ،فالباء مثلاً إذا بسطته قلت باء فظهرت الألف ،والجيم مثلاً إذا بسطته قلت جيم ياء ميم والياء توجد فيها الألف، والميم كذلك وجميع الأحرف على هذا المثال، فكان حرف الألف مظهر الحياة الرحمانية السارية في الموجودات، واللام مظهر العلم، فمحل قائمة اللام علمه بنفسه ومحل تعريفه علمه بالمخلوقات، والراء مظهر القدرة المبرزة من كون العدم إلى ظهور الوجود، فترى ما كان يعلم، وتوجد ما كان يعدم، والحاء مظهر الإرادة ومحلها غيب الغيب، ألا ترى إلى حرف الحاء كيف هو من آخر الحلق إلى ما يلي الصدر، والإرادة كذلك مجهولة في نفس الله فلا يعلم ولا يدري ماذا يريد فيقضي به، فالإرادة غيب محض، والميم مظهر السمع، ألا تراه شفوياً من ظاهر الفم إذ لا يسمع إلاَّ ما يقال، وما قيل فهو ظاهر سواء كان القول لفظياً أو حالياً، فدائرة رأس الميم المشابهة لها الهوية محل سماعه كلامه، لأنَّ الدائرة يعود آخرها إلى المحل الذي ابتدأت منه، وكلامه فمنه ابتدئ وإليه يعود، وأمَّا تعريفه الميم فمحل سماعه لكلام الموجودات حالياً كان أو مقاليَّاً، وأمَّا الألف التي بين الميم والنون فمظهر البصر وله من الأعداد الواحد وهو إشارة إلى أنَّ الحق سبحانه وتعالى لا يُرى إلاَّ بذاته، وكان الألف مسقطاً في الكتابة ومثبتاً في اللفظ، فسقوطه إشارة إلى أنَّ الحق سبحانه وتعالى لا يرى المخلوقات إلاَّ من نفسه فليست بغير له، وإثباته في اللفظ، فإشارة إلى تمييز الحق بذاته في ذاته عن المخلوقات، وتقدسه وتعاليه عن أوصافهم وما هم عليه من الذلة والنقص، وأمَّا

النون فهو مظهر لكلامه سبحانه وتعالى قال الله تعالى: (**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)**)(القلم) وكناية عن اللوح المحفوظ، فهو كتاب الله الذي قال فيه: (**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ(٣٨)**)(الأنعام) وكتابه كلامه .

واعلم أنَّ النون عبارة عن انتقاش صور المخلوقات بأحوالها وأوصافها كما هي عليه جملة واحدة، وذلك الانتقاش هو عبارة عن كلمة الله تعالى لها (كن) فهي تكون، على حسب ما جرى به القلم في اللوح الذي هو مظهر لكلمة الحضرة، لأنَّ كل ما يصدر من لفظة (كن) فهو تحت حيطة اللوح المحفوظ ،فلهذا قلنا إنَّ النون مظهر كلام الله تعالى، واعلم أنَّ النقطة التي فوق النون هي إشارة إلى ذات الله تعالى الظاهرة بصور المخلوقات، فأول ما يظهر من المخلوقات ذاته ثمَّ يظهر المخلوق لأنَّ نون ذاته أعلى وأظهر من نون المخلوق، وقد قال رسول الله (ﷺوآلهِ): (الصدقة أول ما تقع في كفِّ الرحمن ثمَّ تقع في كف السائل).*[١٠٤] وكيف الحال وقد قال الصديق الأكبر رضي الله عنه: ما رأيت شيئاً إلاَّ ورأيت الله قبله، فإذا علمت أنَّ النقطة إشارة إلى ذات الله تعالى فاعلم أنَّ دائرة النون إشارة إلى المخلوقات .

– واعلم أنَّ الرحيم والرحمن اسمان مشتقان من الرحمة، ولكنَّ الرحمن أعمَّ والرحيم أخصّ وأتم، فعموم الرحمن لظهور رحمته في سائر الموجودات، وخصوص الرحيم لاختصاص أهل السعادات به، فرحمة الرحمن ممتزجة بالنقمة، مثلاً

[١٠٤] - إتحاف السادة المتقين

كشرب الدواء الكريه والطعم والرائحة، فإنَّه ولو كان رحمة بالمريض فإنَّ فيه ما لا يلائم الطبع، ورحمة الرحيم لا يمازجها شوب، فهي محض النعمة ولا توجد إلاَّ عند أهل السعادات الكاملة، ومن الرحمة التي تحت اسم الرحيم رحمة الله تعالى لصفاته وأسمائه بظهور آثارها ومؤثراتها، فالرحيم في الرحمن كالعين في هيكل الإنسان أحدهما الأعزّ الأخصّ الرفيع، والآخر الشامل للجميع، ولهذا قيل: إنَّ الرحيم لا تظهر رحمته بكمالها إلاَّ في الآخرة لأنَّها أوسع من الدنيا ولأنَّ كل نعيم في الدنيا لا بدَّ أن يشوبه كدر، فهو من المجالي الرحمانية .

والرب اسم لمرتبة تحتها نوعا الأسماء المشتركة والمختصة بالخلق، والفرق بين الرب والرحمن أنَّ الرحمن اسم لمرتبة اختصت بجميع الأوصاف العلية الإلهية، سواء انفردت الذات بها كالعظيم والفرد، أو حصل الاشتراك كالعظيم والبصير، أو اختصت بالخلوقات كالخالق والرازق، والفرق بين اسمه الرحمن واسمه الله أنَّ الله اسم لمرتبة ذاتية جامعة لحقائق الموجودات علوّها وسفلها فدخل اسم الرحمن تحت حيطة اسمه الله، ودخل اسم الرب تحت حيطة اسمه الرحمن، ودخل اسم الملك تحت حيطة اسم الرب فكانت الربوبية عرشاً: أي مظهراً ظهر فيها، وبها نظر الرحمن إلى الموجودات، ومن هذه المرتبة صحت النسبة بين الله تعالى وبين عباده، ألا ترى إلى قوله (ﷺوآلهِ): (إنَّه وجد الرحم أخذٌ من حقو الرحمن).*[١٠٥] والحقو: محل الوسط لأنَّ الربوبية لها وسط الرحمانية، إذ الرحمانية

[١٠٥] - مسند أحمد بن حنبل .

جامعة لما ينفرد به الحق ولما يشاركه فيه الخلق، وبما يختصّ بالمخلوقات، فكانت الأسماء المشتركة وسطاً أي هي محل الربوبية، فتعلق الرحم لحقو الرحمن للصلة التي بين الرب والمربوب، إذ لا ربَّ إلاَّ وله مربوب، وكانت النسبة في هذه المرتبة لازمة بين الله تعالى وبين العباد، فانظر لهذا التعلق بهذا الحقو، وافهم سرَّ هذا التعلق، فإنَّه سبحانه وتعالى منزّه عن أن يتصل به منفصل عنه، أو ينفصل عنه متصل به، فلم يبق بعد ذلك إلاَّ تنوعات تجلياته فيما يسميه حقاً أو نكنيه بمخلوقاته .

– واعلم أنَّ الرحيم أخصّ من اسمه الرحمن، والرحمن أعمّ منه فالرحمة التي وسعت كلّ شيء هي فيض اسمه الرحمن، والرحمة المكتوبة للذين يتقون ويؤتون الزكاة هي من فيض اسمه الرحيم، والأصل في ذلك أن رحمة الاسم الرحمن قد يشوبها نقمة كتأديب الولد مثلاً بالضرب رحمة به، وكشرب الدواء الكريه الطعم فإنَّه وإن كان رحمة فقد مازجته نقمة، والرحمن يعم كلّ رحمة كانت وكيف كانت، سواء مازجتها نقمة أم لم تمازجها، بخلاف اسمه الرحيم فإنَّه يختص بكل رحمة محضة لا يشوبها نقمة، ولهذا كان ظهور اسمه الرحيم في الآخرة أشدّ لأنّ نعيم الجنة لا يمازجه كدر النقمة، فهو من محض اسمه الرحيم، ألا ترى إليه (ﷺوآلهِ) لما كره أن تكون أمته بالنار في قوله: (شفاء أمتي في ثلاث في آية من كتاب الله، أو لعقة من عسل، أو كية من نار، ولا أحبُ أن تكون أمتي بالنار).*[١٠٦] كيف سمّاه

[١٠٦] - رواه البخاري .

الحق بالرحيم فقال: (**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)**)(التوبة) لأنَّ رحمته ما مازجها كدر النقمة وكان رحمة للعالمين.

- واعلم أنَّ الوجود والعدم متقابلان وفلك الألوهية محيط بهما، لأنَّ الألوهية محيط تجمع الضدين من القديم والحديث والحق والخلق والوجود والعدم، فيظهر فيها الواجب مستحيلاً بعد ظهوره واجباً ويظهر فيها المستحيل واجباً بعد ظهوره فيها مستحيلاً، ويظهر الحق فيها بصورة الخلق مثل قوله: (رأيت ربي في صورة شاب أمرد).*[١٠٧] ويظهر الخلق بصورة الحق مثل قوله: (خلق آدم على صورته).*[١٠٨] وعلى هذا التضاد فإنَّها تعطي كلّ شيء مما شملته من هذه الحقائق، فظهور الحق في الألوهية على أكمل مرتبة وأعلاها وأفضل المظاهر وأسماها، وظهور الخلق في الألوهية على ما يستحقه الممكن من تنوعاته وتغيراته وانعدامه ووجوده، وظهور الوجود في الألوهية على كمال ما تستحقه مراتبه من جميع الحق والخلق وأفراد كل منهما، وظهور العدم في الألوهية على بطونه وصرافته وانمحاقه في الوجه الأكمل غير موجود في فنائه المحض، وهذا لا يُعرف بطريق العقل ولا يدرك بالفكر، ولكنه من حصل في هذا الكشف الإلهي عَلِمَ هذا الذوق المحض من هذا التجلي العام المعروف بالتجلي الإلهي، وهو موضع حيرة الكمّل من أهل الله تعالى، وإلى سرّ هذه الألوهية أشار (ﷺوآلهِ) بقوله:

---

[١٠٧] ـ كنز العمال .

[١٠٨] ـ صحيح مسلم .

(أنا أعرفكم بالله وأشدكم خوفاً منه).*[١٠٩] فما خاف (ﷺوآلهِ) من الرب ولا من الرحمن، وإنما خاف من الله ،وإليه الإشارة بقوله: ﴿ **وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ(٩)**﴾(الأحقاف). على أنَّه أعرف الموجودات بالله تعالى .

الإنسان الكامل للجيلي

– وقال عن اسمه الشهيد: هو الذي تعين بالمظاهر الشهادية، وشهد تعيّن نفسه بنفسه، فهو الشاهد والمشهود، وهو الشهادة، ولأجل ذلك كان صيغة فعيل تأتي للفاعل والمفعول، فيصح في اللغة أن يطلق الشهيد على الشاهد، ويصح أن يطلق الشهيد على المشهود فهو جميع الوجود شاهده ومشهوده .

إلى ذلك أشار عيسى عليه السلام بقوله: ﴿ **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(١١٧)**﴾(المائدة).

إشارة إلى أنَّه عينه، يعني لما كنت ظاهراً كنت شاهداً عليهم وأنت المشهود، فلمَّا بطنت فيك وظهرت أنت، كنت أنت الشاهد وأنا المشهود، وهذا الاسم من أسماء الأفعال، وصفته الشهادة، وهي عبارة عن الظهور الإلهي بجميع المظاهر حقيَّه كانت أو خلقية مع قبول جميع النسب، والإضافات والشؤون التي تلحق بأوصاف الخلق، وأوصاف الحق .

– فالشهادة التعيين والظهور.

---

[١٠٩] ـ كشف الخفاء للعجلوني

- والغيب هو الاستتار والبطون.

- وأمَّا اسمه العلي:

فهو الذي لم يشاركه في علو المكانة غيره .

وعلوّ المكانة: عبارة عن المعاني الكمالية التي اقتضتها الصفات الإلهية لذات واجب الوجود من حيث المرتبة، لأنَّ الربوبية من حيث هي هي لها علو المرتبة في الحكم على العبودية من حيث هي هي لا من حيث التعيين والظهور فيها، لأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الظاهر فيما سمَّاه عبداً، كما أنَّه الظاهر فيما سمَّاه ربَّاً، فعلو المكانة من هذين المرتبتين ملحقة بالربوبية من حيث هي هي لا من حيث الظاهر فيها، وسفل المكانة ملحقة بالعبودية من حيث هي هي لا من حيث الظاهر فيها لأنَّ الظاهر في المرتبتين واحد، فالعلو والسفل من أحكام المراتب لا من ذاتياته.

- وأمَّا اسمه الولي:

فهو المتولي أمر الوجود بذاته، المتجلّي في ذلك بأسمائه وصفاته، فكل ما عليه الكون من الظهور والبطون، والتبديل والتغيير، والتحويل والنقص والكمال والإيجاد والإعدام والتقدم والتأخير والحدوث، وغير ذلك مما هو للوجود بأسره، فالله سبحانه وتعالى متولي أمر ذلك، وجميعه راجع إليه صورة ومعنى، وجوداً وحكماً، وهذا الاسم يستحقه الإنسان الكامل إذا كان الإنسان متولياً لله بذاته

وصفاته لذاته ولصفاته، وكان التولي الإلهي للعالم الكوني راجعاً إليه كما هو راجع إلى الله تعالى فيكون الولي هو (الله) تعالى، قال الله عزَّ وجل: ﴿ **فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ**(٩)﴾(الشورى)، وقال: ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٦٢)﴾(يونس). فالله ولي العالم، والإنسان الكامل ولي الله. وهذا الاسم من أسماء الصفات، وصفته: الولاية. وهي عبارة عن مرتبة التصرف الكمالي في الوجود من غير مانع ولا عجز ولا نيابة، بل تصرف المالك في ملكه، وذلك هو مقام القطب الأكبر الغوث الجامع (رضي الله عنه).

الكمالات الإلهية في الصفات المحمّدية للجيلي

الإنسان الكامل للجيلي

- وقال الكاشاني:

إنّ الاسم ما يدل على المسمّى ويكون علامة لفهمه، فمنه ما يعتبر فيه صفة تكون في المسمّى، وبذلك الاعتبار يطلق عليه ومنه ما لا يعتبر فيه ذلك، فالأول على الذات الموصوفة بصفةٍ معينة كلفظة الرحمن فإنَّه يدل على ذات متصفة بالرحمة، ولفظ القهار فإنَّه يدل على ذات لها القهر...إلخ، وقد يطلق الاسم بهذا المعنى على مظاهر صفة الذات باعتبار اتصافه بالصفة كالنبي الذي هو مظهر هداية الله سبحانه فإنَّه اسم الله الهادي لعباده والأسماء الملفوظة بهذا الاعتبار هي أسماء الأسماء.

وسئل الإمام الرضا (عليه السلام) عن الاسم ما هو ؟ قال: صفة لموصوف وهذا اللفظ يحتمل المعنيين اللفظ والمظهر وإن كان المظهر أظهر، وقد يطلق الاسم على ما يفهم من اللفظ أي المعنى الذهني، وعليه ورد قول الإمام الصادق (عليه السلام): (مَنْ عَبَدَ الله بالتوهم فقد كفر، ومن عَبد الاسم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاتها التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك هم المؤمنون حقاً).*[110] فإنَّ المراد بالاسم ها هنا ما يفهم من اللفظ لا الفظ فإنَّ اللفظ لا يعبد، وبالمعنى ما يصدق عليه اللفظ فالاسم معنى ذهني والمعنى موجود عيني وهو المسمى والاسم غير المسمى لأنَّ الإنسان مثلاً في الذهن ليس بإنسان ولا له جسمية ولا حياة ولا حس ولا حركة ولا نطق ولا شيء من خواص الإنسانية .

– واعلم أنَّ لكلّ اسم من أسماء الله الإلهية مظهراً من الموجودات على الله من جهة اتصافه بتلك الصفة وذلك لأنَّ الله سبحانه إنَّما يخلق ويدبر كلّ نوع من أنواع الخلائق باسم من أسمائه وذلك الاسم هو رب ذلك النوع، والله سبحانه رب الأرباب، وإلى هذا أشير في كلام أهل البيت (عليهم السلام) في أدعيتهم بقولهم وبالاسم الذي خلقت به العرش وبالاسم الذي خلقت به الكرسي وبالاسم الذي خلقت به الأرواح إلى غير ذلك .

[110] - الكافي للكليني .

– وعن مولانا الصادق (عليه السلام) قال: (نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاَّ بمعرفتنا).*[111]

وذلك لأنَّهم (عليهم السلام) وسائل معرفة ذاته ووسائط ظهور صفاته وأرباب أنواع مخلوقاته ولا يحصل لأحد العلم بالأسماء كلّها إلاَّ إذا كان مظهراً لها كلّها ولا يكون مظهراً لها كلّها إلاَّ إذا كان في جبلته استعداد قبول ذلك كلّه وهو ما ذكرناه .

تفسير الصافي ج١ للكاشاني

– وجاء في الإعجاز القرآني لعباس أمير:

اعلم أنَّ الكلمة القرآنية لها وجهتين:

١– وجهة إلهية وهي وجهة المنزل المبين .

٢– ووجهة بشرية وهي وجهة المنزل إليه أو المتبين والمادة هي البيان .

– قال تعالى: (**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ(١٨٠)**)(الأعراف).وقال: (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى(١١٠)**)(الإسراء).

– فالرحمن توسط بين اسم الذات والأسماء، وهو موئل الأسماء جميعاً من حيث هو وجهها وجهتها، كائن فيها وبها، ولهذا كان الرحمن أول الظهور البياني لبلاغة

[111] - الكافي للكليني .

القرء والقرن في أول أية من آيات القرء والقرن " آية البسملة " التي جمعت علم القرآن كله .

إذا تذكرنا إنَّ لبيان الأسماء ظهورين، ظهور لساني في الكتاب العزيز وظهور شيء في الآفاق والأنفس، خلصنا إلى تبين الحكمة التي جعلت من كلمة رحمن في القرآن ساكنة الحاء، أي على وزن فعلان، فيما هي لدى المبّينين معدول بها عن " فعلان" بفتح العين ، فصيغة "فَعَلان " بفتح العين هي تبين أو تكون الحركة الكونية المتوالدة للأشياء بعد سكونها وجمعها الجامع .أمَّا صيغة " فَعْلان " بسكون العين فهي الأصل الرحمّي، فالرحمن هي الأصل بالنسبة للأسماء، وتبيانها، وهي ساكنة الحاء (رحْمن) يعني أصالتها وأوليتها فهي تبيان جهة الكن. بينما المتحركة الحاء " رحَمن " هي تبيان جهة التكوين "فيكون" فالرحمن يستبطن الأسماء جميعاً، والأسماء جميعاً ظهوراته، على أنَّ تلك الظهورات ظهوران، ظهور بياني حدَّته السنة النبوية بتسعة وتسعين اسماً، وظهور جهادي تبييني منتفع برحمانية .

ورد في الحديث القدسي (أنا الله، أنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته).*[١١٢] فالرحم إذن مشتق من الرحمن من جهة الاسم أي من جهة الكلمة القرآنية، فالرحمن أصل والرحم

[١١٢] ـ الأحاديث القدسية . صحيح الترمذي.

مشتق من الأصل اسماً، ومخلوق بالاشتقاق من جهة تشيؤا الدال أو الكلمة، ووصل الرحم عَود بالمترتب إلى الأصل .

– إنَّ دلالة الرحمن ودلالة الرحم كليْهما من حيث الأصل تلتقيان وتنبثقان من الرقة والشفقة والعطف، فإذا علمنا أنَّ الرحم هو مستودع الجنين في أحشاء الحبلى، وأنَّ الرحمَّية جامع الأجنة وأصل القرب والقرابات، انتهينا إلى أنَّ الرحمن مستودع الأسماء " بلا شيئية "والتي للخلق انتفاع وجود وديمومة بها. فالرحمن أُم الصفات وهو جامع علم الأسماء وأصل حقيقتها ومعانيها وهذا ما يتعالق تبينه مع تبيان قوله تعالى: (**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا**(٧))(غافر) جاء في الحديث القدسي (إنَّ رحمتي سبقت غضبي).[١١٣] لقد جاءت " الرحمن "على وزن" فعلان " بسكون العين وصيغة (فعَلان) بتحريك العين وسكونها، صيغة صرفية دالة في العربية على كل ما من شأنه اشتداد الحركة واضطرابها، كأن نقول– غَلَيان هَيَجَا، فَيَضَان،...إلخ .

وهذا يعني أنَّ ثمَّة حدثاً ومحدثاً بكسر الدال، مُضمران في صيغة فعلان على أنَّ المحدِث غير المحدَث وأنَّ المحدِث قوي القوة التي تجعل الشيء يضطرب ويشتد وينضم وينجمع، ثمَّ ينفرق ويبتعد بشكل مستمر وبتوالي حدوث حركي فالحدث إذن في أقصى درجات اشتداده، ولقد جاءت "الرحمن" على تلك الصيغة،

---

[١١٣] ـ تفسير الدر المنثور للسيوطي.

فالصيغة إذن تبيان لأولية الحركة والاضطراب والاشتداد في الحركة بعد سكونها جذباً ثمَّ طرداً أو جمعاً ثمَّ فرقاً قرئاً ثمَّ طلقاً .

الإعجاز القرآني لعباس أمير

وقال الجنابزي في اسم الله واسم الرحمن والرحيم:

– اعلم إنَّ اللهَ علم للذات بعنوان مقام ظهوره الذي هو فعله ومشيئته فإنَّ الذات غيب مطلق لا اسم له ولا رسم له، وإنَّ الأسماء والصفات ليست له إلاَّ باعتبار ظهوره بفعله ومشيئته، ومشيئته لها اعتباران، اعتبار وجهها إلى مقام الغيب، واعتبار وجهها إلى الخلق، وتسمى باعتبار وجهها إلى الغيب عرشاً، وباعتبار وجهها على الخلق كرسياً، وبهذين العنوانين يسمّى الحق الأول بالله وبالعلي وباعتبار هذين العنوانين قال تعالى: (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)**) (طه) وقال: (**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)**)(البقرة)، وهل هو مشتق أو جامد بمعنى أنَّه من الأوصاف المشتقة من المصادر أو ليس اسماً مشتقاً بل هو مصدر أو اسم مصدر أو اسم ليس له مادة متصرفة، ففيه أقوال، فقيل إنَّه من مادة أله ألهه وألوهة . مثل نصر بمعنى عبد وأصله إِله بكسر الهمزة، حذف الهمزة وعوّض عنها لام التعريف ولذلك، أو لمطلوبية التطويل والتفخيم في نداء المحبوب لم يحذف ألفه في النداء، أو من أله كفرح بمعنى تحيرا واشتد جزعه عليه أو فزع إليه ولاذ به أو بمعنى أجاره، وقيل من مادة وله من باب حسب وعلم وضرب بمعنى حزن وتحير وخاف وجزع، أو من

مادة لاه الله الخلق يلوه بمعنى خلقهم أو من لاه يليه بمعنى تستر وعلا، وقيل أصله لاها بالسريانية فعُرِّب بحذف الألف الأخيرة ودخل لام التعريف عليه، وقيل كان أصله هو لأنَّه موضوع لغائب معهود معروف والغائب عن الأبصار مطلقاً والمعهود المعروف للقلوب على الإطلاق هو الله ثم أدخل عليه لام الاختصاص للإشعار باختصاص كل ما سواه به، ثم أشبع فتحة اللام تفخيماً ثم أدخل لام التعريف عليه لتفخيم آخر فصار الله .

. والرحمن الرحيم: صفتان لله أو للاسم فإنَّ أسماء الله العينية كما أنَّها مظاهر لله مظاهر لجميع صفاته تعالى، وجَعلَهُما صفتين للاسم أولى من جعلهما صفتين لله للزوم التأكيد على الثاني مع ما بعده دون الأول، ولأنّ المنظور الاتسام باسم يكون به قوام الفعل المبتدأ وينتهي الفعل إليه ،وهذا معنى كون الاسم متصفاً بصفة الرحمانية والرحيمية وهما مأخذوتان من رحِم بكسر العين للمبالغة أو من رحُم بضم العين صفتين مشبهتين، وعلى أي تقدير فالرحمن أبلغ من الرحيم لزيادة مبناه ولعدم اختصاص الرحمة الرحمانية بشيء دون الشيء وبحال دون حال وبجهة دون جهة ،بخلاف الرحمة الرحيمية فإنَّها مختصة بالإنسان ومن كان مثله سالكاً إلى الرحمن وبحال كونه على رضاه ومن جهة كونه رضاه، وأمَّا غير الإنسان فإنَّ العناصر والمواليد لا توصف بالرحمة الرحيمية ولا بالغضب الذي هو ضدها، والأرواح العالية وجودهم كما هو رحمة رحمانية رحمة رحيمية ولا تمايز بين الرحمتين فيهم كما لا يتصور جهة غضب فيهم، والأرواح الخبيثة قد يجوز أن

يتصور بالرحمة الرحيمية، لكن الأغلب إنَّهم متصفون بالغضب وذلك إنَّ الرحمة الرحمانية عبارة عن إفاضة الوجود على الأشياء وإبقائها وإكمالها بالكمالات اللائقة بفطرتها، وهذا عام لجميع الأشياء دنيوية كانت أو آخروية أناسى كانت أو غير أناسى، ولذلك قال الرحمن على العرش استوى وفسروه باستواء نسبته إلى الجليل والحقير، وورد: يا رحمن الدنيا والآخرة، وجاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): أنَّ الرحمن اسم خاص لصفة عامة. وجاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام): أنَّ الرحمن الذي يرحم ببسط الرزق علينا أو العطف على خلقه بالرزق لا يقطع عنهم مواد رزقه وإن انقطعوا عن طاعته، ومن المعلوم أنَّ رزق الأعيان الثابتة إفاضة الوجود عليها ورزق الموجود إفاضة ما به بقاء وجوده والرحمة الرحيمية عبارة عن إفاضة الكمالات الاختيارية المرضية على المختارين من الإنس والجن ولذلك ورد أنَّ الرحيم اسم عام لصفة خاصة .

- وقال في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ(٢١)**)(البقرة) صيروا له عبيداً له بالخروج من رقيّة أنفسكم وأهويتها أو افعلوا له فعل العبيد لمواليهم بأن لا يكون حركاتكم إلاَّ من أمره ونهيه أو افعلوا صورة ما جعله الله أفعال عبيده من الأعمال المقررة في الشريعة، والربّ قد يطلق ويراد به ربّ الأرباب أي الواجب الوجود بالذات وهو المعبود على الإطلاق وقد يطلق ويراد به الربّ المضاف وهو علويّة علي (عليه السلام) فإنَّه ظهور الربّ المطلق وعنوانه وما يخبر به عنه فإنَّه تعالى شأنه من غير هذا الظهور والعنوان لا خبر عنه ولا اسم ولا رسم فلا يعبد، وأمَّا

بعد ظهوره بهذا العنوان فهو يدرك ويخبر عنه ويعبد، وهذا العنوان لكونه ظهوراً للربّ المطلق ومضافاً إلى الخلق يسمّى بالربّ المضاف وقد ورد في بيان قوله تعالى: (**وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا** (٥٥))(الفرقان) إنَّ المراد به الربّ المضاف وهو علي (عليه السلام) ولا يبعد أن يراد بالربّ هنا الرب المضاف ولا ينافيه التوصيف بالخالقية لأنّه واسطة خلق الخلق كما ورد خلق الله الأشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها، وعلويّة علي (عليه السلام) هي المشيئة، وإذا أُريَد الربّ المضاف فالمراد بالعبادة عبادة الطاعة، وقد يُطلق الربّ ويراد به ما يسمّونه رباً من الله والأصنام والكواكب والسلاطين (**الَّذِي خَلَقَكُمْ**(٢١))(البقرة) التوصيف لتعليل الأمر لا لتقييد الربّ أو لتقييد الربّ على المعنى الثالث للربّ والتعليل جميعاً.

بيان السعادة للجنابزي

- وقال:

في قوله تعالى: (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**(١١٠))(الإسراء)

اعلم أنَّ القرآن ذو وجوه بحسب التنزيل وذو بطون بحسب التأويل، وإنَّ أسماءه اللفظية عناوين لأسمائه الكونية، وهي مظاهر لأسمائه الحقيقية التي هي مبادئ أسمائه الكونية، وأرباب أنواعها والظاهرة فيها، والأسماء الحقيقية عنوانات لحقيقة الوجود المطلق، كما أنَّ أسماءه الكونية واللفظية والكتبية عنوانات لتلك الحقيقة باعتبار تلك الأسماء الحقيقية، وإنَّ الحق الأول تعالى مسمّى بالله باعتبار انطواء الكثرات فيه، ومسمّى بالرحمن باعتبار إظهاره للكثرات والمراتب والحدود، وإنّ

فعله المعبر عنه بالمشيئة والولاية الكلية مظهر لله باعتبار انطواء الكثرات فيه ومظهر للرحمن باعتبار انبساطه على الكثرات، وتسمّى المشيئة بالاعتبار الأول عرشاً وبالاعتبار الثاني كرسياً ولذلك يعبّر عنها حين الإضافة إلى الكثرات بالكرسي كما قال: (**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**(**٢٥٥**))(البقرة). وحين الإضافة إلى الحق الأول تعالى، بالعرش (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** (**٥**)) (طه). وكون العرش مظهراً لله باعتبار انطواء الكثرات فيه لا ينافي كونه منسوباً إليه الرحمن لأنَّه باعتبار مغايرته له تعالى من جانب الكثرات فإضافته تعالى إليه مثل إضافة الكرسي إلى الكثرات، والحق الأول باعتبار وصف الرحمن مصدر له ومضاف إليه، وكلّ من مراتب الجبروت والملكوت مظهر لله وللرحمن بالاعتبارين المذكورين، والمراتب عاليها مظهر لله من حيث إجمال الكثرات فيه بالنسبة إلى دانيها، ودانيها مظهر للرحمن من حيث التفصيل بالنسبة إلى العالي، ولما كان الإنسان منطوياً فيه جميع الأسماء والمراتب كان من حيث روحه مظهراً لله ومن حيث نفسه مظهراً للرحمن إن لم يَصِرْ بالتنزل مظهراً للشيطان، وهكذا في جملة مراتبه، وخلفاء الله الذين هم أكمل أفراد الإنسان مظاهر لله وللرحمن بالاعتبارين، فالنبي باعتبار ولايته مظهر لله تعالى، ومن حيث نبوته ورسالته مظهر للرحمن، بل النبوة من حيث وجهتها إلى الولاية مظهر لله تعالى، ومن حيث وجهتها إلى الرسالة مظهر للرحمن، وشخص النبي من حيث أخذ الميثاق والبيعة من العباد مظهر لله، وتابعه المعاضد له في تعليم العباد طريق الوصول إليه

والبيعة معه مظهر للرحمن، وهكذا خلفاؤهما المؤذنون منهما في أخذ الميثاق والبيعة من الخلق، ويسمّى النبي وخليفته من تلك الحيثية شيخ الإرشاد، والتابع وخليفته من تلك الحيثية شيخ الدلالة، والعباد المطيعون من حيث نشأتهم في الجذب مظاهر لله ومن حيث حالهم في السلوك مظاهر للرحمن، والدعاء قد يطلق على التسمية ويكون متعدياً إلى مفعولين، وقد يطلق على الذكر ويكون متعدياً إلى مفعول واحد، وقد يطلق على دعوة الغير لإحضاره ومجيئه بنفسه بحيث يكون المدعو بنفسه مطلوباً، وقد يطلق على دعوة الغير في المهمات، والمعنى الأول يقال: دعوت ابني زيداً، وبالثاني يقال: يدعون الله بالليل والنهار، كما يقال: بالثالث والرابع: يدعون الله مطلقاً أو في مهماتهم، ومعنى الآية تنزيلاً سمّوا الله، الله أو الرحمن بحذف المفعول الأول، ووجه إسقاط المفعول إمكان التعميم بين وجوه التنزيل وبطون التأويل وقد نقل في نزوله إنَّه (ﷺوآلهِ) كان في المسجد الحرام وقال: يا الله يا رحمن، فقال المشركون: إنَّه ينهانا عن الإشراك وهو يدعو إلهين فنزلت. ونقل أيضاً إنَّ اليهود قالوا له (ﷺوآلهِ): إنَّك لتكثر ذكر الله ولا تذكر الرحمن وفي التوراة تكرر ذكر الرحمن، فنزلت أو معنى الآية اذكروا لفظ الله، أو اذكروا لفظ الرحمن، أو اذكروا الذات باعتبار جمعه للكمالات، أو باعتبار انبساطه على الكثرات، أو ادعوا الذات بعنوان أوصافه الجلالية أو بعنوان أوصافه الجمالية فإنَّ الله وإن كان إمام الأسماء تماماً لكنّه باعتبار انطواء الكثرات المعتبر في أدلّ على أوصاف الجلال، والرحمن إمام

أوصاف الجمال، ومعنى الآية تأويلاً ادعوا مظهر اسم الله أو مظهر اسم الرحمن لا فرق بينهما في جميع مراتبهما، وادعوا الولي(عليه السلام) أو النبي (صلى الله عليه وآلهِ) وادعوا في مقام الجذب أو في مقام السلوك (**أَيًّا مَا تَدْعُوا**(١١٠))(الإسراء) يؤديكم إليه لأنَّ أسماء الوجود وعنوانات الحق ومظاهر النور لا شركة لغيره فيها (**فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**(١١٠))(الإسراء). لا لغيره بخلاف الأسماء السوء التي هي أسماء العدم وعنوانات الحدود والتعينات ومظاهر الشرور والظلمات، فإنّها لغيره لا له، والله والرحمن ومظاهرهما من الأسماء الحسنى

- وقال في قوله تعالى: (**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**(٩٣))(مريم)

جواب سؤال في موضع التعليل (**إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** (٩٣))(مريم). يعني كلّ مَنْ في السموات والأرض يأتي يوم القيامة أو آتٍ في حال وجودهم عبداً للرحمن خارجاً من أنانيته لا مقابلاً له، وثانياً حتى يسمى ولداً ذكراً أو إناثاً، ولما كان المراد بالعبدية العبدية التكوينية وليس كلّ أفراد الإنسان عبيداً لأسمائه اللطيفة ومظاهرها بل يكون بعضها عبيداً لأسمائه القهرية ومظاهرها في الدنيا والآخرة ،اختار من الأسماء اسم الرحمن الذي هو مجمع أسمائه اللطفية والقهرية .

- وقال في قوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ** (٤٥))(الفرقان). المضاف وهو ربه في الولاية ومدّ الظل منه عبارة عن صورته المثالية التي إذا تمكن القابل للولاية في الاتصال بها يرى سعة إحاطتها وتصرفتها فيما سواها من غير

توقف إلى مضي زمان أو قطع مكان، والنقل من مقام أو ربك المطلق، ومدّ الظل منه عبارة عن سعة مفعولاته وكثرة مقدوراته وانتهاء ذلك الظل إلى الملكوت السفلى وعالم الجنة والشياطين، أو المراد بالظل هو الذي خرج من أنانيته وحيي بحياة الله وبقي ببقاء الله وهم الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) فإنّهم بالنسبة إلى الله كالظل بالنسبة إلى الشاخص من حيث أنّه لا أنانية له من نفسه ولا استقلال ولا بقاء .

- وقال في قوله تعالى: (**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى** (١))(الأعلى). الأعلى صفة للاسم أو لربك، والربّ تطلق على النفس الإنسانية التي تُربي البدن وعلى العقل الذي يربي النفس والبدن، وعلى وليّ الأمر الذي يربي الناس بحسب الظاهر أو الباطن، وهو الربّ في الولاية، وعلى ربّ الأرباب وليس المراد باسم الربّ اسمه اللفظي بل اسمه العيني وأسماؤه العينية ذات مراتب من مراتب اللطيفة الإنسانية ومراتب الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) ومن مراتب العقول والنفوس وسائر الموجودات وأعلى أسمائه الاسم الجامع الذي يعبر عنه بالمشيئة ،وأعلى أربابه المطلق هو ربّ الأرباب، وأعلى أربابه المضاف سائر مراتب أربابه، وقد سبق مكرراً أنَّ المراد بالتسبيح سواء كان متعلقاً بالله أو بالربّ أو باسم الربّ تنزيه اللطيفة الإنسانية عن التدنيس بالأدناس الحيوانية والشيطانية، فإنّها ربٌّ بوجه ومظهر لله فكانت هي الله بوجه، واسماً لله وللربّ بوجه آخر .

بيان السعادة للجنا بزي

. وقال في تفسير الولي:

إنَّ الولي في اصطلاح الأخبار وعند العرفاء بمعنى الأولى بالتصرف كما قال تعالى شأنه: ((**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا(٢٥٧)**))(البقرة) وقال (ﷻ): ((**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ(٦)**))(الأحزاب). وهذا المعنى أيضاً حقيقة مشككة ذات مراتب متفاوتة باختلاف المظاهر الكاملة في كل زمان ويشمل جميع الأنبياء والأولياء الكمّل المطاعين في كل زمان وهم بعد رسول الله محمّد (ﷺوآلهِ) الأئمة المعصومون الاثني عشر (عليهم السلام) والمرتبة العالية من هذه الحقيقة متحدة مع مقام المشيئة والواحدية وتجلّي الأسماء والصفات ومقام الجامعية المسمّى بالله والفيض المقدّس الذي كان محمّد (ﷺوآلهِ) وبعده علي بن أبي طالب (عليهما السلام) مظهراً تاماً ومرآة له، وهذه المرتبة محيطة بما سوى الله فكذا مظهره التام وهو رسول الله (ﷺوآلهِ) وبعده خلفاؤه وأوصياؤه المعصومون.

بيان السعادة للجنابزي

وروي عن أبي يزيد البسطامي*[١١٤] أنَّه قال:

الأسماء كلّها اسم الصفات، والله اسم الذات، والاسم علامة المعنى، والمعنى علامة تُعرف بها الذات، والأسماء علامة تُعرف بها الصفات، والصفات علامة تعرف بها الذات، فمن أقرَّ بالصفات ولم يقر بالذات فليس بمسلم، ومن أقرَّ

---

[١١٤]- هو ابو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي من بلدة بسطام شرقي ايران اول من قال بمذهب الفناء وتأليه الكل .توفي/٢٦١هـ.

بالذات قبل الصفات فيسمّى مسلماً ويجب أن يقرَّ بالصفات، والدليل على ذلك لو أنَّ رجلاً قال: لا إله إلاَّ الرحمن، أو لا إله إلاَّ الرحيم، ثم يأتي على الأسماء كلها لا يكون مسلماً حتى يقول لا إله إلاَّ الله، ومن أقرَّ بهذا الاسم الواحد وهو الله، فالأسماء كلّها داخلة في هذا الاسم، وخارج منها، يخرج من هذا المعنى الاسم معاني الأسماء كلّها، ويدخل في هذا الاسم وجود الأسماء، ولا يحتاج هذا الاسم من اسم سواها، والدليل على ذلك أنَّ الله تعالى تفرد بهذا الاسم دون خلقه وأنَّه شارك خلقه في أسمائه كلها سوى هذا الاسم، ويجوز أن يُسمّى الرجل عالماً ورحيماً وكريماً على معاني هذه الأسماء، ولا يجوز أن يسمّي الرجل (الله) فإنَّه اسمه لا إله إلاَّ الله، وما دعا أحد الله باسم من الأسماء كلها إلاَّ ولنفسه في ذلك نصيب، إلاَّ (الله)، فإنَّ ذلك حظ الله من عبده، ومعنى ذلك أنَّ من طالب ربه برحمته فيقول: يا رحيم، ومن طالب بكرمه فيقول: يا كريم، ومن طالبه بجوده فيقول: يا جواد، فكل اسم تحته معنى يدعوه إلى نصيب الناس من أمر الدين والدنيا إلاَّ (الله)، فإنَّ هذا الاسم يدعوه إلى وحدانية الله تعالى، وليس للنفس في هذا نصيب، ومن أراد من الله عطاءاً يدعو الله بأسماء الصفات، ومن أراد من ذات الله يدعو الله بأسماء الذات .

شطحات الصوفية .د. عبد الرحمن بدوي

- وقال أحمد حيدر: إنَّ الاسم هو ما دلَّ على مسماه سواءً باللفظ الصوتي أم بالكتابة أم بالمفهوم الذهني...الخ.

- والأسماء تختلف بحسب الاعتبارات، فالفيض الأول يسمى العقل لتعقله، كما يسمى بعقل الكل لأنَّه مُمد جميع العوالم الجزئية المفرقة بالمخلوقات، وبالعقل الكلّي لأنَّه هو الكل أي القائم بالكل، وبالقلم لنقشه المعلومات في قوابل ألواح النفوس، وبالكلمة العليا "خلق الله العالم بالكلمة "وكلمته ألقاها إلى مريم، وما الكتاب سوى تصوير الحقائق على أية صورة كانت وما اللوح سوى الجوهر القابل لذلك سواء أكان محسوساً أو معقولاً، وكم ورد عن المعصومين (عليهم السلام): (نحن الأسماء الحسنى).*[١١٥]

وقال (ﷺوآلهِ): (لا اسم أعظم مني).*[١١٦] (أنا اسم الله الأعظم).*[١١٧]

وقد ورد في دعاء أمير المؤمنين علي(عليه السلام) (بأسمائك التي ملأت أركان كل شيء).*[١١٨]

وله أيضاً (وبالاسم الذي خلقت به العرش وبالاسم الذي خلقت به الكرسي).*[١١٩] ومن جملة أدعية رسول الله (ﷺوآلهِ): (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك).*[١٢٠] وتقديم لفظ الجلالة على لفظ الأسماء يدل على حصر الأسماء فيه وذلك لحصر الصفات العليا فيه .

التكوين والتجلي لأحمد حيدر

*****

[١١٥] - آداب الصلاة المعنوية .
[١١٦] - بيان السعادة .
[١١٧] - بيان السعادة .
[١١٨] - مسند الامام علي .
[١١٩] - بحار الأنوار .
[١٢٠] - بحار الأنوار .

العرش والاستواء عليه

- سُئل ذو النون المصري عن قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)**﴾(طه). فقال: أثبت ذاته ونفى مكانه، فهو موجود بذاته، والأشياء موجودة بحكمه كما شاء سبحانه .

- وسئل الشبلي عن قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)**﴾(طه). فقال: الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى.

الرسالة القشيرية

- ففي التعريفات

العرش: هو الجسم المحيط بجميع الأجسام سُمّي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك في تمكّنه عليه عند الحكم لنزول أحكام قضاءه وقدره منه، ولا صورة ولا جسم ثمة.

- وفي معجم الصوفية: هو مظهر العظمة ومكانة التجلي وخصوصية الذات ويسمّى جسم الحضرة ومكانها، لكنّه المكان المنزّه عن الجهات الست، وهو الفلك المحيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية، له باطن وظاهر، فباطنه عالم القدس وهو عالم أسماء الحق سبحانه وصفاته، فمتى قيل العرش مطلقاً فالمراد به هذا الفلك المذكور، فإنَّ قُيّدَ بشيء من الصفات فالمراد به ذلك الوجه من هذا الفلك، كقوله العرش المجيد، فإنَّ المراد به عالم القدس، المرتبة الرحمانية التي هي منشأ المجد، وكذلك العرش العظيم فإنَّ المراد به الحقائق الذاتية والمقتضيات النفسانية التي مكانتها العظمة، وقيل العرش الأكبر هو قلب الإنسان الكامل.

– وجاء عند الدكتور محمّد شحرور:

العرش في اللسان العربي "من عرش" ولها أصلان صحيحان:

١– عرش الرجل هو قوام أمره.

٢– العرش :هو ما يجلس عليه من يأمر وينهي، فقد أتى بالقرآن بمعنى الأمر والنهي في (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)**)(طه) .

(**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩)**)(الفرقان) .

وقد أتى أيضاً بمعنى المكان:

(**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا (١٠٠)**)(يوسف) .

(**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)**)(النمل) .

(**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨)**)(النمل) .

(**قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)**)(النمل).

– ويقول العلماء أنَّه بعد الانفجار الكوني الأول وقبل تشكل العناصر المادية المختلفة، كان الكون كله مؤلفاً من عنصر واحد هو الهيدروجين مولد الماء (Hvdro) ماء وتوليد (gen) فهو العرش الأول وكان عرشه على الماء .

ثمَّ بعد تكوين المجرّات والسموات والأرض والنجوم والكواكب أصبح عرش الله أمره (ثمَّ استوى على العرش).

أمَّا مفهوم الاستواء فلا يعني الجلوس، فأحد معانيها (استوى) اللغوية هو الاستقرار والسيطرة والاستحكام .

الكتاب والقرآن د. محمّد شحرور

– وجاء في لسان العرب:

العرش: سرير الملك وقد يستعار لغيره .

والعرش: البيت وجمعه عروش، وعرش البيت سقفه .

والعرش: الخشبة والجمع أعراش وعروش.

وعرش الرجل: قوام أمره .

والعرش: الملك .

وثُلَّ عرشه: هُدِم ما هو عليه من قوام أمره.

والعريش: ما يستظل به.

والتعريش: أن ترتفع وتظل بجناحها على من تحتها.

والعرش: البناء الذي يكون على فم البئر يقوم عليه الساقي. وعرش الكرم: ما يدعم به من الخشب.

والمعروشات: الكروم.

والعريش: شبه الهودج تقعد فيه المرأة على بعير وليس به.

– وجاء في معجم مقاييس اللغة:

عرش: العين والراء والشين أصل صحيح واحد يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثمَّ يستعار في غير ذلك.

كل بناء يستظل به عرش وعريش.

وقال الأمير المكزون (قُدّس سرّه):

تجلّى لي فجلّاني لعيني	كما لي صورتي المرآة تجلو
ومثّل لي الحقيقة في خيال	كما في النور يحكي الشخص ظل
وأوجدني وأفقدني وجودي	كمهجور له في النوم وصل
تضمن جوده مني وجودي	كما يتضمن الأجزاء كلُّ
فغيري من سواك له دليلٌ	وليس عليك غيرك من يد لُّ

معرفة الله والمكزون .د. أسعد علي

وقال ابن عربي:

اعلم أنَّ لكلّ شيء ظل، وظل الله العرش، غير أنَّه ليس كلّ ظل يمتد، والعرش في الألوهية ظل غير ممتد، لكنه غيب ألا ترى الأجسام ذوات الظل المحسوس إذا أحاطت بها الأنوار كان ظلها فيها، والنور ظله فيه، والظلمة ضياؤها فيها، ولما استوى الله على قلب عبده فقال: (وما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني

قلب عبدي).*[١٢١] حين استوى الاسم الرحمن على العرش المعروف الظاهر، فالعرش الظاهر ظل الرحمن، والعرش الإنساني ظل الله، وبين العرشين في المرتبة ما بين الاسم الله والرحمن ، وإن كان قد قال:

(**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** (١١٠)) (الإسراء). فلا يخفى من كل وجه على كل عاقل تفاوت المراتب بين الاسمين، ولهذا قال المكلفون وما الرحمن؟ حين قيل لهم (**اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ**(٦٠))(الفرقان). ولم يقولوا: وما الله حين قيل لهم: اعبدوا الله لما كان العرش سريراً صار غيباً في الرحمانية، ولما كان الاستواء الإلهي على القلب من باب وسعني، صارت الألوهية غيباً في الإنسان ، فشهادته إنسان وغيبه إله.

كتاب الجلالة لابن عربي

وقال :

أنا الذي أنت فمن ذا الذي	قال أنا وأنت أينيتي
قال أنا قلت أنا قال قل	قلت أنا قال بأنيتي
أنت أنا لا أنت غيري وقد	كنت أنا وأنت عينيتي
قلت أنا لا بل أنا حاضر	وغائب عني وعن حضرتي
فالنون مثل الكاف مهما مشت	خواطر التحقيق في نشأتي

---

[١٢١] ـ الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية .

انظر إلى الحرف الذي قد بدا ما بين كاف النون من حكمتي
فمن يكن غيري أكنه أنا ومن يكن ذاتي فيا وحدتي
أُعدّ في الخلق عبيداً له وأنَّه فيَّ بوتريتي
أعدّ في الناس حبيباً لهم وأنني فيهم بشفعيتي
قد كُشف السر بدار الفنا أين أنا مني ومن حيرتي
أنا أنا لست قائلاً عبدٌ أنا إلاَّ بأييتي
اللَّه رب وأنا عبده والكل في قهري وفي قبضتي

وقال:

أنا القرآن والسبع المثاني وروح الروح لا روح الأواني
فؤادي عند معلومي مقيم أشاهده وعندكم لساني
فلا تنظر بطرفك نحو جسمي وعد عن التنعم بالمعاني
وغص في بحر ذات الذات تبصر عجائب ما تبدت للعيان
وأسرار تراءت مبهمات منسترة بأرواح المعاني
فمن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة إذ تبدت له شمس الحقيقة بالتداني

فقال: أنا هو الحق الذي لا يغير ذاته من الزمان

رسائل ابن عربي

وقال:

إنَّ تجلّي الوحدانية هو الاستواء الإلهي على العرش الإنساني وهو بخلاف الاستواء الرحماني فإنَّ الاستواء الإلهي في نقطة الدائرة وهو قوله سبحانه في الحديث القدسي: (وما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن).*[١٢٢] والاستواء الرحماني محيط للدائرة وهو قوله تعالى: (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**(٥))(طه) فالعرش في الاستواء الرحماني بمنزلة الحق في الاستواء الإنساني، والقلب في الاستواء الإلهي بمنزلة الحق في الاستواء الرحماني، فإذا تجلت الوحدانية لم يعاين المشاهد سوى نفسه سواء كان في مقام وحدانيته أو في غيرها، فإن كان في مقام وحدانيته فهو بمنزلة ضرب الواحد في الواحد فلا يخرج لك إلاَّ الواحد في الأعداد.

الرسائل /كتاب الجلال والجمال/ لابن عربي

وقال الجيلي:

العرش: هو العالم الكبير وهو محل استواء الرحمن، والإنسان هو العالم الصغير وهو محل استواء الله ،لأنَّه خلق آدم على صورته، فانظر إلى هذا العالم الصغير اللطيف الإنساني كيف له الفضل والشرف على هذا العالم الكبير، وتأمل كيف

[١٢٢] ـ الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية .

صغَّر الكبير وكبَّر الصغير وكلٌّ في محله ومرتبته، فلو عرفت هذا السر لعرفت معنى قوله: (وسعني قلب عبدي المؤمن).*[١٢٣]

وأمَّا قوله(علم الغيب عندك): (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل).*[١٢٤] فالظاهر أنَّه ما وسعه في ذلك الوقت إلاَّ الله وكم من نبي مرسل وملك مقرب وعارف ولي قد وسع العرش الذي هو العالم الكبير بأجمعه وما أحس به ولا بالى فظهر عظم هذه اللطيفة الإنسانية وشرفها وفضلها على العالم الكبير.

الكهف والرقيم للجيلي

– وقال أحمد حيدر: ليس لكائن كيان إلاَّ بالعرش، فالعرش هو الحقيقة المحمّدية وعلى التحقيق هو مظهر العظمة الإلهية ومكان التجلي وخصوصية الذات، وهو جسم الحضرة الإلهية ومكانها المنزه عن الجهات الشامل بقدرته أنواع الموجودات، وكلمة الكرسي دائماً مرادفة لكلمة العرش، فالكرسي عبارة عن تجلّي الصفات الفعلية، فهو مظهر الاقتدار الإلهي ومحل نفوذ الأمر والنهي .

التكوين والتجلي لأحمد حيدر

*****

[١٢٣] ـ كشف الخفاء للعجلوني .

[١٢٤] ـ كشف الخفاء للعجلوني ـ الخميني الأربعون حديثاً.

" التشبيه والتنزيه "*[125]

[125] - التشبيه الإلهي عبارة عن صورة الجمال، لأنَّ الجمال الإلهي له معانٍ، وهي الأسماء والأوصاف الإلهية، وله صور وهي تجليات تلك المعاني فيما يقع عليه من المحسوس أو المعقول، فالمحسوس كما في قوله : (رأيت ربي في صورة شاب أمرد)، والمعقول كقوله: (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء).
التنزيه: عبارة عن تبعيد الرب عن أوصاف البشر، ويقال له انفرد القديم بأسمائه وأوصافه وذاته، كما يستحقه لنفسه من نفسه بطرق الأصالة والتعالي ،لا بطريق أن المحدث ماثله أو شابهه، فانفرد الحق سبحانه وتعالى عن ذلك .

قال سبحانه وتعالى في آيات التشبيه:

(وذكر اليد والرجل والجنب والوجه والنفس والعين والسمع والبصر والكلام والرضا والغضب والنسيان والمحبة).

- **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)**(الذاريات).

- **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)**(فصلت).

- **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)**(الذاريات).

- **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ(٦٤)**(المائدة).

- **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ(٥٧)**(الأعراف).

- **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)**(الحجرات).

- **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)**(ص).

- **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (١٩٥)**(الأعراف).

- **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١)**(يس).

- **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦)**(الزمر).

- **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(١١٥)** (البقرة)

- **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)**(الرحمن).

- **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ(٥٢)**(الأنعام).

- **وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)**(القصص).

- **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)**(آل عمران).

- **قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ(١٢)** (الأنعام).

- **ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١)**(طه).

- **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩)**(طه).

- **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)**(النساء).

- **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ (١٤٣)**(الأعراف).

- **قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦)**(طه).

- **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ (١٨١)**(آل عمران).

- **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا(١)**(المجادلة).

- **إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)**(الإسراء).

- عن إبراهيم (**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢)**)(مريم).

- **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)**(الإنسان).

- **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ (١١٨)**(البقرة).

- **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ(٤٥)**(آل عمران).

- **فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)**(الأعراف).

- **فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)**(البقرة).

- **وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤)**(الشورى).

- **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)**(الشورى).

- **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا(٣)**(المائدة)

- **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)**(المائدة).

- **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٢٢)**(المجادلة).

- **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ (١٨)**(الفتح).

- **الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ(٦)**(الفتح).

- **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ(٩٣)**(النساء).

- **مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ (٦٠)** (المائدة)

- **الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا(٥١)**(الأعراف).

- **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)**(التوبة).

- **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)**(المائدة).

- **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)** (آل عمران).

- **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ(١٠)**(الفتح).

- **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)** (النساء)

- **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (١٧)(الأنفال)**.

وقال سبحانه وتعالى في الأمثال:

- **وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)**(النور).

- **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)**(الحشر).

وقال سبحانه وتعالى في آيات التنزيه:

- **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)** (الأنبياء)

- **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)**(الصافات).

- **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)**(الشورى).

وجاء في الحديث القدسي أنَّ الله أوحى إلى موسى بن عمران: (يا ابن آدم خلقتُ الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي).*[١٢٦]

- وجاء في الحديث القدسي: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن).*[١٢٧]

- وجاء في الحديث القدسي: (مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مسآئته).*[١٢٨]

---

[١٢٦] - فصوص الحكم . الخميني الأربعون حديثاً .
[١٢٧] - كشف الخفاء للعجلوني. الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية.
[١٢٨] - رواه البخاري .

- وجاء عن رسول الله (ﷺوآلهِ): (أنَّ مقام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك).*[129]

- وروي عن النبي (ﷺوآلهِ) بعد تلقّيه سورة العلق أنَّه قال:

خرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول:

(يا محمّد أنت رسول الله وأنا جبريل)، فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صافٍّ قدميه في أفق السماء يقول: (يا محمّد أنت رسول الله وأنا جبرائيل) قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية إلاَّ رأيته كذلك .

السيرة النبوية لابن اسحاق

- وورد في تاريخ الطبري ج٢ عن غزوة بدر انَّه عندما استشار الرسول (ﷺوآلهِ)المسلمين والصحابة ومنهم أبو بكر وعمر وأخبرهم عن قريش ونيَّتها فقالوا وأحسنوا، وقام المقداد بن عمر وقال: (يا رسول الله امضِ لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** (٢٤))(المائدة). ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد "يعني مدينة الحبشة " لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه).

[129] ـ صحيح البخاري ومسلم .

- وجاء في الصحيح يقول سبحانه: (من تقرَّب إليَّ شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يسعى أتيته هرولةً).*[١٣٠]

- وقال: (ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه).*[١٣١]

- وقوله: (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا).*[١٣٢]

- وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآلهِ): (إنَّ الله خلق آدم على صورته وما خلقه حتى استوى على العرش وما استوى على العرش إلاَّ الرحمن).*[١٣٣]

- وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآلهِ): (إني لست كأحدكم إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني).*[١٣٤]

- ورد عن النبي(صلى الله عليه وسلم وآلهِ)أنَّه قال: (رأيت ربِّي في صورة شاب أمرد وعليه حلة من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب وفي رجليه نعلان من ذهب).*[١٣٥]

- سأل الحلاج شيخه الجنيد بعد مصاحبته عشر سنين قائلاً:

الحلاج: ألا تفيدني بكلمة التوحيد يا شيخي ؟

[١٣٠] ـ البخاري ومسلم .
[١٣١] ـ البخاري ومسلم .
[١٣٢] ـ البخاري ومسلم .
[١٣٣] ـالفتوحات المكية.
[١٣٤] ـ تفسير الرازي.
[١٣٥] ـ كشف الخفاء للعجلوني

الجنيد: التوحيد خارج عن الكلمة حتى يعبر عنه.

الحلاج: ما معنى لا اله إلاَّ الله ؟

الجنيد: هذا حشو التوحيد يا بني .

الحلاج: وما حقيقته ؟

الجنيد: أمَّا حقيقته، فهي أن يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون .

. الحلاج: أرجو التوضيح ؟

. الجنيد: التوحيد إفراد القدم عن الحدث، ثم الإعراض عن الحدث، والإقدام على القدم، وهذا أيضاً حشو التوحيد، وأمَّا محضة يا بني فهو الفناء بالقدم عن الحدث .

. الحلاج: هذا توحيد الصحراء يا شيخي ! توحيد تتلاشى فيه العدة والفوارق، وتمحى آثار التنوع، فأين نذهب بهذه الكثرة الوجودية المسماة بالعالم ؟ ألم يجعلها تعالى تفصيلاً لوحدانيته ؟ وفيضاً لكرمه ؟ أليس هو واحداً في كثرة، أو كثرة مردها الواحد ؟ أليس صفاتنا البشرية المتغيرة الزائلة لسان الحجة على ثبوته وصمد يته ؟

. الجنيد: إلى أين تحاول أن تجرني يا حسين ؟

. ومن أقوال الحلاج أيضاً:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لا هوته الثاقب

ومن بدا لخلقه ظاهراً بصورة الآكل الشارب

حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

المكزون بين الامارة والتصوف .حامد حسن

وقال ابن عربي:

اعلم يا وليّ أنَّ المقام الجامع للأسماء الإلهية التي لها التأثير في الممكنات أخ صحيح الأخوة شقيق للمقام الجامع لاستعدادات القوابل الممكنات، وهما أخوان لأب واحد يشدّ كل منهما أزر صاحبه، ولكن الأسماء هي الطالبة للاستعدادات أن يشدّ الله بها أزرها فافهم.

فإنَّ هذا من علم الأسرار التي مقامها بين الستر والكشف وهو من أصعب العلوم في التصور حيث لا يصح نفوذ الاقتدار إلاَّ باتفاق في الأخوين لا بأحدهما، وبهما ظهرت أعيان الممكنات وحصلت في الوجود معرفة الكائنات بالله ووصل بوجود هذه المعرفة المحدثة الحق سبحانه إلى عين مطلوبه، فإنَّه ما أوجد العالم إلاَّ ليعرفه العالم ،والعالم محدث ولا يقوم به إلاَّ محدث فقامت به المعرفة بالله إمَّا بتعريف الله وإمَّا بالقوة التي خلق فيه التي بها يصل إلى معرفة الله من وجه خاص لا غير، فمن نزّهه بهذه القوة فقد عرفه وكفّر من شبّهه، ومن

شبّهه بهذا القوة فقد عرفه وجهَّل من نزّهه بل كفّره، ومن عرفه بالتعريف الإلهي جمع بين التنزيه والتشبيه فنزّهه في موطن التنزيه وشبّهه في موطن التشبيه، وكلّ صنف من هذه الأصناف صاحب معرفة بالله، فما جهله أحد من خلق الله لأنَّه ما خلقهم إلاَّ ليعرفوه، فإذا لم يتعرف إليهم بهذه القوة الموصلة التي هي الفكر أو بالتعريف الإنبائي لم يعرفوه فلم يقع منه في العالم ما خلق العالم له.

- فالعارف الكامل يعرفه في كلّ صورة يتجلى بها وفي كلّ صورة ينزل فيها، وغير العارف لا يعرفه إلاَّ في صورة معتقده وينكره إذا تجلّى له في غيرها، كما لم يزل يربط نفسه على اعتقاده فيه وينكر اعتقاد غيره، وهذا من أشكل الأمور في العلم الإلهي اختلاف الصور، لماذا يرجع هل إليه في نفسه وهو الذي وقع به الإنباء الإلهي وأحاله الدليل العقلي الذي أعطته القوة المفكرة، فإذا كان الأمر على ما أعطاه الإنباء الإلهي فما رأى أحد إلاَّ الله، فهو المرئي عينه في الصور المختلفة، وهو عين كلّ صورة، وإن رجع اختلاف الصور لاختلاف المعتقدات، وكانت تلك الصور مثل المعتقدات لا عين المطلوب فما رأى أحد إلاَّ اعتقاده سواء عرفه في كلّ صورة، فإنَّه اعتقد فيه قبول التجلّي والظهور للمتجلّي له في كلّ صورة أو عرفه في صورة مقيدة ليس غيرها، فمثل هذا العلم لا يعلم إلاَّ بإخبار إلهي وقرينة حال، فأمَّا الإخبار الإلهي فقول رسول الله (ﷺوآلهِ) إنَّه الذي يتحول في الصور في الحديث الصحيح وقرينة الحال كونه ما خلق الخلق إلاَّ ليعرفوه فلا بدَّ أن يعرفوه إمَّا كشفاً أو عقلاً أو تقليداً لصاحب كشف أو

عقل، والرؤية تابعة للمعرفة، فكما تعلقت به المعرفة فكان معروفاً تعلقت به الرؤية فكان مرئياً، فإن قال منكر الأمرين الذي لا يقول بالوصول إلى معرفته ولا إلى رؤيته وإنَّما العلم به معرفة الناظر في ذلك بأنَّه يعجز عن معرفته فيعلم عند ذلك أنّ من هو بهذه المثابة هو الله فقد حصل العلم به إجمالاً في عين الجهل به والعجز وهو قول بعضهم: العجز عن درك الدرَّاك إدراك، فهذا القدر المسمّى معرفة بالله، وصاحب هذا القول إن جوزي بقوله فإنَّه لا يرى الله أبداً كما لا يعلمه أبداً، وإن لم يجازه الله بقوله، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب، وعلم منه في ثاني حال خلاف ما كان يعلمه فإنَّه يراه ويعلم أنَّه هو والصحيح أنَّه يعلم ويرى، فإنَّ الله تعالى خلق المعرفة المحدثة به لكمال مرتبة العرفان ومرتبة الوجود، ولا يكمل ذلك إلاَّ بتعلق العلم المحدث بالله على صورة ما تعلق به العلم القديم، وما تعلق القديم بالعجز عن العلم به كذلك العلم المحدث به ما تعلق إلاَّ بما هو المعلوم عليه في نفسه، والذي هو عليه في نفسه إنَّه عين كلّ صورة فهو كل صورة، فما وقع العجز من هذا العبد إلاَّ في كونه قصره على صورة واحدة وهي صورة معتقده وهو عين صورة معتقدة، فما عجز إلاَّ عن الحكم عليه بما ينبغي له، ولا يتصف بالعجز عن العلم به إلاَّ من أخذ العلم من دليل عقله، وأمَّا من أخذ العلم به من الله لا من دليله ونظره فهذا لا يعجز عن حصول العلم بالله .

الفتوحات المكية ج٣

- وقال في إشارات الجلال:

مفسراً قوله سبحانه وتعالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**(**١١**))(الشورى).

وقوله: (**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** (**١٠٣**))(الأنعام).

وقوله:(**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**(**١٦٣**))(البقرة).

أمَّا جمال هذا الجلال فقوله تعالى: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** (**٢٢**) **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** (**٢٣**))(القيامة). فنزل سبحانه في جماله مباسطة معنا إلى أن ندركه بأبصارنا وينظر إلى هذا قوله (ﷺوآله): (ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب لا تضارون في رؤيته).*[١٣٦]

وقال تعالى في حق أصحاب الجحيم: (**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** (**١٥**))(المطففين). والنظر بإلى في كلام العرب لا يكون إلاَّ بالبصر.

وبفي يكون بالعقل وبالفكر، وباللام يكون للرحمة، وبغير أداة يكون التقابل والمكافحة والتأخير.

والإبصار من صفات الوجوه وليس العقل منها فلا بدَّ من رؤيته، وقوله: (**لَنْ تَرَانِي**(**١٤٣**))(الأعراف). لموسى (عليه السلام) حِكم يرجع إلى حال ما علمه من سؤال موسى (عليه السلام) لا يسعنا التكلم فيه وقد أحاله على الجبل ودكَّ الجبل

---

[١٣٦] - أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٢\٣٣٣).

وصُعق موسى والإدراك لا يصعق، وليس من شرطه بنية مخصوصة ولا البنية من شرطه، وإنّما من شرطه موجود يقوم به لأنّه معنى والصعق قام بالبنية الكثيفة فلما أفاق سبّح ولا فائدة للتسبيح عند القيام من ذلك الموطن إلاَّ المشاهدة ما ثمَّ أعطته المعرفة التوبة من اشتراط البنية ثمَّ أقرَّ بأنَّه أول المؤمنين بما رآه في تلك الصعقة لأنَّ الإيمان لا يتصور إلاَّ بالرؤية في أي عالم، ولهذا قال النبي (ﷺوآله) لحارثة: ما حقيقة إيمانك ؟ قال: (كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً).*[137] فأثبت الرؤية في عالم ما، وبها صحت حقيقة الإيمان وأقرّ له النبي(ﷺوآله) فيها بالمعرفة، وما عدا هذا فهو الإيمان المجازي فلا فائدة للإيمان بالغيب إلاَّ لحوقه بالمشاهدة ولهذا لا يدخله الريب.

- وقال في إشارات الجمال

وأمَّا جمال هذا الجلال فقوله تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ** (١١٠)﴾(الإسراء). نزل الحق في جماله مباسطة معنا برحمانيته وبهذا الاسم استوى عل العرش وهي المعرفة العامة وإليها ينتهي العارفون وفيها ينبسط المحققون ويقبضهم جلالها.

وهو قوله: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** (١٦٣)﴾(البقرة). ولما كان الله جامعاً لكل شيء وكان الرحمن جامعاً لحقائق العالم وما يكون فيه ولهذا قيل رحمان الدنيا والآخرة

[137] - أخرجه الهيثمي في (معجم الزوائد ١\٥٧)

لهذا قيل لهم: (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ** (١١٠)) (الإسراء). فإنّ دعاءهم إنّما هو تعلقهم به لمنافعهم على قدر معارفهم وهي عند اسمه الرحمن وهذا الاسم الرحمن يتضمن جميع الأسماء الحسنى إلاَّ الله فإنَّ له الأسماء الحسنى والرحمن وما يتضمنه الاسم الله، وإذا ناديت الله قائماً تنادى منه الرحمن خاصة وتنادى من الرحمن الاسم الذي تطلبه الحقيقة الداعية إلى الدعاء فيقول الغريق: يا غياث، والجائع يا رزاق، والمذنب يا غفور، وكذلك في جميع الأسماء.

كتاب الجلال والجمال لابن عربي

وقال:

فلا تنظر إلى الحقِّ	وتعريه عن الخلقِ
ولا تنظر إلى الخلقِ	وتكسوهُ سوى الحقِّ
ونزِّهه وشبَّهه و	قم في مقعد الصدقِ
وكن في الجمع إن شئت	وإن شئت ففي الفرقِ
تَحُز بالكلِّ إن كُلّ	تبدَّى قصب السَّبَقِ
فلا تَفنى ولا تبَقى	ولا تُنفي ولا تبُقي
ولا يُلقى عليك الوحي	في غير ولا تُلقي

- وقال:

فإن قلتَ بالتنزيه كنتَ مقيّداً وإن قلتَ بالتشبيه كنتَ مُحَدِّدا

وإن قلتَ بالأمرين كنتَ مسدِّداً وكنتَ إمام في المعارف سيدا

فمن قال بالإشفاع كان مشركاً ومن قال بالإفراد كان موحدا

فإياك والتشبيه إن كنت ثانياً وإياك والتنزيه إن كنتَ مفردًا

فما أنت هُوَ بل أنت هُوْ وتراه في عين الأمور مسرّحاً ومقيّدا

- وقال:

عندما وقع الخلاف بين أهل الملل في عيسى ما هو ؟ فمن ناظر فيه من حيث صورته الإنسانية البشرية فيقول: هو ابن مريم، ومن ناظر فيه من حيث الصورة الممثَّلة البشرية فينسبه لجبرائيل (عليه السلام)، ومن ناظر فيه من حيث ما ظهر عنه من إحياء الموتى، فينسبه إلى الله بالروحيَّة فيقول: روح الله، أي به ظهرت الحياة فيمن نفخ فيه، فتارةً يكون الحقُّ فيه متوهَّماً "اسم مفعول" وتارةً يكون الملَك فيه متوهَّماً، وتارةً تكون البشرية الإنسانية فيه متوهَّمةً، فيكون عند كل ناظرٍ بحسب ما يغلب عليه، فهو كلمة الله وهو روح الله وهو عبد الله .

- وقال:

عن ماءِ مريمَ أو عن نفخِ جبرين في صورةِ البَشَرِ الموجودِ من طينِ

تكوَّن الروحُ في ذاتٍ مُطهّرَةٍ   من الطبيعةِ تدعوها بسجِّينِ

لأجلِ ذلك قد طالت إقامتهُ   فيها فزادَ على ألفٍ بتعيينِ

روحٌ من الله لا من غيرهِ فلِذا   أحيا المواتَ وأنشأ الطيرَ من طينِ

حتى يصحَّ لهُ من ربِّه نسبٌ   به يؤثِّرُ في العالي وفي الدون

اللهُ طهَّرهُ جسماً ونـزَّههُ   روحاً وصيَّرهُ مِثلاً بتكوينِ

فصوص الحِكَم لابن عربي

- وقال:

اعلم أنَّ الحق تعالى قد وصف نفسه في الصورة الظاهرة باليدين والأعين، وشبه ذلك، مما وردت به الأخبار والدليل العقلي ينزه الحق تعالى عن حكم الظاهر من ذلك في المحدثات، فحق قدره تعالى إضافة ما أضافه إلى نفسه تعالى، مما ينكر الدليل العقلي إضافته إليه تعالى، فمن أضاف مثل هذا إليه تعالى عقلاً فذاك الذي ما قدَّر الله حق قدره، ومن أضاف إليه شرعاً وشهوداً، وكان على بيّنة من ربه فهو الذي قدَّر الله تعالى حق قدره .

فالإنسان الكامل الذي هو الخليفة، قدر الله تعالى ظاهراً وباطناً، صورة ومنزلة ومعنى، فمن كلّ شيء في الوجود زوجان، فاعل ومنفعل فيه، فالحق تعالى فاعل، والعالم منفعل فيه، لأنَّه محل ظهور الانفعال بما يتناوب عليه من صور

الإمكانات من حركة وسكون، واجتماع وافتراق، ومن صور الأكوان والصفات والنسب .

فالعالم قدر الله تعالى وجوداً، وأمّا في الثبوت فهو أظهر بحكم الأزل الذي هو للمكنات في ثبوتها، لأنَّ الإمكان للممكن نعت ذاتي نفسي، ولم يزل الممكن ممكناً في حال عدمه ووجوده، فكما سبّح الحق تعالى نفسه عن التشبيه، سبّح الممكن نفسه عن التنزيه، وما ظفر بالأمر على ما هو عليه إلاَّ من جمع بينهما، فقال بالتنزيه من وجه عقلاً وشرعاً وقال بالتشبيه من وجه شرعاً لا عقلاً.

- وقال:

اعلم أنَّ حقيقة العبودية تقتضي طاعة المعبود ومحبته، فلمّا علم الله تعالى أنَّ الخلق لا يصلون إلى الصافي من طاعته ومحبته، أوجد لهم بشراً من جنسهم، وأقام طاعته مقام طاعته، فقال تعالى: (**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** (٨٠))(النساء).

وأقام متابعته مقام متابعته، ومحبته مقام محبته فقال تعالى: (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (٣١))(آل عمران).

كتاب المعرفة لابن عربي

- وقال:

إن تكن روحاً وريحاناً   كنت بين الناس إنساناً

إنَّما أعطاك صورته ... لتكن في الخلق رحمانا

فالذي قد جاز صورته ... جاز ما يأتي وما كان

والذي في الغيب من عجب ... والذي قد جاءه الآنا

والذي يدعوه خالقه ... إنّما يدعوه محسانا

الفتوحات المكية ج٤ لابن عربي

- وقال الأمير المكزون (قُدّس سرّه):

لبيت لمّا دعتني ربة الحجب ... وغبت عني بها من شدة الطرب

وأحضرتني من غيبي لتُشهدني ... جمالها في حجاب غير محتجب

مشهودة لا يراها في الأنام بها ... خلق وقد شوهدت بين الخلائق بي

موصوفة لم أصف إلاَّ وصيفتها ... وهي العليَّة عن نظمي وعن خطبي

وقال:

صفاء الذات منها إذْ تجلّت ... أراني في تجلّيها صفاتي

وما احتجبت بغيري في عياني ... لذاك شهدت فيها وصف ذاتي

وما غابت وحقِك عن عياني ... ولا شاهدت فيها غير ذاتي

- وقال:

ولاحت بمعناها لعيني صورة   وما اقترنت عند الظهور بصورة

وما انتقلت عن كون تجريد ذاتها   وإن شوهدت في حلية مثل حليتي

وما احتجبت عني بغيري ولا بدت   بغير حجاب عندما لي تبدّتِ

فأثبتُ في محو العيان عيانها   بنفي حدود الأين في حال رؤيتي

معرفة الله والمكزون .د. أسعد علي

- ويقول الأمير المكزون (قُدّس سرّه) عن معرفة الله:

اعلم أيها الأخ البار أنَّ لفظ العبادة يدلُّ على معنيين: أحدهما الطاعة، والقيام بفرائض الله تعالى، التي شرعها لعباده على ألسن رسله ودعاته .

والثاني معرفته، وهو الذي ذكره أهل التفسير، لقوله تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** (٥٦))(الذاريات). والمعنى ليعرفوني .

وقد انقسم الناس في معرفة الله تعالى إلى أقسام، لا يمكن لبشرٍ شرحها وحصرها، لأنَّها تتعدد بعدد السالكين إليه ،فيما لم يزل ولن يزول، وذلك أنَّ لكلٍ منهم إشارة إلى معرفة الحق، ولم تتجاوز إشارتهم حدّ عجزهم عن إدراك كمال المعرفة، والإحاطة من علمه إلاَّ بما شاء، وأن لا يقع التساوي بين الأنفس

البشرية، من كلّ الوجوه، لاختلاف السوابق في النشأة الأولى فلذلك امتنع تساويهم في النظر إلى جهة الحق ؟

لكن ترجع المناظرة إلى أصول يمكننا أن نذكر بعضها على وجه كلي، على سبيل الإشارة إليها والدلالة عليها .وإن كانت ضدَّ الحق، فالشيء يُظهرهُ ضده، لئلا يشتكل على المؤمن الضعيف، لأنَّ غرضنا في ذكرها أن نوضح الحق في بيان بطلانها، إذاً ليُعرفَ الحقُّ معرفةً حقيقة مجردة من الباطل ليقع التمييز بينهما .

١- من الناس من قال: عرفت الحق بالعجز عن معرفته، فاقتنع من المعرفة بعجزه دون معرفة الحق، وذلك سبيل الحائرين .

٢- ومنهم من قال: عرفته في مصنوعاته، وآثار الصنعة، وذلك مقام المنقطعين.

٣- ومنهم من قال: عرفته بأوصافه .ولم يعرف أنَّه جهله بإدخاله في حد الصفة الموجودة من قبل الواصف، وأوجب تعدده في ذاته بتعدد الأوصاف التي أوقعها به من طريق جهله بوحدة ذاته، واستغنائها عن الوصف الزائد عليها، الجاري في حدث الواصف لها به، وذلك مقام المشركين .

٤- ومنهم من قال: عرفته بنفي معرفته، ولم يعلم أنَّه قد جوَّز مكان العدم لوجود ذاته تعالى لأنَّ ما لا يمكن شرحه، ومعرفته لا يمتنع عدمه، وتلك إشارة الملحدين .

٥- ومنهم من قال: عرفته بأسمائه، والأسماء يُعرف بها من يكتنفه حدُّ العارفين به، ليحصل لهم بها الإشارة إليه، ويحصل له بذلك التمييز عنهم فيها، وذلك قول المجسِّمين .

٦- ومنهم من قال: عرفته بعقلي، ولم يعرف سَفَهَ دعواه في أنَّه عرف عقله في غير الله، وذلك تصور الجاهلين .

٧- ومنهم من قال: عرفته بكليته فأدخله في حيِّز معرفته، وتلك دعوى التائهين.

ثمَّ يقول: وقد صرفت وجهي عن الإطالة في تعديد هذه الأقوال الفاسدة. **ويستفاد** من قوله هذا أنَّ هناك أقوالاً لم يذكرها، وفئات لم يعددها، وكل أقوالها فاسدة، لأنَّها فئات ضالة، أخطأت الطريق" طريق الهداية " فلم يتحقق لها الوصول إلى الغاية .

أمَّا الحقيقة (فهي ما يعتقده هو ويقول به):

وهو أنَّ معرفة الله لا تصحُّ إلاَّ بذاته، وذاته لا تُعرف إلاَّ برؤيته، ورؤيته لا تمكن إلاَّ بتجلّيه، وتجلّيه لا يدرك بكماله، والتجلّي يقع بحسب قوة الناظر إليه، ومعناه رفع حجاب الظلمة عن بصر المبصر، ليشهد من ذات المتجلي على قدر طاقته في حد عجزه، وكلال بصره عن مشاهدة نور اللاهوت من غير تغيير في ذات المتجلّي بحركة توجب الانتقال من حال إلى حال، وإنَّما شوهد بذلك من قِبل

تقلب القلوب والأبصار، وذلك في مشاهدة الشهادة، تعالى الله عن الحركة والسكون، وتنزّه عن حلول الأجساد، والتغير والفساد، وهو القادر الذي لا يعجز، والظاهر الذي لا يتحيز، لا تحويه الجهات، ولا تقع عليه الأسماء والصفات، الحي العالم بذاته، الغني عن أسماءه وصفاته، وسائر مبدعاته، لا يفعل إلاَّ إبداعاً، أفاد وجوده وجود الموجودين، ما عرفه من كيَّفه، وجهل ذاته من وصفه، فبإفادته القدرة للقادرين سُمّي قادراً، وبتعليمه العلم للعالمين سُمّي عالماً، وكذلك كلّ ما وصفناه به إنَّما أُجري عليه من قِبل أنَّه وهبه، لا من قِبل أنَّ الوصف كمال لذاته وهو زائد عليها، وأكمل المعارف به لأهل المزاج نفي خط الخيال العارض في الوهم لذاته، ونفي حدَّه عند تجليه بإثبات القدرة الظاهرة، وتحقيق الحق ووجود العيان ورفع الحصر عن الصفة المشهودة من غير إثباتها ولا إثبات ما هو سواها هي هُوْ، ولا هُوْ هي، فمن حل هذا الرمز ظفر من المعرفة بالكنز، ولم يبلغ قرار المعرفة من لا يعلم مواقع الصفة .

١- المكزون بين الإمارة والشعر والتصوف والفلسفة (حامد حسن)

٢- معرفة الله والمكزون السنجاري (د. اسعد علي)

- يقول الأستاذ حامد حسن عن " الهو هو ":

نرى أنَّ تعبير (الهو هو) تعبير شاع خطأً عند بعض المتصوفين، أو الباحثين، فتعبير (هو هو) يعني الإخبار عن ذاتين غائبتين باستعمال ضمير الغائب.

و(الهو هو) يعني الاتحاد، أو الوحدة ونفي الثنائية، ولكن من الذي أخبر، أو يخبر عن هاتين الذاتين حالة الامتزاج ؟؟.

فإذا كان المخبر ذاتاً ثالثة، فقد بطل الإخبار، لأنَّ حالة التلاشي، أو الامتزاج، أو الاتصال ،أو الاتحاد، أو الامحاق أو الإمحاء، أو الوحدة، أو الفناء، لا تحصل إلاَّ للذات الممحوة، المثبتة من جديد في (ألهو الإلهي) .

وفي هذه الحالة ينتفي أو يستحيل وجود الشخص الثالث ليخبر أنَّ الذات المخلوقة اندمجت في الذات الخالقة وأصبحت (هو هو).

ولذلك لا يصح الإخبار إلاَّ بلفظ (أنا هو) أو (أنت هو)

أمَّا تعبير (هو هو) فيعني التأكيد على الذات.

أمَّا (ألهو هي) أي الذات والصورة المشبهة لهم. فالقائم هو (الهو) أي الذات، لا (الهي) أي الصورة، وهذا القول يثبت الذات الواجبة الوجود وينفي الصورة المشبهة لهم، ولعل أحسن ما جاء في هذا المعنى، وخير ما يوضح هذه المقاصد، ما ورد في (رسائل الحكمة)*[١٣٨] عند الموحدين الدروز عن الصورة والذات، عن (هو) الذات و(هي) الصورة، (لا نقول: إنَّ هذه الصورة المرئية هي هو فنجعله محصوراً محدوداً، بل نقول: هو هي، استتاراً وتقرباً وإيناساً بدون حدٍّ، ولا شبه ولا مثل وذلك كما جاء في القرآن: (**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا**

---

[١٣٨] ـ الرسالة ١٣ تأليف إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي أحد دعاة الدروز .

جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩))(النور) .

لكنه تقرَّب إلينا بنا، وآنس عقولنا بصورنا، وظهر لنا بجميع أفعالنا لتقبله أفهامنا، كمثل الناظر في المرآة فهو يرى نظير صورته بغير لمس، ولا إدراك كيفية، ولا تحديد ماهية .

فهذا النص يلتقي مع النظرية المسيحية في (التجسيد الإلهي) أي أنَّ الخالق تقرّب إلينا بنا، وآنس عقولنا بصورنا، وظهر لنا بجميع أفعالنا.

وإذا كانت النظرية المسيحية تعلل (التجسيد) بالفداء، وحمل خطايا بني الإنسان فإنَّ الفلسفة الدرزية التوحيدية تعلل إيجاده "الصورة" بالإيناس للناس، ولتقبله الأفهام وإذا كانت وسيلة الفداء في المسيحية (التجسيد) فهي في فلسفة الدروز (المشاكلة)، وهي (المشابهة) التي وردت في القرآن (**وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ (١٥٧)**) (النساء).

وفي الفلسفة الدرزية التوحيدية:

إنَّ المشاكلة بالصورة (هي)، لا تضع (هو) ضمن حدود الصفة والحيّز والأشباه، وفي مثال المرآة تلخيص وتكثيف لهذه المعاني الدقيقة، فالصورة المنعكسة في المرآة هي صورة ما يقابل المرآة، كما أنَّ صورة المسيح هي (شبه) كما ورد في القرآن.

وهذه هي نظرية المكزون وأمثاله من المتصوفة والفلاسفة الذين يرون أنَّ التجلّي يقتضي الصورة، والصورة تنفي العدم، وتثبت الوجود لواجب الوجود، ولكنها لاحقة بالخلق، مسلوبة عن الحق، لقوله:

إنَّ الـذي عـاينتّه عيني بمرآة وقتي

هي هو وجوداً وما هي هو في حدودٍ ونعت

فالصورة المتجلاة هي هو وجوداً ونفي عدم، وليست هو هي تحديداً وصفة.

المكزون بين الإمارة والشعر والتصوف والفلسفة لحامد حسن

- وقال الجيلي:

إنَّ لله أسماء تعرَّف بها إلى سائر خلقه فعرفوه بها وهذه الأسماء المتعرف بها إلى الخلق كثيرة لا تُحصى، وتجمعها مائة وسبعة وثلاثون اسماً تسمى بها سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، ويجمع هذه المائة والسبعة والثلاثين اسماً أسماؤه الحسنى التي هي تسعة وتسعون اسماً، ويجمع هذه الأسماء الحسنى اسمه الرحمن، ويجمع ما تضمنه اسمه الرحمن مع الاسم الذي هو تمام المئة اسمه(الله).

- فبالتجليات تمَّ ظهور الحق تعالى فعُرِفَ على قدر ما ظهر وجُهِلَ على قدر ما بطن، فصفاته ظاهرة، وذاته باطنة، ولأجل هذا فالكل جاهلون بذاته، وليس الكل جاهلون بصفاته، إذ بها تعرَّف إلى الخواص، وبأفعاله تعرَّف إلى العوام، فالعوام يعرفون أفعاله، والخواص يعرفون صفاته، وخواص الخواص يعرفون أسماء

ذاته، وينفرد سبحانه وتعالى بالمعرفة الذاتية المنزّهة عن الاسم، والوصف، والحكم، والإضافة، والعين، والعلم.

- وقال:

اعلم أنَّ التجليات الإلهية على قلوب العباد، لها من حيث المرتبة حكم ومن حيث الظهور حكم، فحكمها من حيث المرتبة: عدم الجهة، وعدم الممازجة، وعدم الحلول، وعدم الاتحاد، وعدم الانفصال، وعدم الاتصال، وعدم التشبيه والصورة، وعدم التغيير، وحكمها من حيث الظهور: ما وقع التعريف حال التجلّي، فلا يستحيل ظهورها بالجهة، والممازجة، والحلول، والاتحاد، والانفصال، والاتصال، والتشبيه، والصورة، والتغيير، لأنَّ الله سبحانه وتعالى، يظهر فيما يشاء كما يشاء، فلا يقيّده حكم ولا يحصره حدٌّ ولا رسم، فيظهر كيف شاء بلا كيفية، ويحتجب كيف شاء بلا كيفية، فله التنزيه وله التشبيه، وله الاختباء وله الظهور فيما يشاء كما يشاء، فقد ظهر الحق تعالى لإبراهيم، وفي النار لموسى، وفي صورة المعتقدات لأهل المحشر، وقد نسب إليه اليد، والقدم، والوجه، والعين، والسمع، والبصر، والضحك، والكلام، وقد قال (ﷺوآله): "رأيت ربي في صورة شاب أمرد على سرير من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب وفي رجليه نعلين من ذهب". *[139]

[139] - كشف الخفاء - العجلوني

فهذه التي يعني بها التشبيه والصورة على أنّه في ظهوره بما نسب إليه من التشبيه منزّه، فتعالى عن التجسيم والتصوير والحلول، والجملة على الإطلاق، وهذا التنزيه هو الذي أشرنا إليه بحكم المرتبة فمن تقيّد بحكم المرتبة وحجب عن حكم ظهوره جنح إلى مطلق التنزيه. وأوَّل جميع آيات التشبيه على وفق ما يقضيه التنزيه، لا على ما هو الأمر عليه، ومن حُجِبَ عن حكم المرتبة بالظهور جَنَحَ إلى التشبيه المطلق فقال بالتجسيم والحلول والاتحاد تعالى الله (**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**) (**١٨٠**)(الصافات).

وكلا الطائفتين مُحقون من وجه، مُبطلون من وجه، فإيّاك أن تعتقد تنزيهاً بلا تشبيه، أو تشبيهً بلا تنزيه بل كن منزِّهاً إن ظهر فيما تعرف به من التشبيه، ولا تسلب عنه ما نسب إلى نفسه من التشبيه إن عرفته بالتنزيه، وأين المشبه أو المنزه من معرفة الكمالات التي لا نهاية لها وهو القائل: (**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**) (**٩١**)(الأنعام).

الكمالات الإلهية في الصفات المحمّدية للجيلي

- وقال:

أمَّا التشبيه الإلهي عبارة عن صورة الجمال، لأنّ الجمال الإلهي له معانٍ وهي الأسماء والأوصاف الإلهية، وله صور وهي تجلّيات تلك المعاني فيما يقع عليه من المحسوس أو المعقول، فالمحسوس كما في قوله: (رأيت ربي في صورة شاب أمرد)،

والمعقول كقوله: (أنا عند ظن عبدي بي فيظن بي ما يشاء).*[١٤٠] وهذه الصورة هي المرادة بالتشبيه، ولا شك أنَّ الله تعالى في ظهوره بصورة جماله باقٍ على ما استحقه من تنزيه، كما أعطيت الجناب الإلهي حقه من التنزيه، فكذلك أعطه من التشبيه الإلهي حقه.

- واعلم أنَّ التشبيه في حق الله حكم بخلاف التنزيه، فإنَّه في حقه أمر عيني، وهذا لا يشهده إلاَّ الكمّل من أهل الله تعالى، وأمَّا من سواهم من العارفين فإنَّه لا يدرك ما قلناه إلاَّ إيماناً وتقليداً لما تقتضيه صور حِسنَهُ وجماله، إذ كلّ صورة من صور الموجودات هي صورة حسنه، فإن شهدت الصورة على الوجه التشبيهي ولم تشهد شيئاً من التنزيه، فقد أشهدك الحق حسنه وجماله من وجه واحد، وإن أشهدك الصورة التشبيهية وتعلق فيها التنزيه الإلهي، فقد أشهدك الحق جماله وجلاله في وجهي التشبيه والتنزيه (**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ(١١٥)**) (البقرة). فنزّه إن شئت وشبّه إن شئت، فعلى كلّ حال أنت غارق في تجلياته ليس لك عنه مفك إذ أنت وما عليه هويتك من حال وعمل ومعنى بأجمعك صورة لجماله، فإن بقيت على تشبيهك الخلقي فأنت تشهد صورة حسنه، وإن فتح لك عين التنزيه فيك على تشبيهك فأنت صورة حسنه وجماله ومعناه، وإن ظفرت بما وراء التشبيه والتنزيه منك فأنت وراء التشبيه والتنزيه وذلك الذات.

[١٤٠] ـ الإتحاف .

واعلم بأنّ الحق سبحانه وتعالى إذا تجلّى على العبد سُميَّ هذا التجلّي بنسبته إلى الحق شأناً إلهياً، وبنسبته إلى العبد حالاً، ولا يخلو ذلك التجلّي من أن يكون الحاكم عليه اسماً من أسماء الله تعالى أو وصفاً من أوصافه، فذلك الحاكم هو اسم ذلك التجلّي وإن لم يكن له اسم أو وصف مما بأيدينا من الأسماء والصفات الإلهية فإنَّ حال اسم ذلك الولي المتجلّي عليه هو عين الاسم الذي تجلّى به الحق عليه، وذلك معنى قوله (ﷺوآله): (إنَّه سيحمده يوم القيامة بمحامد لم يحمده بها من قبل).*[١٤١] وقوله: (اللهمَّ إني أسألك بكل اسم سَميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك).*[١٤٢] فالأسماءِ التي سمى بها نفسه هي التي تعرَّف بها إلى عباده، والتي استأثر بها في غيبه هي التي نبهنا عليها بأنَّها أسماء أحوال المتجلّى عليه بها من عباده، وذلك مستأثر في غيب المتجلّي عليه، ومعنى قوله: (أسألك وأدعوك) هو القيام بما يجب عليه من أدب ذلك التجلّي، وهذا لا يعرفه إلاَّ من ذاق المشهد، وإلاَّ فإنَّ العقل لا يبلغه من طريق نظره الفكري، اللهمَّ إلاَّ أن يكون بإيمان فيكون الإيمان هو الذاهب بالعقل والفاتح للقفل، فَعُلِمَ من تلك المقدمات أنّ اليوم هو التجلّي الإلهي لاستحالة مرور الأيام المخلوقة عليه، ألا ترى إلى قوله تعالى: (**لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ (١٤)**)(الجاثية). يريد به اللذين لا يرجون تجلّيه عليهم، لأنَّهم ينكرون وجوده ولا يؤمنون به، فمن أنكر شيئاً وقال بعدمه لا يرجو ظهوره له، وهؤلاء

---

١٤١ - رواه البخاري .

١٤٢ - بحار الانوا ر .

المشار إليهم في الآية الأخرى بقوله: (لا يرجون لقاء الله) لأنَّ لقاءه قربه وتجلّيه عليهم سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة

الانسان الكامل للجيلي

- وقال الكاشاني:

وأمَّا ما يوهم التشبيه مما ورد في الكتاب والسنة، فإنّما ذلك من حيث أسمائه وصفاته ومعيّته للأشياء لا من حيث ذاته بما هي هي بل الحق أنَّه جلَّ جلاله من حيث ذاته منزّه عن التنزيه كما أنه منزّه عن التشبيه .

وأمّا من حيث مراتب أسمائه وصفاته ومعيّته للأشياء وقربه منها وإحاطته بها يتصف بالأمرين من غير فرق لأنَّ له في كلّ عالم من العوالم مظاهر ومرائي ومنازل ومعالم يعُرف بها كما قال جلّ اسمه في الحديث القدسي:

(لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها).*[١٤٣]

كما قال في الفتوحات:

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيدا وإن قلت بالتشبيه كنت محددا
وإن قلت بالأمرين كنت مسددا وكنت إماماً في المعارف سيدا

[١٤٣] - عوالي اللئالي .

وذلك لأنّ التنزيه تحديد وتقييد له بما عدا ما ثبت له تلك الأمور المنزّه عنها فهو تشبيه من وجه، فالإطلاق لمن يحب له هذا الوجه تقييد له به .

ولهذا وردت الشرائع بالأمرين جميعاً لئلا يلزم التعطيل المحض ولا التشبيه الصرف (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** (١١))(الشورى) .

قال بعض العرفاء(عبد الرحمن الجامي ت ٨٩٨هـ): إنَّ ما لا تحويه الجهات وله أن يظهر في الأحياز فظهر فيها، فاقتضى ذلك الظهور انضياف وصف أو أوصاف إليه ليس شيء منها يقتضيه لذاته فإنَّه لا ينبغي أن ينفي عنه تلك الأوصاف مطلقاً، وينزّه عنها ويستعبد في حقه ولا يثبت له أيضاً مطلقاً ويسترسل في إضافتها إليه بل هي ثابتة له من وجه ومنتفية عنه من وجه وهي له في الحالتين أوصاف كمال لا نقص لفضيلة الكمال المستوعب والحيطة والسعة التامة مع فرط النزاهة والبساطة ولا يقاس غيره مما يوصف بتلك الأوصاف عليه لا في ذم نسبي، ولا في محمّدة، لأنّ نسبتها إلى ذات شأنها ما ذكر تخالف نسبتها إلى ما يغايرها من الذوات .

– وإنّما يفيض الله سبحانه وتعالى الوجود على هياكل الموجودات بواسطة أسمائه الحسنى، قال(ﷻ): (**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**(١٨٠))(الأعراف). والاسم هو الذات من حيث تقيده بمعنى أي الذات الموصوفة بصفة معينة كالرحمن فإنَّه ذات لها الرحمة والقهار ذات لها القهر ومن هنا قال: (**سَبِّحِ اسْمَ**

رَبِّكَ الْأَعْلَى (١))(الأعلى). فاسمه سبحانه ليس بصوت فإنَّه لا يُسبّح بل يُسبَّح به .

وقال: (**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** (٧٨))(الرحمن). فوصفه بذلك يدل على أنّه حيٌّ لذاته فالاسم هو عين المسمّى باعتبار الهوية والوجود وإن كان غيره باعتبار المعنى والمفهوم فهذه الأسماء الملفوظة هي أسماء الأسماء .

سُئل الإمام الرضا (عليه السلام) (عن الاسم: ما هو ؟ قال: صفة الموصوف).*[١٤٤]

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (من عبد الله بالتوهم فقد كفر ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه، ونطق به لسانه، في سر أمره وعلانيته فأولئك هم المؤمنون حقاً).*[١٤٥]

عين اليقين ج١للكاشاني

– فموجودات العالم بأسرها مظاهر لأسماء الله الحسنى فهو سبحانه يخلق ويدبر كلّ نوع من الأنواع باسم من الأسماء وذلك الاسم هو رب ذلك النوع والله سبحانه رب الأرباب وأحسن الخالقين. وإلى هذا أشير في كلام أهل البيت (عليهم السلام) في أدعيتهم بقولهم: (وبالاسم الذي خلقت به العرش

---

[١٤٤] ـ الكافي .
[١٤٥] ـ الكافي .

وبالاسم الذي خلقت به الكرسي وبالاسم الذي خلقت به الأرواح).*[١٤٦] إلى غير ذلك من هذا النمط .

والاسم الأعظم هو رب الإنسان الكامل لأنَّه غاية الوجود وكما أنّ كل نوع تحته أفراد لا تحصى فكذلك كل اسم من الأسماء الكلية تحته أسامي جزئية لا تتناهى هي كلمات الله التي لا تنفد بها يدبر تلك الأفراد (**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ(١٧١)**)(النساء) (**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ(١٠)**) (فاطر) وعن مولانا الصادق(عليه السلام): (ونحن و الله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاَّ بمعرفتنا).*[١٤٧]

– ولك أن تقول: إنَّ حقائق الموجودات هي بعينها أسماء الله وكلماته لأنَّها وجودات خاصة متعينة لها اتحاد ما بتلك الجهات العقلية التي هي الأسماء بالحقيقة من وجه، ولدلالتها على ذاته سبحانه دلالة الاسم على المسمّى فإنَّ الدلالة كما تكون بالألفاظ كذلك تكون بالذوات من غير فرق بينهما فيما يؤول إلى المعنى، فكلّ موجود بمنزلة كلام صادر عنه تعالى دال على توحيده وتمجيده بل كلّ منها عند أولي البصائر لسان ناطق بوحدانيته يسبّح بحمده ويقدسه عما لا يليق بجنابة كما قال تعالى: (**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ(٤٤)**)(الإسراء) .

---

[١٤٦] ـ مصباح الكفعمي ١٣٠٢\١
[١٤٧] ـ الكافي :١\١٤٣\ح١

– وقد دريت أنَّ موجودات العالم لا حقائق لها متأصلة سوى كونها مضافة إلى موجدها ومتعلقة بها وما يجري مجرى ذلك وأن ليس لها هوية مستقلة سوى هوية موجدها وقيّومها .

ودريت في موضع آخر أنَّ أفعاله سبحانه وآثاره هي بعينها أسماؤه الحسنى وكلماته التي لا تنفد من حيث ظهوراتها على وجه تفصيلي تظهر بحسبها صفاتها وكمالاتها بصور متعددة متمايزة بعضها عن بعض .

ودريت أنَّ الاسم هو الذات المتجلي بصفة من الصفات وتعيّن من التعيّنات، فأفعاله سبحانه بعينها هي ذاته المتعيّن بتعيّنات مختلفة من حيث الظهور التفصيلي، فالوجود المطلق يتجلى فيتعيّن ويتناهى ويظهر ظهوراً تفصيلياً تصدر منه بحسبه الآثار فيصير خلقاً من الخلائق، وإيجاده سبحانه للعالم عبارة عن هذا التجلي والظهور، فالعقل والنفس والفلك والأجرام كلها أسماء على الحق تعالى (**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** (٤٠))(يوسف) .

– فبهذا التحقيق تندفع شبهة مشهورة تاه فيها الأكثرون وهي أنَّه قد ثبت في محله أنَّ العلم بالشيء لا يحصل إلاَّ بعد العلم بفاعله التام من حيث هو فاعل والأشياء كلها مستندة إلى الله سبحانه إمَّا بغير واسطة أو واسطة هي منه تعالى فيلزم أن لا يحصل العلم بشيء من الأشياء إلاَّ بعد العلم بذاته سبحانه،

ووجه الدفع أنَّ ذاته سبحانه من حيث هو فاعل للشيء هو بعينه وجوده النازل إلى مرتبة ذلك الشيء، وتعيّنه بذلك فهو بعينه وجود ذلك الشيء، وهو بعد وجوده تعالى والعلم به الذي هو عين ذاته، فالعلم بذلك الشيء الذي هو نفس وجوده لم يحصل إلاَّ بعد العلم به تعالى في مرتبة ذاته الذي هو نفس وجوده تعالى ،فتدبر فيه لئلَّا تتوهم أنَّ ذاته سبحانه تصير شيئاً من الأشياء تعالى الله عن ذلك فإنَّه موضع مزلّة الأقدام.

عين اليقين ج١للكاشاني

– وقال:

فقد ظهر أنَّ النفس عند تحصيلها لجميع المعقولات واستحضارها لها، ومشاهدتها إياها، تصير بعينها العقل ويفنى وجودها في وجود رب نوعه العقلي المسمّى بروح القدس والمعبر عنه بالنور وتبقى ببقائه بعينه .

وسيأتي أنَّ العقول كلها فانية في ذات الله سبحانه باقية ببقائه تعالى لا فرق بينهم وبين حبيبهم، فالنفوس الكاملة الفانية أيضاً كذلك وهذا من الأسرار التي لا يمسها إلاَّ المطهرون، وهو الفناء في التوحيد في اصطلاح الصوفية وكأنَّه المشار إليه بقوله سبحانه في الحديث القدسي :(ومن قتلته فأنا ديته).*[١٤٨] وما في

[١٤٨] ـ المستدرك .

معناه. وفي الحديث النبوي: (لي مع الله وقت، لا يسعني فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل).*[١٤٩]

– قال العلامة المحقق نصير الدين الطوسي:*[١٥٠] في شرح الإشارات:

العارف إذا انقطع عن نفسه واتصل بالحق رأى كلّ قدرة مستغرقة في قدرته المتعلقة بجميع المقدورات وكل علم مستغرقاً في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات وكلّ إرادة مستغرقة في إرادته التي لا يتأبّى عنها شيء من الممكنات بل كلّ وجود وكلّ كمال وجود فهو صادر عنه فائض من لدنه فصار الحق "حينئذٍ" بصره الذي به يبصر وسمعه الذي به يسمع وقدرته التي بها يفعل وعلمه الذي به يعلم ووجوده الذي به يوجد فصار العارف "حينئذٍ" متخلقاً بأخلاق الله بالحقيقة .

– فالإنسان إذا بلغ إلى هذا المقام يتصرف في الملك والملكوت وتطيعه الموجودات كلّها، بل تصير كلها أجزاء لذاته، وتكون قوية سارية في الجميع، كما أشار إليه مولانا الباقر (عليه السلام) في حديث الأرواح بقوله:

(فبروح القدس عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى).*[١٥١]

---

[١٤٩] ـ العقد الحسيني .

[١٥٠] ـ فيلسوف فارسي ولد في طوس \٥٩٧هـ\ شرح للرازي ولابن سينا وتوفي\ ٦٧٢هـ\

[١٥١]ـ بصائر الدرجات .

وذلك لأنَّه لم يوجد في الممكنات ما هو أشرف من العقل ولا ما هو أخس من المادة العنصرية، وهما حاشيتا الوجود وقد وجدتا جميعاً في الإنسان الكامل.

وقال مولانا الصادق (عليه السلام): (إنَّ الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجموع صور العالمين وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ وهي الشاهد على كل غائب وهي الحجة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم إلى كل خير وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار).*[١٥٢]

عين اليقين ج للكاشاني ٢

- وقال الجنابزي:

في تفسير قوله تعالى: (**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ(٦٤)**)(المائدة) واليد كما سبق في أمثالها غير مختصة بالعضو المخصوص الذي لذوي الحياة الحيوانية بل هي اسم لمعنى عام له مصاديق كثيرة مترتبة بعضها فوق بعض، وهو معنى ما به التصرف بالحركة في الجذب والدفع والدخل والخرج وما به القدرة في الإنفاق والإمساك والإيجاد والإعدام وغير ذلك من لوازم التصرف، وهي في الحيوان آلة مخصوصة مركبة من أجسام مختلفة، وفي الإنسان الملكي آلة أخرى وفي الإنسان الملكوتي أيضاً آلة محسوسة غير ما للإنسان الملكي، وفي الجبروتي ليست آلة محسوسة بل أمر معقول مجرد عن المادة

[١٥٢] - تفسير الصافي .

ولوازم المادة وعن التقدر والتشكل، والحق تعالى شأنه لما كان أحديّ الذات لا كثرة لذاته بوجه من وجوه الكثرة ولا تركيب فيه بوجه من وجوه التركيب بل إنيته وجود صرف محيط بكلّ الكثرات بحيث لا يشذ عن وجوده شيء منها إلاّ كان محدوداً مركباً، فهو بذاته الأحدية مصداق لجميع الأسماء والصفات المتقابلة بحيث لا يلزم منه تكثير ولا تركيب ولا تحديد، فإنّ من حده بشيء فقد عدّه وأثبت له ثانياً، ومن عدّه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، فمن وجوب وجوده يستدلّ على عدم تركبه، ومنه على عدم تحدده، ومنه على إحاطته فهو بكلّ شيء محيط. وهذا أتم البراهين التي أقامها الحكماء على إحاطته بل هو أصل للكلّ والكلّ راجع إليه فهو بأحديته مصداق الصفات الحقيقية المحضة ومصداق الصفات الحقيقية ذات الإضافة، ومصداق الإضافات والسلوب تماماً فهو الحي العليم السميع البصير المدرك القادر المريد المتكلم الرحمن الرحيم الخالق الرازق المبدء المعيد المتصرف الهادي المفضل المضل المنتقم السبوح القدوس، لكن هذه الأسماء غير ظاهرة في مرتبته الأحدية، فإنّها الغيب الذي لا اسم له ولا رسم ولا خبر عنه ولا أثر، بل هي ظاهرة في مقام المعروفية المسماة بنفس الرحمن والحقيقة المحمّدية والإضافة الإشراقية وعرش الرحمن والولاية المطلقة والمشيئة والحق المخلوق به وغير ذلك من أسمائها .

بيان السعادة للجنابزي

– وقال الخميني:

والواصلون إلى باب الأبواب والمشاهدون لجمال المحبوب بلا حجاب، والمتحققون بمقام الولاية المطلقة هم الذين خرجوا من الدنيا والآخرة وتجرّدوا عن الغيب والشهادة ولم يخلطوا العمل الصالح بالسيئ.

بيني و بينك إنّيٌّ ينازعني فارفع بلطفك أنيي من البين*[١٥٣]

وهو مقام استهلاك جهة الخلق في وجه الرب، وخلع نعلي الإمكان والتعيّن، ولا مقام فوق هذا إلاّ مقام الاستقرار والتمكين والرجوع إلى الكثرة مع حفظ الوحدة، فإنّها أخيرة منازل الإنسانية. و(ليس وراء عبدان قرية). وللإشارة على هذا المقام ورد:

(إن لنا مع الله حالات هو نحن، ونحن هو، وهو هو ونحن نحن).*[١٥٤] فالوحدة في عين الكثرة والكثرة في عين الوحدة.

فإذا بلغ السالك إلى الله والمجاهد في سبيله إلى ذاك المقام وتجلّى له الحق في مظاهر الخلق مع عدم الاحتجاب عن الحق والخلق ،بنحو الوحدة في ملابس الكثرات والكثرة في عين الوحدة، ينفتح له أبواب من المعرفة والعلوم والأسرار الإلهية من وراء الرسوم، منها حقيقة الأمر بين الأمرين من لدن حكيم عليم على لسان الرسول الكريم وأهل بيته عليهم السلام من الرب الرحيم، فإنَّ فهم

[١٥٣] ـ ديوان الحلاج .
[١٥٤] ـ كلمات مكنونة للإمام الصادق .

هذه الحقيقة ودرك سرها وحقيقتها لا يتيسر إلاّ: (**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** (**٣٧**))(ق). فإنَّه يرى بعين البصيرة والتحقيق بلا غشاوة التقليد وحجاب العصبيّة، أنّ كلّ موجود من الموجودات بذواتها وقواها الظاهرية والباطنية من شؤون الحق وأطواره وظهورا ته وتجلّياته، وهو تعالى وتقدس مع علوِّ شأنَّه وتقدّسه عن مجانسة مخلوقاته وتنزّهه عن ملابسة التعينات، باينٌ في المظاهر الخلقية ظاهرٌ في مرآة العباد وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، كذلك الأفعال والحركات والتأثيرات كلها منه في مظاهر الخلق، فالحق فاعل بفعل العبد وقوة العبد ظهور قوة الحق. (**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**)(الأنفال:١٧). فجميع الذوات والصفات والمشيئات والإرادات والآثار والحركات من شؤون ذاته وصفته وظل مشيئته وإرادته وبروز نوره وتجليه وكلٌّ جنوده ودرجات قدرته، والحق حق والخلق خلق، وهو تعالى ظاهرٌ فيها وهي مرتبة ظهوره.

فمن نسب الفعل إلى الخلق وعزل الحق عنه بزعم التنزيه والتقديس، فهو قاصر وظالم لنفسه وحقه، ومحجوب عن الحق مطرود عن الرب، تنزيهه وتقديسه تقصير وتحديد وتقليد، فهو داخل في قوله "المغضوب عليهم" عاكف في الكثرات بلا توحيد، ومن نسبه إلى الحق مع عدم حفظ الكثرة فهو ضال بتجاوزه الاعتدال وداخل في قوله "الضالين".

والصراط المستقيم والطريق المستبين الخروج عن التعطيل والتشبيه وحفظ مقام التوحيد والتكثير وإعطاء حق الحق والعبد.

- وقال أيضاً:

اعلم يا حبيبي أنَّ العوالم الكلية الخمسة ظل الحضرات الخمس الإلهية، فتجلّى اللّه تعالى باسمه الجامع للحضرات، فظهر في مرآة الإنسان،" فإنَّ اللّه خلق آدم على صورته". وهو الاسم الأعظم والظل الأرفع، وخليفة اللّه في العالمين، وتجلى بفيضه الأقدس وظله الأرفع، فظهر في ملابس الأعيان الثابتة من الغيب المطلق والحضرة العمائية، ثم تجلّى بالفيض المقدس والرحمة الواسعة والنفس الرحماني من الغيب المضاف والكنز المخفي والمرتبة العمائية على طريقة شيخنا العارف مد ظله في مظاهر الأرواح الجبروتية والملكوتية أي: (عالم العقول المجردة والنفوس الكلية)، ثم في مرائي عالم المثال والخيال المطلق أي: (عالم المثِل المعلّقة) ثم في عالم الشهادة المطلقة أي: (عالم الملك والطبيعة)، فالإنسان الجامع لجميع العوالم وما فيها ظل (الحضرة الجامعة الإلهية)، وعالم الأعيان ظل (حضرة الغيب المطلق)، وعالم العقول والنفوس (ظل حضرة الغيب المضاف الأقرب إلى المطلق)، وعالم الخيال والمثال المطلق ظل (حضرة الغيب المضاف الأقرب إلى الشهادة)، وعالم الملك ظل (حضرة الشهادة المطلقة). (**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ** (**٤٥**))(الفرقان) في الحضرة الأسمائية والأعيان الثابتة بالظل الأقدس، وفي حضرة الشهادة، وعالم الملك والملكوت والجبروت بالظل المقدس، بل نقول. أنَّ الوجودات بمراتبها السافلة والعالية كلها مرتبط بالوجه الخاص مع اللّه تعالى بلا

توسط شيء، فإنَّ المقيد مربوط بباطنه وسره بالمطلق بل هو عين المطلق، بوجه يعرفه الراسخون في المعرفة.

شرح دعاء السحر للخميني

– ومن شطحات البسطامي أنَّه قُرئ عنده يوماً: (**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا** (**٨٥**))(مريم). فهاج ثم قال: (من كان عنده الله فلا يحتاج أن يحشر لأنَّه جليسه أبداً).

– وقال أبو يزيد البسطامي في شطحاته:

تأملت الله بعين الحقيقة وقلت له: من هذا ؟ فقال: (هذا ليس أنا وليس غير أنا، فليس هناك إله غيري)، ثمَّ حوّلني من هويتي إلى داخل ذاته، ثم تحدثت إليه بلسان حاله قائلاً: كيف تصير حالي بحالك ؟ فقال: (أنا أكون خلالك فلا إله إلاَّ أنت) .

– وقال الحلاج:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا

الله والإنسان لكارين آرمسترونغ

– وقال الشبلي: بعد مصير الحلاج أنا والحلاج في شيء واحد فخلّصني جنوني وأهلكه عقله .

وقالوا للجنيد: إنَّ أبا يزيد يسرف في الكلام فقال: وما بلغكم من إسرافه في كلامه ؟ قالوا: سمعناه يقول سبحاني سبحاني أنا ربيَّ الأعلى، فقال الجنيد: إنَّ الرجل مستهلك في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه لذهوله عن الحق عن رؤيته إيَّاه، فلم يشهد إلاَّ الحق تعالى .

شطحات الصوفية .د. عبد الرحمن بدوي

- وقال أحمد حيدر في التشبيه:

هو مرادف للتجلّي وشرحوه وأجادوه بأنَّ التشبيه عبارة عن صورة الجمال، لأنَّ الجمال الإلهي له معان وهي الأسماء والصفات الإلهية وله صورة وهي تجلّيات تلك المعاني فيما يقع عليه المحسوس أو المعقول، فالمحسوس كما في قوله (ﷺوآله): (رأيت ربي في أحسن صورة شاباً أمرد).*[١٥٥] والمعقول كالحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي المؤمن فليظن بي ما شاء).*[١٥٦]

- قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

(ما رأيت شيئاً إلاَّ ورأيت الله معه، ولا رأيت شيئاً إلاَّ ورأيت الله فيه. ولا رأيت شيئاً إلاَّ ورأيت الله قبله ولا رأيت شيئاً إلاَّ رأيت الله بعده).*[١٥٧]

التكوين والتجلي لأحمد حيدر

---

[١٥٥] - صحيح الترمذي .
[١٥٦] - الاتحافات السنيه في الاحاديث القدسية .
[١٥٧] - آداب الصلاة المعنوية .

وقال أحمد حيدر أيضاً:

قد أثبت أفلاطون في مثله أنَّ لكلّ موجود مشخص في العالم الحسي مثالاً موجوداً غير مشخص في العالم العقلي، فالمبادئ الأوُل بسائط، والمثل السماوية مبسوطات والأشخاص الطبيعية مركبات، فالإنسان المركب جزئيٌّ ذلك الإنسان المبسوط المعقول، وكذلك كلّ نوع من الحيوان والنبات والمعادن والموجودات، في هذا العالم أثر الموجودات في ذلك العالم، ولما كان العقل الإنساني من ذلك العالم أدرك من المحسوس مثالاً منتزعاً من المادة معقولاً يطابق المثال الذي في عالم العقل بكليته ويطابق الموجود بجزئيته، ولولا ذلك لما كان يدركه العقل مطابقاً مقابلاً من خارج، فما يكون مدركاً لشيء يوافق إدراكه حقيقة المدرك .

الحيرات لأحمد حيدر

– ولقد أوضح الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه شطحات الصوفية عن أسباب الشطح عند البعض، والقول بالغلو عند آخرين، وأظنُ أنَّ أحد أهم أسبابه أيضاً هو تزمت الفقهاء، وتنازع قضاة المذاهب على تولي أحكام الفقه والقضاء، فكان الاتهام بالزندقة والخروج عن نهج السنّة وسيرة الصحابة لكل من يأتي بشيء من هذا القبيل:

– يقول السرّاج: إنَّ الشطح في لغة العرب هو الحركة.

يقال شطح يشطح: إذا تحرك، فالشطح لفظة مأخوذة من الحركة، لأنَّها حركة أسرار الواجدين إذا قوي وَجْدُهم فعبّروا عن وجدهم ذلك بعبارة يستغرب سامعها.

الشطح: هو تعبير عما تشعر به النفس حينما تُصبح لأول مرة في حضرة الألوهية، فتدرك أنَّ الله هي وهي هو، فيقوم إذن على عتبة الاتحاد ويأتي نتيجة وجد عنيف لا يستطيع صاحبه كتمانه، فينطلق بالإفصاح عنه لسانه.

- وأنَّ داعي الوجد بالنسبة للشطح هو آخر ما ذكر من دواعٍ، وهو المناجاة بسر، هو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن، أي الشعور بالهوية فيما بين العبد الواصل والمعبود الموصول إليه فيشعر بأنَّ المعبود هو الباطن وأنَّ العبد هو الظاهر، فباطن العبد هو ظاهر المعبود وباطن المعبود هو ظاهر العبد، فناسوت الله يُظهر سرَّ سنا لا هوته الثاقب كما قال الحلاج.

والسكر عند هؤلاء هو انتشاء الروح بمكاشفة الحق لها بسره، وبأنَّه هو هي وهي هو، فتطرب أشد الطرب لاكتشافها هذه الحقيقة، فسكرها إذاً شدة غبطتها بمعرفة سر وجودها، وهو أنّ وجودها هو وجود الله أو أنّها هي الله.

ومن أسباب شطحهم أنَّ الهوة قد بعدت بين العبد وبين الله، والتصوف هو المحاولة المضادة للتقريب بينهما، أمَّا وقد جاءت الشريعة بالعلو في الفارق بين المخلوق والخالق، فلتأتي الحقيقة والطريقة بالغلو في التوحيد بين العبد والمعبود،

ولهذا لم نجد ظاهرة الشطح في التصوف المسيحي، لأنّ فكرة التوسط تلعب منذ البداية دورها الخطير في التقريب بين الله وبين المخلوقات، والتجسد هو أظهر تعبير عن هذا التوسط ،بحيث كان من عقائد المسيحية الرسمية الجوهرية اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح، لهذا لم يكن للصوفي المسيحي أن يتطرف في جانب الاتحاد، وكان اتحاده بالألوهية دائماً عن طريق هذا الوسيط "المسيح".

*****

الخاتمة

. المحبة دين يدان به .

. قال السيد المسيح (عليه السلام): " الله محبة ".

. وقال: أحبوا أعدائكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم .

العهد الجديد

. وقالت العابدة الصوفية رابعة العدوية *[١٥٨]: تتحدث عن حبها للإله:

طريقتان أحبك بهما، واحدة أنانية، وأخرى تليق بك .

إنّه حبٌ أناني لا أفعل شيئاً سوى التفكير بك .

إنَّه لأنقى حب عندما لا ترفع الحجاب أمام نظرتي العابدة .

فالتمجيد ليس لي في هذه الطريقة أو تلك .

لك التمجيد في كليهما، إنِّي أعترف.

الله والإنسان لكارين آرمسترونغ

. وقالت: الهي إن كنت أحببتك خوفاً من نارك فأحرقني بها، وان كنت أحببتك طمعاً في جنتك فأبعدني عنها، وان كنت أعبدك لذاتك، فلا تصرف عني جمالك السرمدي .

المكزون بين الإمارة والتصوف .حامد حسن

[١٥٨] ـ متصوفة من البصرة تنسكت واشتهرت بالعبادة أدخلت على التصوف فكرة الحب الإلهي بدلاً من الخوف والرهبة .ت/١٣٥هـ

– و قال المنتحب:

ما تفعل البيض وسمر القنا   يوم الوغى ما يفعل الحب

. وقال:

ذكر المحبة يا مولاي أسكرني   وهل رأيت محب غير سكران

فن المنتخب وعرفانه. د. أسعد علي

وقال رسول الله (ﷺوآله): (والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا).*[159]

وقال (ﷺوآله): (ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).*[160]

وقال (ﷺوآله): (المرء يحشر يوم القيامة مع من يُحب).*[161]

فإذا كان الله محبة، وأنَّ الدين يأمر بالمحبة، وبما أنَّ الفرق والأديان اتفقت على عداوة الشيطان، وحددوا صفاته ووسوساته ولزوم محاربته، واتفقوا على أنَّ لهذا الكون خالقاً ومدبراً (قادر، عالم، مريد، حي، سميع، بصير، متكلم) وأنَّ له العبادة، كما جاء في الذكر الحكيم: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦)**)(الذاريات). وقالوا: لا عبادة بلا معرفة، ولا معرفة بدون رؤية، ولا رؤية بدون تجلّي، واتفقوا على أنَّ الله سبحانه علَّم آدم الأسماء لقوله: (**وَعَلَّمَ آدَمَ**

[159] ـ الامام أحمد ومسلم .

[160] ـ أخرجه الشيخان .

[161] ـ تفسير الإمام العسكري .

الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا(٣١))(البقرة). ووهبه إياها نِحلةً منه ليكون خليفته في الدار، وتلقى من ربه الكلمات (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ(٣٧)**)(البقرة). العالية التي من خلالها تاب إلى الله "أي رجع إليه" وهي الكلمات التي أُمتحن بها إبراهيم وصار إمام للناس (**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا(١٢٤)**)(البقرة). وبها كلَّم الله موسى (**يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي(١٤٤)**)(الأعراف). (**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)**)(النساء). ومن هذه الكلمات المسيح (**يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ(٤٥)**)(آل عمران). وكلّ هذه الكلمات كانت عند خاتم الأنبياء وحامل الكلمات (ﷺوآله) لقوله: " أُتيت جوامع الكلم " وقال سبحانه: (**لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ(٦٤)**)(يونس).

وقال: (**وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ (٨٢)**)(يونس). فكلماته سبحانه هي عين موجوداته وحقيقتها ،فالمعرفة الإنسانية تبدأ بالإدراك القلبي من خلال الحواس (كالسمع والبصر) ويضاف إليها المعرفة بالخبر والأثر، ثُمَّ ترتقي إلى الاستدلال النظري والتجريد العقلي، الذي يتجاوز الحواس ويتعامل مع العقل، ولذلك نرى أنَّ معظم الآيات في القرآن الكريم بعد ذكر الرحمن تذكر موضوعات حسية وكونية (الرحمن على العرش استوى، الرحمن علَّم القرآن) فالعلم إدراك الشيء بحقيقته، أو هو الإحاطة بالأشياء من كل جهاتها وهو إدراك كلي لها، فهل من

ترابط بين قوله سبحانه: (**وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا(٣١)**)(البقرة) (**الرَّحْمَنُ** (١) **عَلَّمَ الْقُرْآَنَ** (٢))(**الرحمن**)(**عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** (٤)) (**العلق**) (**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ(٥)**) (العلق).

فقد جاء أنَّ سيدنا محمّد (ﷺوآله) هو الكتاب التكويني (أول مكوَّن وأول نور خلقه الله)، وأنَّه الكتاب التدويني (القرآن)، وأنَّه القلم الذي كُتب به على اللوح المحفوظ، وأنَّه هو آدم حامل الأسماء ومتلقي الكلمات وانَّه الإنسان الكامل بالكلّ، ولم يقل الإنسان الفلاني، لا الأحمر، ولا الأسمر، ولا الأبيض، ولا اليهودي، ولا المسيحي، ولا المسلم، ولا الهندوسي، ولا غيرهم، فالله سبحانه ينظر إلى قلوب جميع الناس وإلى أعمالهم، ولا ينظر إلى أشكالهم وبلادهم وأديانهم كما ورد عن رسول الله (ﷺوآلهِ): إنَّ الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.*[١٦٢]، فالإنسان أخوك أين ما كان وهو وديعة الله في الأرض فانظر إليه نظرتك إلى مولاك !؟؟.

وسلام الله على جميع النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين والملائكة المقربين والحمد لله رب العالمين

مع تحيات أخوكم الشيخ

محمود سليمان رمضان

طرطوس قرية الثورة (٢٠١٠) م

[١٦٢] - مسند احمد.

مصادر كتاب الرحمن

١- القرآن الكريم .

٢- تفسير مجمع البيان (الطبرسي).

٣- تفسير الصافي (الفيض الكاشاني).

٤- تفسير بيان السعادة (الجنابزي).

٥- التفسير المعين (محمّد هويدي).

٦- تفسير الامام العسكري

٧- ٥٠٠ اية نزلت في امير المؤمنين (رجب البرسي).

٨- البيان في تفسير القرآن (الامام الخوئي).

٩- تفسير ابن عربي (ابن عربي).

١٠- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير).

١١- تفسير البيضاوي (القاضي البيضاوي).

١٢. الكتاب و القرآن (د. محمّد شحرور).

١٣- معجزة القرآن الكريم (محمّد الشعراوي).

١٤- الإعجاز القرآني (عباس أمير).

١٥- القرآن الكريم علوم وآفاق (مجموعة من المؤلفين).

١٦- دلائل الإعجاز (عبد القاهر الجرجاني).

١٧- أسرار البلاغة (عبد القاهر الجرجاني).

١٨- إعراب القرآن وبيانه (محي الدين درويش).

١٩- إعراب القرآن (د. محمّد الطيب الابراهيم).

٢٠- نهج البلاغة (شرح ابن ابي الحديد . د. صبحي الصالح).

٢١- بحار الأنوار (المجلسي).

٢٢- لسان العرب (لابن منظور).

٢٣- معجم مقاييس اللغة (لابن فارس).

٢٤- القاموس المحيط (الفيروز آبادي).

٢٥- التعريفات (الجرجاني).

٢٦- معجم المصطلحات الصوفيه (د. عبد المنعم الحنفي).

٢٧- لطائف الاعلام (عبدالرزاق القاشاني).

٢٨- الخصائص (لابن جني).

٢٩- مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الاصفهاني).

٣٠- معجم الكلمات الوافده (عماد الدين حلوم).

٣١- الفتوحات المكية (ابن عربي).

٣٢- الرسائل (ابن عربي).

٣٣- كتاب المعرفة (ابن عربي).

٣٤- فصوص الحكم (ابن عربي).

٣٥- الوصايا (ابن عربي).

٣٦- ديوان ابن عربي (ابن عربي).

٣٧- الإنسان الكامل (عبد الكريم الجيلي).

٣٨- الكمالات الالهية في الصفات المحمّدية (عبد الكريم الجيلي).

٣٩- شرح مشكلة الفتوحات المكية (عبد الكريم الجيلي).

٤٠- شرح كتاب التجليات (عبد الكريم الجيلي).

٤١- الكهف والرقيم/مراتب الوجود/نسيم السحر. (عبد الكريم الجيلي).

٤٢- الرسالة القشيرية (ابو القاسم القشيري).

٤٣- الطواسين وبستان المعرفة (الحلاج).

٤٤- الحلاج بين التصوف و الفلسفة (عبد الحميد ديوان).

٤٥- الكتاب المقدس، العهد القديم +العهد الجديد).

٤٦- الأحاديث القدسية (دار الأرقم)

٤٧- صحيح البخاري (دار المعرفة)

٤٨- صحيح مسلم (دار المعرفة)

٤٩- أديان العالم (د. هوستن سنيث- ترجمة سعد رستم).

٥٠- موسوعة تاريخ الأديان (فراس السواح).

٥١- دين الإنسان (فراس السواح).

٥٢- الرحمن والشيطان (فراس السواح).

٥٣- مغامرة العقل الأول (فراس السواح).

٥٤- الوجه الآخر للمسيح (فراس السواح).

٥٥- طريق إخوان الصفا (فراس السواح).

٥٧. موسوعة الأديان دار ماكميلان مجموعة من الباحثين).

٥٨- قصة الحضارة وول ديو رانت).

٥٩- الله والأنسان (كارين آرمسترونغ).

٦٠- فكرة الألوهية عند أفلاطون (د. مصطفى النشار).

٦١- الهداية الكبرى (الخصيبي).

٦٢- معرفة الله والمكزون السنجاري.(د. أسعد علي).

٦٣- فن المنتحب العاني وعرفانه (د. أسعد علي).

٦٤- المكزون بين الامارة والشعر والتصوف. (حامد حسن).

٦٥- تحفة الروح والإنس (الشيرازي).

٦٦- التكوين والتجلي (أحمد حيدر).

٦٧-الحيرات (أحمد حيدر).

٦٨- الهبطة.. (أحمد حيدر).

٦٩- الملل والنحل (للشهرستاني).

٧٠- مقارنة الأديان (د. أ. س بوكيت تقديم أميريكن)

٧١- حقيقة لاهوت يسوع المسيح.(زل. جوش/ماكدويل/بارت لارسون).

٧٢- فلسفة الغفران في المسيحية (ل. عوض سمعان).

٧٣- عين اليقين (الفيض الكاشاني).

٧٤- مشارق أنوار اليقين (رجب البرسي).

٧٥- مشارق الأمان (رجب البرسي).

٧٦- الأربعون حديثاً (الإمام الخميني).

٧٧- الآداب المعنوية للصلاة. (الإمام الخميني).

٧٨- صلاة العارفين وتفسير البسملة (الإمام الخميني).

٧٩- شرح دعاء السحر (الإمام الخميني).

٨٠- مصباح الهداية (الإمام الخميني).

٨١- إخوان الصفا والتوحيد العلوي (محمّد الحمد).

٨٢- الكافي (أبو جعفر الكليني).

٨٣- السيرة النبوية (ابن هشام).

٨٤- شطحات الصوفية، ومذاهب الإسلاميين (د. عبد الرحمن بدوي).

٨٥- رسائل الجنيد (د. جمال رجب سيدبي).

٨٦- الإلهيات (ابن سينا).

٨٧- تاريخ الفلسفة في الإسلام (ترجمة. د. محمّد أبو ريده).

٨٨- المدارس الباطنية (د. محمّد الو كيلي).

٨٩- إشكالية وحدة الوجود في الفكر الإسلامي (محمّد الراشد).

٩٠- العقل والنص عند الفلاسفة والمتكلمين (سيف الدين ماجدي).

٩١- رسائل ابن سبعين (تحقيق أحمد فريد المزيدي).

٩٢- تهافت الفلاسفة (الغزالي).

٩٣- تهافت التهافت (ابن رشد).

٩٤- الإسماعيليون بين الاعتزال والتشيع (محمّد أمين أبو جوهر).

٩٥- الله يتجلى في عصر العلم (نخبة من العلماء).

*****

الفهرس

صدر للمؤلف

عن دار أعراف للنشر

١- مختصر الواجبات في السنن والمفترضات. ط٥/٢٠١٣م.

٢- إيضاح البيان مناظرة. ط٢/٢٠١٠م.

٣- القول السليم في نجاة كافل اليتيم (أبو طالب دراسة وتحليل).ط٢/٢٠٠١م.

٤- الخصيبي والغلاة من الشيعة. ط٢/٢٠٠٩م.

٥- صلة الرحم والعقوق. ط٢/٢٠٠٩م.

٦- الشيطان حقيقة أم وهم بين المادة والروح./٢٠٠٩م.

٧- الرحمن بين الإطلاق والتقييد./٢٠١٠م.

٨- التصوف وطريقة السيد أبي عبد الله الخصيبي./٢٠١٢م.

٩- علم الكلّام وطريقة السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي./٢٠١٣م.

١٠- الصلاة عند السيد الخصيبي والعرفاء بين الشريعة والعرفان. /٢٠١٣م.

١١- الشهداء. /٢٠١٣م.